غوطة دمشق

تأليف

محمد كرد علي

راجع هذه الطبعة

الدكتور محمد مكي الحَسَني الجزائري

أمين المَجْمَع

بسم الله الرحمن الرحيم

غوطة دمشق

الطَّبْعَةُ الأُولَى
١٩٤٩ م

الطَّبْعَةُ الثَّانِيَةُ
١٣٧١ هـ ـ ١٩٥٢ م

الطَّبْعَةُ الثَّالِثَةُ
١٤٣٢ هـ ـ ٢٠١١ م

بتصريح من
مجمع اللغة العربية بدمشق
لدار البينة للطباعة والنشر

البينة
للطِّباعَةِ وَالنَّشْرِ

دمشق ـ ص.ب ٣٥٠٢٣
هاتف: ٢٢٥٤٤٩٦ ـ فاكس: ٢٢٥٧٣٤٢

فهرس الموضوعات

مقدمة كتاب الغوطة ١١

شكر الناقدين ١٣

الفصل الأول

اشتقاق اسم الغوطة ١٥

استعمالها مفردة ومثناة ١٥

مساحة الغوطة ١٩

حدود الغوطة ١٩

مساحة المرج ٢١

معدل أمطار الغوطة ٢٢

معدل الحرارة السنوية في الغوطة ٢٢

ارتفاع الغوطة عن سطح البحر ٢٢

عدد سكان الغوطة ٢٣

تربة الغوطة ٢٣

الفصل الثاني

البساتين والقرى ٢٤

عدد بساتين الغوطة ٢٤

أسماء قرى الغوطة ٢٦

عدد نفوس كل قرية من قرى الغوطة ٢٦

الفصل الثالث

مِيْزات الغوطة وخصائصها ٣٢

الفصل الرابع

سكان الغوطة ٣٦
أديان أهل الغوطة ومذاهبهم ٣٧

الفصل الخامس

الفصيح في كلام أهل الغوطة مرتبًا على حروف الهجاء ٤٠

الفصل السادس

طرائق الغوطة الزراعية ٥٨
صناعات الغوطة ٦١

الفصل السابع

متنزهات الغوطة ٦٣

الفصل الثامن

وصف الغوطة ٧٢

الفصل التاسع

ثمار الغوطة وزروعها وأزهارها، وانظر فهرس منتوجات الغوطة ٩٦

الفصل العاشر

الأنهار والري ١٠٠

الفصل الحادي عشر

تمليك الأرض ١٠٦
فتح العرب الشام ١٠٦
تقسيم الأرض بين الفاتحين وأهل البلاد الأصليين ١٠٦
أمثلة على إقطاع الأرض ١٠٧
تحبيس الأرض ووقفها ١٠٨
احتفاظ أهل الغوطة بأرضهم ١٠٩

محاولة بعض الملوك اغتصاب الغوطة ١٠٩
سبب خروج بعض أراضي الغوطة إلى أيدي الأغنياء ١١١

الفصل الثاني عشر

الجباية والأموال ١١٤
صلح دمشق ١١٤
جباية أموال الغوطة في عهد الأمويين والعباسيين ١١٥
جبايتها أيام المماليك والعثمانيين ١١٦
رأي قنصل إنكلترا في الضرائب ١٢٠
إرهاق أهل الغوطة بالضرائب ١٢١

الفصل الثالث عشر

الحكم والإدارة ١٢٣
تَعدّي البدو على الغوطة ١٢٣
تقسيم الغوطة إلى أقاليم ١٢٥
قضاة الغوطة ١٢٥

الفصل الرابع عشر

العلم والأدب ١٢٩
العلم في الغوطة أيام الصحابة والأمويين ١٢٩
مشاهير أهل الغوطة ١٣١
إهمال تعليم أهل الغوطة في العهد العثماني ١٣٥
عهد التقهقر في الغوطة ١٣٩

الفصل الخامس عشر

المدارس والخوانق والرُّبُط والزوايا والجوامع ١٤١
دور القرآن ١٤١
دور الحديث ١٤٢
مدارس الشافعية ١٤٢

مدارس الحنفية ١٤٣
مدارس الحنابلة ١٤٥
المدارس الحديثة ١٤٥
مدارس الطب ١٤٦
الخوانق ١٤٦
الرباطات ١٤٧
الزوايا ١٤٧
الجوامع ١٤٩

الفصل السادس عشر

مدنية الغوطة ١٥٠
رصد المأمون ١٥٠
رصد ألوغ بك ١٥٠
نهر يزيد ١٥٠
قناة المأمون ١٥٠
قبة المأمون ١٥٠
قبة النصر ١٥١
المناور ١٥١
الشَّرَفان ١٥١
الخطوط الحديدية ١٥٢
خط الترام الكهربائي ١٥٢
المستشفيات ١٥٣
المعامل الصناعية ١٥٤

الفصل السابع عشر

الأخلاق والعادات ١٥٦

الفصل الثامن عشر

عوامل الخراب ١٦٦

الفصل التاسع عشر

القرى الداثرة ١٨١

الفصل العشرون

القصور الداثرة ٢٠٦

الفصل الحادي والعشرون

الدُّيُورة الداثرة ٢١٤

الفصل الثاني والعشرون

وحي الغوطة ٢٢١
الخاتمة ٢٢٦
الفهارس ٢٢٧

كتاب الغوطة

ليس من السهل التوسع في الكلام على زراعة الغوطة وطبيعتها وتاريخها لأن القدماء قلما كان يعنيهم ما يعنينا اليوم من أمر البلدان، ولذلك لم يؤثر عنهم غير جمل قليلة لا تُوفِّي الغرضَ كله، وما وصلنا من المصادر أكثر مما ورد في الثّبَت الذي أوردناه بعد هذا.

صوَّرنا الغوطة بما وقفنا عليه من النصوص تصويرًا مقاربًا، ونحن على يقين أن وراء ما رسمنا أشياء كثيرة، لو قُيِّض لنا الظفرُ بها لانتظمت بها السلسلة المفقودة واتصل السند الضائع.

ولولا أنْ جَمَعَ ابنُ عساكر صاحبُ تاريخ دمشق ما تيسر له من أخبار القرن السادس وما قبله من القرون، واستعان بما دَوَّنه ابن المهنا الداراني في تاريخ داريا، وابن أبي العجائز في تسمية من كان بدمشق وغوطتها من بني أمية، وبما دَوَّن السميساطي في كتاب الديرة، ولولا أن جاء ياقوت في القرن السابع وعرض في معجم البلدان لأكثرِ قرى الغوطة ومن خرج منها من المحدثين، ولولا عناية شيخ الربوة في كتابه عجائب البر والبحر وتفرده بأشياء في الكلام عن الغوطة، ولولا رسائل ابن عبد الهادي في بعض خطط دمشق في القرن التاسع، ولولا ما دَوَّنه ابن طولون الصالحي من أسماء قرى دمشق في القرن العاشر، ولولا معلومات وردت بالعَرَض لمؤرخين دمشقيين على الأكثر كابن القلانسي والقرماني والظاهري وأبي شامة والذهبي وابن خلكان وابن فضل الله العمري والصفدي وابن العماد ـ لولا هؤلاء المؤلفين ما استطعنا أن نجريَ في هذا الطريق اللاحب شوطًا، ولا أن نُوفِّي من شروط التأليف شرطًا.

قد يقول بعضهم إن الضِّياع في العالم كثيرة، وهل الغوطة إلا مجموعة ضِياع، فما الذي ميزها عن غيرها حتى استحقت أن تفرد بالتأليف؟ ثم يزعم لها هذا الجمال، والجمال قد يكون في الصحارىٰ والبوادي. فالجواب أن الغوطة امتازت بخصائص كثيرة تفرقت في البقاع على ما تلمسه وتحسه فيما ستقرأه في هذه الباكورة.

ولقد اغتبطنا بما عثرنا عليه من شعر تجلى لنا به بعض غوامض موضوعنا، وهذا الشعر في الواقع جزء من أدبنا القومي يجب أن نتدارسه ولا ننساه.

وعلى كثرة ما حرصنا عليه من الاحتكاك بأبناء الغوطة للوقوف على ما سكتت عنه الدفاتر، مما له علاقة بحاضرها وغابرها، بقيت أمور ربما اهتدى إليها الباحثون بعدنا والله الهادي.

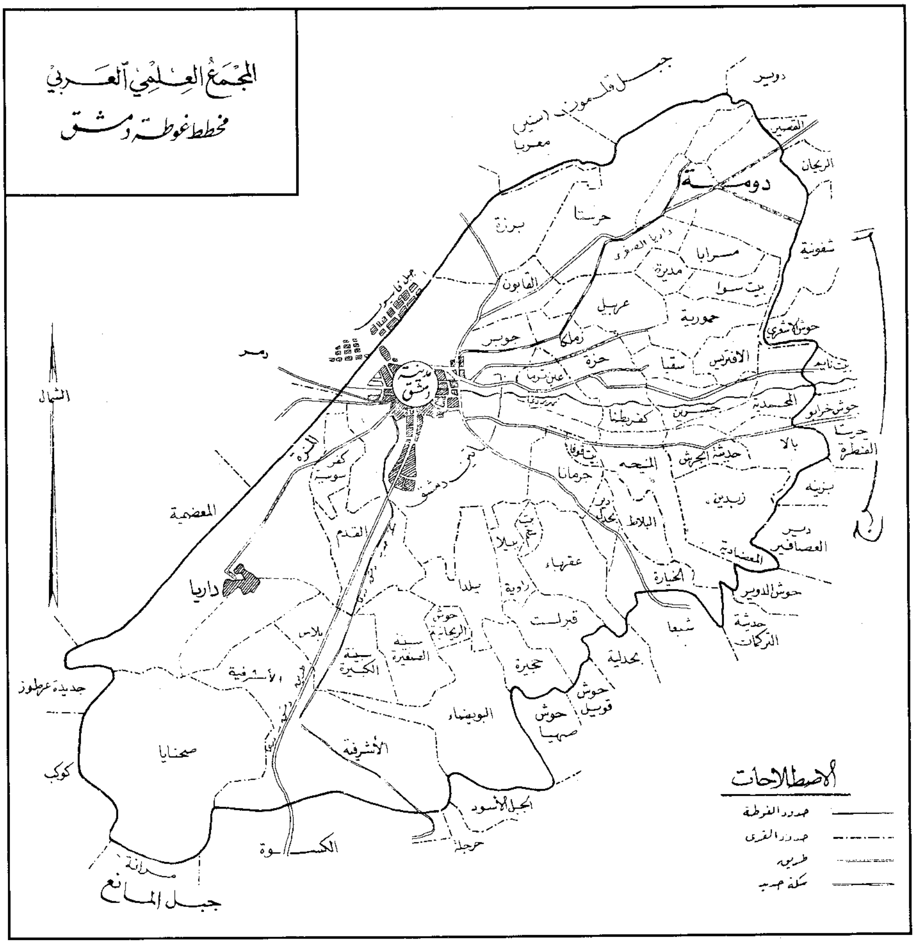
جسرين (غوطة دمشق) ١٧ شوال ١٣٦٨ **محمد كرد علي**
و١١ آب ١٩٤٩

شكر الناقدين

لما ظهرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب رجوت بعض أصحابي أن يَمُنُّوا عليّ بما عثروا عليه من الأغلاط لأصححها في الطبعة الثانية.

وممن أجاب الرجاء وانتفعت بنَقَداتهم الأساتذة عارف النكدي ومحمد أحمد دهمان وعبد القادر قويدر، وتفضل صديقي الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي فكتب تعليقات مفيدة في زراعة الغوطة وأحوالها الطبيعية والجغرافية والطبوغرافية، فجمع الكتاب بذلك بين معرفة القديم والمعارف العلمية الجديدة.

فلهم كلِّهم الشكر والمِنَّة.


المجمع العلمي العربي
مخطط غوطة دمشق
الاصطلاحات
حدود الغوطة
حدود القرى
طريق
سكة حديد
الشمال
مدينة دمشق
دومة
حرستا
برزة
القابون
جوبر
زملكا
عربين
حزة
سقبا
حمورية
مسرابا
مديرة
بيت سوا
الافتريس
كفربطنا
جسرين
المحمدية
المليحة
جرمانا
حتيتة الجرش
زبدين
بالا
الغزلانية
عقربا
بيت سحم
يلدا
ببيلا
حجيرة
قبر الست
شبعا
البويضاء
الأشرفية
صحنايا
داريا
المعضمية
المزة
كفرسوسة
القدم
سبينة الكبيرة
سبينة الصغيرة
ببيلا
حوش الريحان
الكسوة
الجبل الأسود
جبل المانع
حرجلة
كوكب
جديدة عرطوز
الريحان
الشيفونية
حوش نصري
حوش الدوير
حوش صهيا
حوش قويل
حديثة التركمان
دوير
معربا
جبل قاسيون
ربوة


المجمع العلمي العربي
مخطط الصالحية
الرموز
الشمال
قاسيون
بستان الدهشة الكبيرة
الشرف الأعلى
بستان قصر اللباد

الفصل الأول

حدود الغوطة

اشتق اسم الغوطة من الغائط، ومعنى الغائطِ المطمئنُ من الأرض، وجمعه غيطان وأغواط. وقال ابن الأعرابي: الغوطة مجمع النبات.

وورد اسم الغوطة بلفظ التثنية في الشعر القديم والحديث، قال أبو المطاع بن حمدان:

سقى الله أرض (الغوطتين) وأهلها … فلي بجنوب (الغوطتين) شجون
وما ذقت طعم الماء إلا استخفَّني … إلى (بردى) و(النَّيْرَبَيْن) حنين

وممن ثنّى الغوطة أبو نُوَاس الحسن بن هانئ بقوله:

يَأْمُمْن أرض (الغوطتين) كأنما … لها عند أهل (الغوطتين) نذور

وثنَّاها ابن عُنين بقوله:

ولاحت قصور (الغوطتين) كأنها … سفائن في بحر يعب عبابه

وقال:

وأيام دوح (الغوطتين) وظلها الظـ … ـليل إذا صام الهجير وصمما

وقال رشيد بن النابلسي:

وحَيّا حواشي (الغوطتين) من الحَيَا … ملث[1] إذا ما أبطأ الغيث أسرعا

---

(١) الملث المطر دام أيامًا. [أقول: لم يضبط المؤلف رحمه الله هذه الكلمة بالشكل، كما لم يضبط =

وثنّاها ابن الساعاتي أيضًا فقال:

سقى الله عهد (النيربين) عهاده وعيشًا لنا (بالغوطتين) تصرما
فلم أر ظلًّا سابغًا غير ظله ولم أر وِردًا غيرها ينقع الظما
عروس حصان كل يوم زفافها من الدهر عيدًا للسماح وموسما
له ركبت خيل الأماني مغيرةً وما ركبت إلا لتغنى وتغنما

والنيربان واحدهما النيرب وهي قرية كانت على نصف فرسخ من دمشق تدخل في الغوطة قال ياقوت: إنها أنزه موضع رآه. وفي «مراصد الاطلاع»(*) أن النيرب قد جاء في الشعر مثنى فلعل ياقوت فهم منه أن هناك موضعًا آخر وليس كذلك فإن الشاعر قد ثنى الغوطتين وليس إلا غوطة واحدة كما ثَنَّوا (الغيضتين).

قال ابن منير:

سقاها وروَّى من (النيربين) إلى (الغيضتين) و(حموريه)
إلى (بيت لهيا) إلى (برزة) دلاح[1] مكفكفة الأوعيه

ويقول المحبي إن النيربين موضعان من صالحية دمشق. والغيضتان غير معروفتين، والغياض كثيرة.

ويظهر أن القدماء كانوا يقصدون بالغوطتين الغوطة الغربية والغوطة

= كثيرًا غيرها في هذا الكتاب، وهذا ما دعاني إلى إنفاق الكثير من وقتي في مراجعة المعاجم، خدمة لِلقراء. ولم ترد هذه الكلمة في المعاجم في حرف الميم، وإنما في حرف اللام: لَثَّ = أَلَثَّ! واسم الفاعل من أَلَثَّ هو (مُلِثّ)! أَلَثَّ المطرُ: دام أيامًا لا يُقلع! (المراجع)].
الحَيَا: المطر.

(*) «مراصد الاطلاع» كتاب من تأليف البكري (المراجع).

(١) سحابة دلاح كثيرة الماء، ج دُلح.

الشرقية، وقال بعضهم الغوطتان الغوطة الشمالية والغوطة الجنوبية أو القِبْلية وقيل إنه كان يطلق على (الغوطة) اسم (البريص).

وقد ورد في شعر حسان بن ثابت يمدح بني غسان بقوله:

لله دَرُّ عــصــابــة نــادمــتــهــم يومًا (بجلَّق)[*] في الزمان الأول
أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية المعم المخول
يَسقون مَن وَرَدَ (البريص) عليهم (بردى) يصفق بالرحيق السلسل

قال ياقوت وهذا يدل على أن البريص اسم الغوطة بأجمعها، ألا تراه نسب الأنهار إلى البريص وقال يسقون ماء بردى وهو نهر دمشق من ورد البريص، ورواية البلاذري في فتوح البلدان أن أبا عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد يوم فتح دمشق التقيا بالمقسلاط وهو موضع النحاسين وهو البريص الذي ذكره حسان بن ثابت في شعره حين يقول: يسقون من ورد البريص عليهم البيت، ولا تعطي العبارة أن البريص هو بردى بل يفهم منها أنه مكان آخر.

ويقول ابن عساكر أن الفحص اسم الغوطة، والفحص في اللغة كل موضع يُسكن، وفي الأصل اسم لما استوى من الأرض وهو يصدق على الغوطة لأن أرضها مستوية في الجملة.

وأقدم نص ورد فيه إشارة إلى تحديد الغوطة كتاب خالد بن الوليد لبني مشَجعَة، وهو «هذا كتاب خالد بن الوليد لبني مشجعة أن لهم ساقية قُصم عذيها وسقيها وجلدها[1] عامر الأرض ما شرقيها، وأن لأهل الغوطة ما غربيها» هذا إذا ثبت أن الغوطة نفس هذه الغوطة وقُصم كما قال ياقوت

(*) اسم دمشق جِلَّق وجِلِّق (المراجع).

(١) الجلد بالتحريك الأرض الصلبة المستوية المتن، ونظنها ما نطلق عليه اليوم اسم الحماد ويبدأ بعد مرج الغوطة. والعذي بفتح العين وكسرها الأرض التي تسقى بالمطر.

موضع بالبادية قرب الشام من نواحي العراق مرّ به خالد ابن الوليد رضي الله عنه لما سار من العراق إلى الشام، فصالحه به بنو مشجعة بن التيم بن النّمر بن وبرة من قضاعة ثم منه إلى تدمر. ولعلهم كانوا على سيف (بكسر السين) البادية ساحل الوادي، ولكل ساحل سيف، وبه فيما نحسب يفسر بيت نابغة بني شيبان في وصف الجامع الأموي بدمشق:

وقبة لا تكاد الطير تبلغها   أعلى محاريبها بالساج مسقوف
لها مصابيح فيها الزيت من ذهب   يضيء من نورها (لبنان) و(السيف)

أي يضيء بها الساحل والداخل.

لم يحدد القدماء الغوطة ولم يعرفوها التعريف المطلوب.

وقد قال المقدسي إن مساحتها مرحلة في مثلها(١)، وقال القزويني: إن طولها مرحلتان في عرض مرحلة وقال ياقوت: إن استدارتها ثمانية عشر ميلًا، وقال شيخ الربوة(*): إنها من حيِّز دمشق ناحية يكون طولها ثلاثين ميلًا وعرضها خمسة عشر ميلًا، وقال ابن طولون الصالحي إن قرية زبدين آخر حدودها، وهو صحيح ولم يذكر حدها من الشرق والغرب.

وزعم ياقوت أن حرّان من الغوطة ويقال لها حرّان العواميد وهو غير صواب، والأولى أن يقال من مرج الغوطة(٢).

---

(١) المرحلة مسيرة يوم على الراكب المعتدل والميل مئة ألف أصبع إلا أربعة آلاف أصبع أو ثلاثة آلاف ذراع بحسب اختلافهم في الفرسخ هل هو تسعة آلاف ذراع بذراع القدماء أو اثنا عشر ألف ذراع بذراع المحدثين. وعرفوا الفرسخ أنه ثلاثة أميال هاشمية أو اثنا عشر ألف ذراع أو عشرة آلاف والذراع أيضًا يختلف باختلاف الأقطار والأمصار.

(*) شيخ الربوة هو شمس الدين أبو عبد الله محمد أبو طالب الأنصاري (المراجع).

(٢) خلط ابن طولون قرى الغوطة ببعض قرى المرج، ولم يفرق بين الإقليمين.

وذكر البكري أن قرية دمر من الغوطة وعَدَّ الدَّوّ(١) من الغوطة وقال إنها تلقاء البُضيع(٢).

والظاهر أن القدماء قدروا الغوطة على هذه الصورة بحسب ما رآها كل واحد في عصره، وكانت تتسع وتنقبض تبعًا للكائنات الأرضية والسماوية.

فقد قال صديقنا العلامة دوسو إن الغوطة تطلق على الصقع الذي يروى حول دمشق بين الجبل والبحيرتين (بحيرة المرج وبحيرة الهيجانة) حيث تنصب فضلات الأنهار، وإن الغوطة الآن إذا أُطلقت يراد بها الكورة التي فيها الحدائق والبساتين أي إن المرج غير داخل في الغوطة. وقال بعض القدماء إن الشام الثالثة، الغوطة ومدينتها العظمى دمشق. وقال مرتين: الغوطة أُريضة من أجلّ ما أحدثت يد الطبيعة تسقيها الأنهار الكثيرة وتكسوها الخضرة. ويغشّيها النبات الغض الموفور، عرضها نحو ستين كيلومترًا، وليس لهذا النجد البهيج من العلو إلا ٧٣٠ مترًا عن مساواة البحر. وقوله إن عرضها ستون كيلو مترًا فيه نظر ولعله يريد طولها، ولا يمكن أن يكون طولها كذلك ولو تجوزنا وأدخلنا فيها المرج.

ويستنتج من كتب الجغرافيا والتاريخ ودواوين الشعراء وأرباب الرحلات

---

(١) الدوّ ويخفف الفلاة المستوية الواسعة البعيدة الأطراف (التاج).

(٢) كذا البضيع مصغرًا ويروى بالفتح في شعر حسان بن ثابت:

أسألت رسم الدار أم لم تسأل بين الجوابي فالبضيع فحومل

والبصيع بالصاد المهملة وقال إنه جبل بالشام أسود. وجبل البضيع يعني جبل الكسوة المشرف على الغوطة هذا قول ياقوت. وروى في التاج عن الأزهري أنه رأى جبل البصيع وقال إنه جبل قصير أسود بأرض البلينة فيما بين تسيل وذات الصنمين بالشام من كورة دمشق. قلنا في وسط الكسوة جبل يناوح جبل المانع اسمه المضيع (بالميم والضاد والياء المشددة) ولعله هو. والبصيع أو البضيع هو ذاك الجبل الذي يقع في أول حوران. والجوابي واحدة الجابية وهي الحوض الذي يجبى فيه الماء للإبل، وهكذا أرض حوران والغالب أنه هو المقصود. وحومل اسم مواضع كثيرة من ديار العرب.

ومما اصطلح عليه القوم لعهدنا، أن الغوطة هي كل ما أحاط بدمشق من قرى شجراء، وكان من الأرض المطمئنة التي تروى من نهر بردى، وما اشتق منه من الجداول والأنهار الصغيرة أو القَنَىٰ[*]، وعلى هذا فحد الغوطة يبدأ غربًا من فوهة وادي الربوة فالمزة فداريا، وينتهي بالجنوب بصحنايا والأشرفية وسبينة وسبينات وحوش الريحانية، ومن الشرق الريحان والشفونية وحوش مباركة وحوش الأشعري وحوش المتبن وحوش خرابو والفضالية والنشابية وبيت نايم وينتهي في الشمال بجبلي قاسيون وسنير، وسنير المعروف اليوم بجبل قلمون ويسمونه لهذا العهد أيضًا بجبل الحلو، وهو فرع من فروع جبل لبنان الشرقي Anti - Liban وإلى ما بعد القرن السابع ما كان يطلق على هذين الجبلين إلا اسم سنير وجبل الثلج، ويشرف الجبل الأسود وجبل المانع على الغوطة من الجنوب، ومن الشرق أرض المرج، وهو إقليم متسع تبلغ مساحته ثلاثة أضعاف الغوطة، وهو أيضًا في نجد منخفض من الأرض وأشجاره قليلة وخصّ بزراعة الحبوب في الشتاء والذرة في الصيف[١]. ويقدر طول الغوطة

(*) القَنَىٰ جمع القناة، وهذه تُجمع أيضًا على قَنَوات، فالوجه أن يُكتب الجمع: القَنا. وبالمثل جمع مَهاة مَهَوات ومَهًا (المراجع).

(١) من ألقى رائد الطرف على الغوطة من جهة الشرق يرى أنها تنتهي بالتربة السوداء ويبدأ المرج بالتربة البيضاء، وهذا هو الحد الطبيعي للغوطة ولا تجود في قرى المرج الأشجار المثمرة لقرب المياه من سطح الأرض، وقد لا تعلو المياه عن المتر الواحد فتختنق جذور المشمش والجوز والزيتون وغيرها من الشجر المثمر، لكثرة المياه وحرمانها التنفس والهواء، ولا يجود فيها من الأشجار إلا الدردار والدلب والصفصاف والخلاف والحور الفارسي والحموي والأوكالبتس مما تنفعه المياه ولا تضره، هذا مع ما يزرع في أديمها من الحبوب.
ولذلك أحجم القدماء، بعد التجربة على ما رأينا، عن تشجير أرض المرج، وخصت الغوطة وحدها بأشجارها الباسقة الجنية الثمار الطويلة الأعمار.
ورأينا الأشجار ترقد أو تركد كما يقول الغواطنة بعد السنة العاشرة في أرض المرج أي يقف نموها أو تيبس لأنها تصاب بالبثق والرصع وهو اختناق الجذور بالمياه الأرضية =

بنحو عشرين كيلو مترًا وعرضها يختلف بين ١٠ و١٥ كيلو مترًا تقريبًا، وقد تمت مساحتها في العهد الأخير فبلغت (٣٠٠٠٠) هكتار أي نحو ثلاثة وخمسين ألف فدان والفدان ستة دونمات وكسر، والدونم مبذر مدّ من الحنطة، والفدان ٥٧١٣ مترًا مربعًا والدونم ٩١٩ مترًا مربعًا. وتدخل مدينة دمشق في هذه المساحة.

علق صديقنا الأمير مصطفى الشهابي على هذا الفصل ما يأتي:

حدود الغوطة، على حسب العرف في أيامنا هذه، هي المواقع والقرى الآتية (وهي داخلة فيها وكذلك مدينة دمشق):

شمالًا نهر يزيد في حي المهاجرين، وجنوبي حي الأكراد، ثم برزة وحرستا ودومة.

وشرقًا المزرعة والعب (من مزارع دومة) ومسرابا وبيت سوا وحمورية والمحمدية وبالا وزبدين والمليحة.

وجنوبًا خيارة نوفل وعقربا وقبر الست وحجيرة والبويضة والأشرفية وصحنايا.

وغربًا صحنايا وداريا والقسم الذي يُسقى من المزة.

فأراضي الغوطة التي هي ضمن الحدود المذكورة تبلغ مساحتها ٣٠٠٠٠ هكتار تقريبًا، على حسب خريطة دائرة المساحية لأقضية دمشق ودومة ووادي العجم وهي بمقياس ١/ ١٠٠٠٠٠.

أما المرج فيمتد من قرى الغوطة الشرقية الآنفة الذكر[1] حتى مناقع الهيجانة والعتيبة وأراضي رمدان شرقًا. وتبلغ مساحته نحو ٥٠٠٠ هكتار.

= ولا تبلغ شجرة الجوز في أوتايا وقلايا وغيرها من قرى الحدود في خمسين سنة ما تبلغه في أرض الغوطة في بضع سنين.

(١) يريد: المذكورة آنفًا (المراجع).

ولكن إذا عُدت منه أراضي دير الحجر والبيطارية في الجنوب زادت مساحته على ٦٠٠٠٠ هكتار أي ضعف مساحة الغوطة.

ويلاحظ أن التقسيمات الإدارية في هذه الأيام تختلف حدودها عن الحدود التي ذكرناها.

فقد أخرجنا من الغوطة بعض قرى تابعة لقضاء دمشق إداريًا كالمعظمية شرقًا[١]، وكشبعا والبحدلية وحوش سلطان وحوش الشعير وحوش صهيا جنوبًا، وكحوش العصافير وحوش الدوير شرقًا.

وعلى العكس أدخلنا في الغوطة قرى تابعة لقضاء دومة مثل بالا ودومة ومزارعها السبع وحرستا ومسرابا.

وتقع الغوطة في إقليم صحراوي لا يزيد معدل ارتفاع أمطاره السنوية على ٢٢٥ ميليمترًا (معدل أمطار ثلاثين سنة ثلثها قست أمطاره بنفسي) وأمطار الغوطة متفاوتة. ففي بعض السنين لم يزد ارتفاعها على ١٥٠ ميليمترًا، وفي بعضها نيَّف على ٣٠٠ ميليمتر. وهذه الأمطار قليلة إجمالًا. فلولا بردى والفيجة لكانت الغوطة صحراء، وكذا المرج.

ومعدل الحرارة السنوية في الغوطة ١٦ درجة مئوية (معدل سبع سنين وهي مدة صغيرة) فإقليمها إذن معتدل. ويتفاوت المعدل السنوي للحرارة بين ١٤ درجة و١٧ درجة. وقد تبلغ أعلى درجة للحرارة في الصيف ٣٨ درجة في أيام معدودة. وقد تهبط حتى عشر درجات تحت الصفر في الشتاء، وهو شيء نادر.

وتعلو الغوطة نحو ٧٠٠ متر فوق سطح البحر في المزة والنيربين أي في أجزائها العليا. أما معظم أراضيها فلا يتجاوز علوها ٦٥٠ مترًا، ولاسيما

---

(١) لعلها غربًا (المراجع).

شرقيّ دمشق. وتنخفض أراضي الغوطة والمرج تدريجيًا إلى علوّ **٥٩٩** مترًا عند بحيرة العتيبة.

ويستدل من المجموعة الإحصائية الحكومية على أن سكان الغوطة على حسب الحدود التي ذكرناها، بلغوا مئة ألف نسمة ونيفًا في سنة **١٩٤٨**.

أما سكان دمشق في تلك السنة فعددهم **٣١٧٢٥٠** نسمة.

وتربة الغوطة جيولوجيًّا غرين من راسبات بردى والفيجة تقوم على أرضين كلسية تابعة للطور الطباشيري من الحقبة الثانوية. وتركيب هذه التربة طيني كلسي إجمالًا. وقد قلّ فيها النتروجين لفرط استغلالها ولذا فهي تحتاج دائمًا إلى التسميد.

الفصل الثاني

البساتين والقرى

يقول ابن شداد إن الغوطة تشتمل على خمسة آلاف بستان وثلاثمئة وخمسة وأربعين بستانًا وعلى خمسمئة وخمسين كرمًا. وقال شيخ الربوة إن بساتين دمشق مئة وواحد وعشرون ألف بستان تسقى بماء واحد. وقال كاتب چلبي إن الغوطة مئة وثلاثين ألف بستان. وقال ابن إياس إنها بساتين كلها. وهذا الوصف الأخير أقرب إلى الحقيقة، ويصدق عليها هذه الأيام خاصة[1]. وقد أكثر الغوطيون من غرس الأشجار فزادت بذلك بساتين دمشق زيادة تذكر. ولا يستبعد أن تبطل بعد نصف قرن معظم زراعة الحبوب من الغوطة ويستعاض عنها بالأشجار المثمرة وغير المثمرة، والبقول وبعض النباتات الصناعية.

حدث أحد الشيوخ أنه كان في طفولته إذا وقف مع أهله أمام قبة سيدي أُبيّ، على مقربة من سور البلد في الجنوب، يرى قريتي جرمانا والمنيحة من بعيد، وذلك لأن هذه الحدائق التي نراها تحجب النظر عن أن يسرح مئة متر، كانت خالية من الشجر فغدت اليوم غابات غبياء، وأدرك الجيل الذي قبلنا أن قريتي الحديثة وبالا كانتا كقرى المرج تزرعان الحبوب والخيار والقنب فقط،

---

(١) يريد سنة ١٩٤٩، لا سنة ٢٠١١! (المراجع).

وأشجارها قليلة جدًا، وربما عُدَّتا من المرج، وهما لعهدنا من أكثر قرى الغوطة شجرًا مختلفًا أنواعه.

ويقول الظاهري: وقيل إن في إقليم الغوطة ثلاثمئة قرية ونيفًا وبها مدن صغار وبلدان تشابه المدن. وقوله هذا دليل على أن الغوطة كانت عامرة جدًا على عهد المماليك، وأصابها الخراب زمن الترك العثمانيين فخرب معظم قراها وانضمت أرضها إلى القرى المجاورة، وابذعَرَّ سكانها واضمحل عمرانها، وما يشاهد من الدمن والتلال في أرجائها أصدق شاهد على ذلك. وربما كان في قول الظاهري بعض المبالغة في دعواه أن فيها أكثر من ثلاثمئة قرية ولا تبلغ هذا العدد فيما نحسب ولو ضممنا إلى هذا العدد قرى المَرْجَيْن. ويرى دهمان أنه ربما كان هذا العدد من القرى تقسيمًا إداريًا فدخلت فيه قرى المرج وبعض جبل سنير.

وفي القرن السابع كشف[١] الملك المعظم ضياع الغوطة فوجدها مئة وسبعين قرية عامرة منها أربع وثلاثون قرية سلطانية وسائرها أملاك لأهلها. والأرجح أن القرى السلطانية هي التي نطلق عليها اسم الأميرية لعهدنا وقد نزلت عنها الدولة في القرون اللاحقة للأهلين فأصبحت الغوطة كلها ملك النازلين فيها. يقول سبط ابن الجوزي أن المعظَّم كشف أيضًا الضياع (التي كانت تحت حكمه) فوجدها ألفي قرية منها ألف وستمئة أملاك لأهلها وأربعمئة سلطانية.

وذكر ابن طولون الصالحي أن بالغوطة سبعين قرية وبعضها الآن دارس ولم يهتد إلى تحديدها، فنقل عن ابن شداد أنها شرقي دمشق وشماليها وذكر قرى واقعة غربي دمشق وفي جنوبها وجنوبها الغربي، وعدَّ من الغوطة قرى ليست منها مثل بيت نايم وتل كردي وحرستا القنطرة والجديدة والعبادة

(١) على مجلد مخطوط في دار الكتب الظاهرية (مجاميع).

وعذراء والسويداء، وهذه من مزارع الجربا في المرج، والأبرشية وتل الشعير وتل الذهب وحزرما وحران العواميد والدوير والبحدلية والقيسا. وجميع هذه القرى ليست من الغوطة، وقرى الغوطة اليوم أربع وأربعون قرية أهمها من حيث وفرة السكان (دومة) حاضرة الغوطة الشمالية و(داريا) حاضرة الغوطة الجنوبية.

ثم تجيء كفرسوسية (والمزة) و(حرستا). أما سائر القرى فيختلف سكانها من بضع عشرات من الأنفس كالحديثة وبالا والافتريس والمحمدية إلى بضع مئات، ومنها ما يبلغ الألف والألفين والثلاثة والأربعة كجرمانا والقابون وبرزة وسقبا وحمورية وكفر بطنا وجسرين والمنيحة وصحنايا وزملكا.

وإليك أسماء قرى الغوطة بأجمعها:

(١) الأشرفية[١] (نفوسها ٦٧٦ نسمة[٢]).
(٢) الافتريس[٣] (١٤٦).
(٣) بالا (القديمة والجديدة نحو ١٠٠ نسمة).
(٤) ببيلا[٤] (١٣٦٠).
(٥) برزة (٤٢٣٩).
(٦) بلاس (تابع صحنايا).
(٧) البلاط[٥] (٦٥٥).
(٨) البويضاء (البويضة) (٥٧٦).

---

(١) يقول ابن المنجا إن الأشرفية من الضِّياع المستحدثة.

(٢) اعتمدنا على إحصاء سنة ١٩٥٠ في نفوس أهل الغوطة.

(٣) ورد رسمها في بعض المصادر فتريس بدون ألف، ولم يذكر ياقوت في معجمه قرى عربيل وزبدين وعقرباء والخيارة وسبينة وسبينات وبيت أبيات والمحمدية والافتريس، وذكر كثيرًا من القرى الداثرة مثل صنعاء وبيت الأبيات وبيت ارانس (رانس) وبيت أبيات الخ.

(٤) وقفت ببيلا خطلجة بنت إبراهيم والدة فروخ شاه ابن شاه شاه بن أيوب خلا ما فيها من مساجد وطرق ومعابر وذلك سنة ٥٩٣ كما في كتاب التمهيد. ويستدل من هذا النص أنها كانت قرية عظيمة لأنه كان فيها مساجد ومقابر.

(٥) في التمهيد أن القاضي الفاضل اشترى من الملك الناصر صلاح الدين قرية البلاط من الغوطة =

(٩) بيت سحم (١٠٤٣).
(١٠) بيت سوا[١] (٧٩٥).
(١١) بيت قوفا (تتبع جرمانا).
(١٢) حجيرة (٤٠٦).
(١٣) الحديثة (حديثة الجرش) (١٦٣).
(١٤) حرستا[٢] (حرستا البصل) (٦٥٨٧)
(١٥) حزة (١١٢٣).
(١٦) حمورية (٢٠٣٠).
(١٧) حوش الريحانية.
(١٨) جرمانا[٣] (٣٥٧٧).
(١٩) جسرين[٤] (١٤٦٧).
(٢٠) جوبر (٨٩٣٧) (يضاف إليهم نحو ألف شخص توطنوا دمشق).

(٢١) الخيارة (خيارة نوفل) (تتبع قرية عقربا). (٢٢) داريا (٨٦٤٣).
(٢٣) دومة (٢٠٤٥٨).
(٢٤) دير بحدل[٥] (لا تضبط

= في العشرين من المحرم سنة أربع وثمانين وخمس مئة. وفي بعض المصادر أنه كان يطلق على قرية البلاط قرية البلاطة وفي ياقوت بيت البلاطة.

(١) في بعض كتب الذهبي: بيت سواء بالهمزة في الآخر.

(٢) رسمها صاحب القاموس هكذا: حرستا وقال إنها بلدة بباب دمشق وأهلها الآن يلفظونها هكذا على لغة تميم بالإمالة والنسبة إليها حرستاني وحرستاوي ويقولون اليوم حرستاني ويجمعونها على حراستة.

(٣) في معجم البلدان لعلها جرمانس.

(٤) كان محمد بن شاهنشاه ابن الملك الأمجد بهرام شاه غياث الدين يتردد إلى أملاكه في جسرين. وهذه الأملاك انتقلت إلى مالكين آخرين كسائر المزارع والضياع ولم يبق ذكر في جسرين لهذه الأسرة كما لم يبق ذكر لكل من ملكوا القرى بالشراء الشرعي أو بالإقطاع أو بغير ذلك من طرق التملك.

(٥) ذكر ابن عبد الكافي أن قرية البحدلية من الغوطة، والصحيح أنها خارجة عنها وهي غير دير بحدل وهذه في جوار قرية المنيحة.

نفوسها لأن أرضها ملك بعض أهل دمشق يجلبون إليها الفلاحين من أماكن أخرى وقلما يسكنون فيها سكنى قطعية وربما كان الساكنون فيها نحو خمسين نسمة).

(٢٥) زملكا[١] (١٨٣٥).

(٢٦) زبدين (٣٥٢).

(٢٧) سبينة[٢] (٢٤٠).

(٢٨) سبينات. (٢٤٠).

(٢٩) سقبا (٣٠٠٠).

(٣٠) صحنايا (٧٤٥).

(٣١) عربيل (عربين) (٦١٧٩).

(٣٢) عقرباء (عقربا) (٦٨٠).

(٣٣) عين ثرماء (عين ترما) (٩٢٠).

(٣٤) القابون (الفوقاني والتحتاني) (٣٦٣٥).

(٣٥) القدم (نفوسها أربعة آلاف وضمت إلى دمشق).

(٣٦) قبر الست (راوية قديمًا) (٦٢٨).

(٣٧) كفر بطنا (١٩٩٤).

(٣٨) كفر سوسية (أضيفت إلى دمشق كأنها حي من أحيائها ونفوسها ثمانية آلاف عدا الطارئين عليها ويقدرهم بعض أهلها بخمسة آلاف).

(٣٩) المحمدية (٢٢٥).

(٤٠) مَدْيَرَة[٣] (٥٥٣).

---

(١) رسم صاحب القاموس زملكا زملكان بالنون وقال إن منها شيخه أبا المعالي.

(٢) رسمت في الدارس بألف ولام هي وجارتها فجاءت السبينة والسبينات.

(٣) رسمت في الدارس هكذا: مديرى.

(٤١) المزة (سبعة آلاف) والطارئون
عليها ثلاثة آلاف وقد ألحقت بدمشق
فأصبحت حيًا من أحيائها.

(٤٢) مسرابا (٩٣٢).

(٤٣) المنيحة (المليحة) (١٤٦٧).

(٤٤) يلدا (١٨٩٩).

والنسبة إلى هذه القرى هنا كالنسبة إلى القرى عامة، اختار لها القدماء والمُحْدثون ما سَهُل على النطق، فيقولون في دوما الدوماني أو الدومي وفي حرستا حرستاني أو حرستاوي، وينسبون إلى بيت سوا بيت سواني وإلى عين ترما عين ترمي، ويقولون في الجمع عتارمة، وإلى المليحة مليحي ومليحاني وإلى برزة برزاوي وإلى عقرباء عقرباني.

وإذا جمعت البساتين المحيطة بدمشق مثل بساتين الصالحية والربوة والمزة وباب السريجة والقنوات والميدان والشاغور والعنابة تألف منها بضع قرى.

ومن القرى ما كان على أبواب دمشق فدخل فيها كما دخلت فيها الأرزة وسطرا ومُقرا وغيرها على ما يجيء في فصل قراها الداثرة. ومنها ما امتد إلى ما وراء السور: الصالحية، العقيبة، ميدان الحصا، الصفوانية. ومن القرى ما كان صغيرًا منذ قرون فعَظُم واتسع مثل جسرين كانت بلدة فأصبحت قرية متوسطة. ومنها ما كان كبيرًا فصغر مثل البويضة وزملكا وبلاس وعقرباء. قالوا إن البويضة بلدة كبيرة تحت يلدا، قال في التاج والبويضاء قرية بالقرب من دمشق وأهلها مشهورون بالجود، بها مات الملك الأمجد. وذكر صاحب نزهة المشتاق أن (بلاس) قرية كبيرة وقد قرنها حسان بن ثابت في الجاهلية بداريا منذ قال:

لمن الدار اقفرت بمغان — بين شاطي اليرموك فالصمان
فالقريات من (بلاس) (فداريا) — (فسكاء) فالقصور الدواني

وسكاء كانت تعرف في القرن السابع بقصر سكا كما في كتاب التمهيد وهي مازالت باقية وليست من قرى الغوطة.

كان في بعض قرى الغوطة أسماء تبدأ بكَفَرْ، والكَفَرُ القريةُ بالسريانية، ولم يبق منها الآن سوى كفرسوسية وكفر بطنا. وأسماء بعض القرى الحاضرة والداثرة سريانية، مثل محضة مثل برزة ومعناها بيت الأرز، جرمانا ـ عظمى، جسرين ـ جسور، حجيرة ـ عرج، حرستا ـ خشنة، حزة ـ حُفَر، داريا ـ دور، زمَلْكا ـ رواق الملك ومصيفه أو سلاح الملك، سبينة ـ مبتاعون، سقبا ـ شيخ، عربيل ـ غربال، قابون ـ عمود، كفر بطنا ـ قرية الجنين، كفرسوسية ـ قرية الفرس، مَدْيَرى أو (مديرة) ـ طبقات البناء، مسرابا ـ مشرب، يلدا ـ ولد.

ومن أسمائها ما هو من أصل عربي مثل المنيحة، المحمدية، القدم، عين ثرماء، الحديثة، الأشرفية، الخيارة، البلاط. ومن الأسماء ما كان أصله فارسيًّا أو يونانيًّا أو عبرانيًّا (فافتريس) تحريف فاراتريس أي ضارب الأعداء ومبيدهم وهو من أسماء المشتري و(مقرا) من مكر اليونانية بمعنى المستطيلة. والمعقول أن مقرا سميت على اسم مخلاف من مخاليف اليمن جاء بها اليمانيون كما أطلقوا أسماء بعض مخاليفهم على قرى أخرى من الغوطة مثل خولان وصنعاء وقينية والحميريين والأشعريين والسفليين و(المزة) قيل عبرانية، سميت على اسم حفيد عيسو ومعناها الخوف، وقيل يونانية الاسم بمنى التل أو الربوة، وجوبر قيل من الفارسية من جويبار مسيل النهر العظيم.

وفي الغوطة أنهر تنسب لإحدى القرى، دثرت القرية وبقي اسم نهرها، مثل قناة دير بشر المارة بحوش بلاس، تنسب إلى بشر بن مروان الأموي ومثل قناة بيت ارانس والقناة تمر بأرض الشاغور ولا أثر لبيت أرانس، ومنها نهر حُردان (بضم الحاء) نسبة لقرية كانت فوق سقبا بقي اسم نهرها فقط يلفظونه بفتح الحاء.

وإن ما نراه من تقارب بعض القرى من بعض برهان على اكتظاظ أرض الغوطة قديمًا بالقرى والمزارع والقصور، والظاهر أنه ما كان بين القرية وجارتها أكثر مما نرى من البعد الآن بين يلدا وببيلا، وعقرباء وجرمانا، وجسرين وكفر بطنا، وسقبا وحمورية وذلك ليتمكن أهل القرى من تجويد زراعاتهم، وفرقٌ بين قرية تكون حقولها على قيد غَلوة وأرض بعيدة عن المساكن الساعة والساعتين.

قال ابن كثير: هذا يقتضي بادي الرأي أنه ـ أي عمر ـ دخل دمشق وليس كذلك فإنه لم يقل أحد أنه دخلها.

ويروى أن أمير المؤمنين المأمون أقسم يومًا وقد نظر إلى أشجار الغوطة ونباتها أنها خير مغنًى على وجه الأرض، وقال: عجبت لمن يسكن غيرها كيف يَنْعم مع هذا المنظر الأنيق الذي لم يخلق مثله.

وكان ملوك بني العباس يخفون إلى دمشق على ما قال ابن عساكر طلبًا للصحة وحسن المنظر ومنهم المأمون.

يعتز الغواطنة بإقليمهم وهم يقدرونه قدره ويقولون في أمثالهم «شبر بأَلْيَة الخروف ولا ذراع بذنب الثور» يريدون بأن جزءًا صغيرًا من أرضها أَعْوَدُ على صاحبها ممن يملك مساحات عظيمة في غيرها من الأرض الفقيرة. ومن يملك في الغوطة أربعة أفدنة ويقوم بنفسه على تعهدها فهو سعيد مرفَّه. ومن مزاياها أن أهلها يجزئهم ما تنبته لهم أرضهم من المواد الأولية. ولو كان عندهم الحديد والفحم الحجري لما احتاجوا إلى شيء في صناعاتهم وزراعاتهم، ومعظم تربة الغوطة سوداء وتقل فيها التربة الحمراء والبيضاء، والمادة الصالحة للزرع في أرضها قد تكون إلى أربعة أو خمسة أمتار من سطح الأرض، ولا يصل من يحفرون فيها إلى طبقة الحصباء والحجر لكثافة المادة الطينية. والغوطة تحتاج أرضها إلى الراحة لكثرة ما أكثر القائمون عليها من الزرع بلا فاصلة على مر السنين.

ومن مزاياها أنها لكثرة أنواع محاصيلها من ثمر وبقول وحبوب ونباتات صناعية وأشجار حراجية إذا أصابتها آفة سماوية في بعض السنين تستعيض من الأصناف الباقية ما تعيش به سَنَتَها.

وما برحت الغوطة تأخذ من دمشق وتعطيها، تعطي الأولى للثانية ثمارها وحبوبها وبقولها وألبانها، وبعض رجالها يعملون في الصناعات والشؤون التي تتوقف على سواعد الأقوياء، وتعاون دمشق الغوطة إذا أعوزها المال

وحاربتها الطبيعة بالجدب والأوبئة وغيض ماؤها وعَدَا عليها أعداؤها. ولما وقف صاحب المدرسة الأشرفية بدمشق مدرسته أمر أن يصرف من مَغَلّ الوقف ما تدعو الحاجة إليه من تقوية الفلاح وإقراضه وشراء دواب وآلات، وكان قصده أوّلًا وبالذات فلاح الغوطة، والأقربون أولى بالمعروف. والواقف العظيم كان يشعر ولا شك بضرورة مثل هذه المعونة للفلاح الغوطي وهو يراه يضيق بعض السنين ولا يجد من ينجده.

نعم تأخذ الغوطة من دمشق ودمشق من الغوطة، ويجتمع الغوطيون بالدمشقيين كل يوم في أسواق الثمار والبقل والجبن والإسكافيين[١] والسروجيِّين والأَكّافين[٢] والقَوّافين[٣] والحدّادين وأسواق الخيل والبقر والحمير والغنم والجمال وأسواق الصوف والقطن وقشر القنب والحبال والغزل. وكما كان لكل قرية في الغوطة لهجتها الخاصة فكذلك نشهد في الغالب لنساء كل قرية زِيًّا خاصًّا قبل هذا التطور.

ومما جعل روح الغوطة واحدًا أن قراها في القرون الأولى كانت متشابكة لا تبعد القرية عن جارتها أكثر من دقائق قليلة، ولذلك تمازج السكان وتعاونوا وتعاطفوا وكانوا على تكافل بينهم في حال سعتهم وضيقهم وفي سلمهم وحربهم، ولاسيما منذ خفتت نغمة قيس ويمن على ما نفصّله بعد هذا.

---

(١) يريد: الأساكِفة، جمع الإسْكاف، وهو صانع الأحذية ومُصْلِحها (المراجع).

(٢) الأَكّافُ: صانع الإكاف أي البرذعة أو البردعة، أي ما يوضع على الحمار، أو البغل لِيُركَبَ عليه، كالسَّرْج للفرس. (المراجع).

(٣) القَوّافُ: بائع أصناف النِّعال من صرامي وجزمات وبوابيج وغيرها. [قاموس الصناعات الشامية، تأليف: جمال الدين القاسمي وخليل العظم، الجزء ٢]. (المراجع).

الفصل الرابع
السكان والأديان

كانت السريانية لغة الشام قبل الفتح العربي، واللغة الرومية هي اللغة الرسمية. وكانت الآرامية لغة سورية القديمة ولغة الكلدانيين.

وكان الكلدانيون يتكلمون بالرومية مجاراة لحكومتهم، ولم تكن الآرامية لغتهم الخاصة ولا العلمية، وظهرت السريانية في القرن الثاني بعد المسيح وهجرها أهلها نحو القرن الثاني عشر. وأهل معلولا وبخعة وجبعدين في جبل سنير يتكلمون إلى عهدنا بفرع من هذه اللغة يسمونها بالسريانية، وهي مُحَرَّفة عنها على ما يظهر.

ودخلت اللغة العربية كورة الغوطة قبل الإسلام لنزول بني غسان فيها ولأن تجار العرب ما انقطعوا عن نزول هذه الديار منذ أقدم العصور. ثم انصهرت اللغة السريانية في اللغة العربية لتقاربهما ولأنهما ترجعان إلى أصل واحد ساميّ.

ولما جاء خالد بن الوليد مَدَدًا لجيش الشام من العراق غزا بني غسان في الغوطة يوم فِصْحِهم أي إنهم كانوا سكانها أو معظم سكانها يومئذ.

قال اليعقوبي أن أهل كورة الغوطة غسان، وبطونٌ من قيس، وبها قوم من ربيعة، ومن كلب بأرض الغوطة عامر بن الحصين بن عُليم وابن رباب

المعقلي. فبعض سكان الغوطة إذن من أصول عربية، وأكثر مَن نَزَلَها في الفتح كانوا من العرب، دع من كان فيها من الغساسنة وغيرهم قبل الإسلام.

وفي مسالك الأبصار أن من بني زُبيد فرقة بغوطة دمشق، وقالوا إن ممن نزلها آل علي فرقة من آل فضل وديارهم مرج دمشق وغوطتها بين إخوتهم آل فضل وبني عمهم آل مرا. قال في التعريف وإنما نزلوا غوطة دمشق حيث صارت الإمرة إلى عيسى بن مهنا. وذكر القلقشندي من قبائل العرب كثيرين منهم آل رحال كانت منازلهم في الغوطة وهم بطن من زبيد آل علي وهم بعض من آل فضل عرب الشام وديارهم مرج دمشق، والحريث بطن من زبيد من القحطانية. وعلى ذلك فعرب الغوطة أمشاج من القبائل تبدلت أسماؤها على توالي القرون كما تبدلت أسماء منازلهم في ظاهر دمشق والغوطة منذ دخلت في حكم العرب.

أما أديان الغوطة فقد تأصل الإسلام فيها من أوائل القرن الأول وأصبح أهله على الأيام الكثرة الغامرة، وكلهم جَماعِيُّون من أهل السُّنة ولم يتشيعوا، وكان في الشام مذهب الشيعة الإسماعيلية مذهب الدولة الفاطمية أكثر من قرنين. وفيها مئات من المسلمين الدروز في جرمانا وصحنايا والأشرفية.

وقد استغرب ابن طولون الصالحي من أهل القرن العاشر كون أهل جرمانا تيامنة قال: وهذا عجب من كونه في هذه الغوطة فإن أهلها جميعهم من أهل السنة. ويريد بالتيامنة سكان وادي التيم من سفوح جبل الشيخ وكانوا ومازالوا من الدروز.

ولم يعرف العصر الذي أصبح فيه الدين المسيحي دين الأقلية، وليس بها لعهدنا سوى بضع مئات من النصارى في داريا وعربيل وحرستا وصحنايا والأشرفية. وكان بعض أهل قرية جوبر يهودًا إلى ما بعد القرون الوسطى فانتقلوا إلى دمشق في زمن لم نعرفه، ولم يبق لهم فيها سوى كنيس مقدس

يزورونه ويقيمون فيه صلواتهم. ويقول دوسو أنه في عهد الشفالية دارفيو من أهل القرن الثامن عشر كان اليهود يسكنون قرية جوبر.

والمذهب الغالب في الغوطة مذهب الشافعي وأهل بلدة دومة حنابلة. والطرق فيها ضئيلة ومنها بقايا في أمهات القرى لا يكاد يشعر بها وهي آخذة بالاضمحلال، وحدثني ثِقةٌ أن في قرية كفرسوسية سبعَ طرق صوفية.

ولقد اعتاد الغوطيون الصلاة جماعة في مساجدهم، يحافظون على الصلوات محافظتهم على صيام رمضان، ويحج فقراؤهم، ومتوسطوهم أكثر من أغنيائهم. وصاحب المال يخرج زكاة أمواله على صورة متقطعة. وتكون صدقات على من يرى بِرَّهم. وكلما بعدت المزارع عن أُمهات القرى لا تحس فيها أَثَرًا للتدين، لأن مجموع سكانها من العَمَلَة المتنقلين لا المقيمين الثابتين. يشتغلون في أرض أرباب الأملاك، وهؤلاء لا يهمهم تعليم فلاحيهم دينهم ولا فتح مدرسة لأبنائهم تُخْرِجُهم من الأمية. وتكثر إقامة الشعائر في القرى الآهلة بالسكان فقط. والسواد الأعظم في الغوطة لا يحسن تلاوة سور الصلاة ولا يعرفون من تعاليم الإسلام إلا ما لا بال له (أما النساء فجَهْلُهُنَّ الجهل المضحك المبكي) ذلك لأنه يقلُّ في خطباء الغوطة وأئمتها من يُحسِن تأدية عمله على الوجه الأكمل. ووجوه القرية، وهم من صميم العامة على الأكثر، ينصبون الإمام والخطيب، والعامة لا يحسنون من أمور الدين إلا ما علق بأذهانهم من آبائهم وأمهاتهم فقط.

ينمو سكان الغوطة بعاملين العامل الأول كثرة الزواج في الغوطيين والعامل الثاني وفرة الواردين عليها من القاصية والدانية.

فدومة مثلًا يكثر فيها الغرباء النازحون من المرج وجبل سنير، يختلطون بأهلها فيصبحون بعد مدة قليلة كأنهم من أعرق أهلها فيها. ولا تكاد تجد قرية واحدة اكتفت بسكانها الأصليين بل تراهم أبدًا مزيجًا من أهل الشرق والغرب وفي قرية صغيرة من قراها تجد جالية من الهند والأفغان وتونس والجزائر ومن

دمشق بالطبع. وتجري الغوطة في تكثير سواد أبنائها على مثال عاصمتها الكبرى دمشق، فإن معظم سكان هذه الحاضرة من الغرباء نزلوها في أدوار مختلفة وامتزجوا بأهلها حتى صاروا كأهلها.

الفصل الخامس
الفصيح في كلام أهل الغوطة

على الرغم من انتشار العامية في الغوطة وفي جميع البلاد العربية ما برح سكان الغوطة والأقاليم المجاورة لها يستعملون عددًا كبيرًا من فصيح الكلم هاكم بعضَها مُرَتَّبًا على حروف الهِجاء بحسب النطق بها.

(أ)

«اجترت الدابة»: مضغت لقمة تعلَّلَتْ بها إلى وقت العلف.

«أحّ»: سعل.

«احتجر الأرض»: ضرب عليها منارًا.

«الأزعر»: جمعه زعران الذي يسطو على غيره ويلقي الذعر في النفوس.

«الاستطراق»: طلب الطريق في حد من الحدود.

«الاصطبل»: مأوى الدواب.

«أصمغت»: الشجرة خرج منها الصمغ.

«أصنّ»: سكت، وهو مُصِن أي ساكت.

«أطعم الشجر»: أدرك ثمره، ومن فصيحهم اسبل وافرك وفي الفصيح: أفرك الحَبُّ حان له أن يفرك واستفركت السنبلة سمنت واشتدت، والفريك

المفروك من الحب والمشويّ من الحنطة. ويطلقونه أيضًا على المشمش المجفف بالشمس قليلًا.

«أفلته»: أطلقه وخلصه للطائر وللرجل، وفلّته.

«التحم الجرح»: التزق.

«اندمل الجرح»: تراجع إلى البرء.

«الأهوج»: المتسرع في الأمور كما يتفق.

(ب)

«باخ»: تغير لونه، وثوب بايخ متغير اللون، وحديث بايخ لا محصِّل له.

«بجم»: غبي، أخرق عندهم، وهي في الأصل من لا يمكنه النطق بسهولة.

«بح الصوت»: إذا أخذته بحة وخشونة وغلظ في صوته.

«البحبحة»: التوسع في النفقة، وتبحبح تمكن في المقام والحلول.

«بحتر»: حَرَّفوها وهي بحثره (بالثاء) من بحثره بحثه وفَرَّقه.

«البحرة»: ما انخفض من الأرض وعندهم أرض تسمى البحرات.

«البراح»: المتسع من الأرض لا زرع فيها ولا شجر.

«برشق»: لوّن، من برشق الشجر أزهر، والنَّور تفتق، والعروس مبرشقة أي مزينة بالألوان.

«برطم»: فلان مبرطم أي مغيظ من البرطمة وهي الانتفاخ من الأنف، والبرطمة غضب مع عبوس.

«بزل القرحة»: وبزّلها فَتَبَزَّلت وأُبزلت شقها.

«البسط»: هو مبسوط مسرور.

«البطة»: الدّبة، أو إناء كالقارورة.

«البكير»: بتشديد الكاف من بكر إلى الشيء خرج إليه باكرًا.

«بلص»: من بلّصه بتشديد اللام إذا أخذ ماله فلم يدع شيئًا عنده.

«البلبلة»: تفرق الآراء.

«بلط»: يقولون هو مبلط: معيى من أعيى، يستعملونها في الإعياء عامة.

«البيت»: بيت الرجل داره، وبيته قصره، ومنه في الغوطة عدة قرى تبدأ بِبَيْت والأرجح أن يراد بها قصر.

(ت)

«التجليط»: الكذب، وفلان يجلط.

«تخ تخ»: زجر للدجاج.

«التسميعة»: من سَمَّعَهُ الحديث إذا سَمَّعَهُ إياه ويريدون بالتسميعة إسماع رجل كلامًا ظاهره لغيره وهو المقصود به.

«تَسَوَّق»: القومُ باعوا واشتروا.

«تعنْفص»: العَنْفصة الصلف والخفة والخيلاء والزهو يقولون فلان متعنفص.

«تفرعن»: تكبَّر وتجبَّر.

«التلتلة»: الزعزعة.

«تناكفا الكلام»: تعاوراه، يقولون: فلان يناكف فلانًا أي يضايقه.

«التنور»: مكان خبز الخبز ويستعملونها أيضًا في تنور جورة القنب وفي القاموس والتنور كل مفجر ماء.

«التيغار»: أبنية من الطين يعصر بها المشمش. وفي القاموس التيغار كثيفال الإجانة.

(ث)

«الثغرة»: ينطقون بها بالتاء وهي بالثاء.

(ج)

«جاروشة»: رحى اليد.

«الجبوة»: يطلقونها على ما يُجبى في الأعراس والأفراح للمغني وغيره من جبا إذا جمع وحصَّل في الفصيح.

«الجراية»: الجاري من الوظائف أي الأعطيات.

«جرش الشيء»: لم ينعم دقه فهو جريش.

«جرّس»: شهّر.

«الجرن»: حجر مجوف لحفظ الماء وغيره.

«جرور»: دين يدفعه المدين دفعات وفي الفصيح اجتره الدين أخره له.

«الجزّة»: ما يجمع من صوف النعجة في سنة واحدة يفتحون أولها وهي مكسورة.

«الجف»: جماعة من الناس. يقولون: قام جف، وقعد جف عند الكلام على الموائد.

«جلط»: يشددون لامه وهي مفتوحة من جلط الرجل إذا كذب.

«جمحت الدابة»: وشمست ورمحت، بمعنى حرنت ونفرت، ودابة رموح وشموس وحرون وجموح ونفور. هكذا ينطقون بها صحيحة.

«جَمَّ»: الكرمَ قطعه ومثله زبره وقلّمه.

«الجناح»: الجانب جانب البيت.

«جوعان حفتان»: أي جائع جوعًا شديدًا. من حفته أهلكه، يستعملونها بالهاء فيقولون: هفتان.

(ح)

«الحارة»: كل محلة دَنَتْ منازلها فأهلها أهل حارة.

«حاشَ الدابةَ»: رَدَّها.

«حاي حاي»: زجر للغنم وغيرها من البهائم. ويقولون أيضًا: حاين، حاين.

«حبش»: حبش المال جمعه بتشديد الباء وبغيره.

«حبق»: من حبق متاعه جمعه، وهو يحبق له كم قرش.

«حِراق وحراقة»: في القاموس ككناس وغراب وتشديدهما ما يقع فيه النار عند القدح.

«الحسي»: سهل من الأرض يستنقع فيه الماء وعندهم مستنقع اسمه: الحُسَيّ بالتصغير.

«حصيبة»: من الحصباء واحدتها حصبة صغروها للتحبب، وعندهم أرض تسمى الحصيبة، وأرض اسمها البحصاص.

«حفّظته الكتاب»: حملته على حفظه.

«الحظيرة»: المحيط بالشيء قصبًا كان أو خشبًا.

«الحُقّ»: الحُقّة بالضم وعاء من خشب ج حُقّ والحق عندهم يعمل من الفخار للماء والزيت.

«حلقة الباب»: بالتسكين وحلقة القوم والجمع الحلق.

«حلق الطائر»: ارتفع في الهواء.

«حلَّل اليمين»: كفَّرها و«حلَّ الدين» صار حلًا «وحلحلهم» أزالهم عن مكانهم، يقولون ما كان يتحلحل.

«حليق»: محلوق الشعر.

«الحنجور»: قارورة للذريرة.

«حَنَّن»: الجوز فسد والحنين يكون في الفستق واللوز وغيرهما.

«حاوطوه»: وفي القاموس: حاوط فلانًا داوره في أمر يريده منه وهو يأباه وكأن كلًّا منهما يحوط صاحبه.

«حويرة»: تصغير حارة.

«الحي»: البطن من بطونهم ج أحياء، ويطلق الآن على مجموعة دور وقصور.

«الحير»: البستان، أو مجتمع الماء، ويكسرون حاءه، وعندهم أرض يسمونها الحير.

(خ)

«خذم وخرم وخرز»: وكثير غيرها من الأفعال يأتون بها كما وردت عن العرب.

«الخرّار»: الماء يجري من علو إلى سُفل فيسمع خريره أي صوته:

«خشّ»: دخل، من خششت الشيء إذا دخلت فيه.

«الخص»: البيت من قصب.

«الخلية»: الموضع الذي يُعَسِّل فيه النحل.

«الخماسي»: يقولون: البقر الخماسي. أي القصير، من غلام خماسي طوله خمسة أشبار.

«الخم»: حفرة في الأرض يجعل في أسفلها الرماد ثم توضع السخال فيها (القاموس).

«المخم»: الطعام الذي تغيرت ريحه.

«خن»: بمعنى أخن عندهم.

«الخوخة»: الباب الصغير الذي يدخل منه الإنسان مطأطِئًا(*) رأسَه.

(د)

«الداكونة»: غرفة صغيرة تجعل فيها أمتعة الدار، من دَكَّنَ المتاع نضّد بعضه على بعض كَدَكَنَهُ.

(*) ويجوز أن يقال «. . . الإنسانُ المُطَأْطِئُ رأسَه/ المُطأطَأُ رأسُه» (المراجع).

«الدَّبَّة»: بالفتح ظرف للبزر والزيت والماء واللبن يقولون لها الدبِّيَّة.

«الدُّبْلة» يقولون: «رَبِّيْت على قلبي دَبْلة»، والدُّبلة داء يجتمع في الجوف. أو خُرَاج ودُمَّل كبير، والدبلة والخراج والدمل كلها مستعملة عندهم.

«دحدله»: دحرجه والفصيح دحدره.

«دحس»: الثوب في الوعاء أدخله فيه يقولونه بالشين دحش.

«درع» بالسباحة: أي اتسع والتدريع نوع من أنواع السباحة يعوم الإنسان بواسطة الضرب بذراعيه، وهي بالذال من ذرع. يقولون: ادرع هذا، أي اذرع بمعنى قسه بذراعك.

«دعبل»: كبَّر اللقمة ليسابق في الأكل. والأصل: دهبل.

«دعس»: شدة وطء الأرض.

«دعكه ودهكه»: يقولون دهدكه كسر عظامه.

«دغر عليه»: هجم واقتحم.

«دغمر عليه الخبر»: إذا خلطه.

«الدكُّ»: جمعه دكوك جدار من تراب تحوط به الحدائق.

«الدكة»: جمعه دكاك المستوي من المكان.

«الدولة»: شيء مثل المزادة ضيقة الفم (القاموس) وهي عندهم إبريق تغلى به القهوة.

«دومري»: ما في البيت دومري. أي أحد، والأصل تومري.

«دويرة»: تصغير دارة، ودوير تصغير دار.

(ر)

«راز»: اختبر.

«رال» الصبي: أخرج لعابه، يقولون رَيّل، والمريلة: الثوب الذي يلبسه الصبي ليقي ثيابه الروال.

«الربض»: هو ما حول المدينة من خارج، والجمع أرباض.

«الرَّبْع»: الدار بعينها والمحلة والمنزلة وجماعة الناس، وأكثر ما يطلقونها على المعنى الأخير فيقولون جاء مع ربعه.

«الرتوت»: الرؤساء واحدها رت.

«الرحبة»: الميدان.

«رحرح»: يقولون ثوب مرحرح، فضفاض متسع.

«رخف» العجين: أكثر ماءه ليسترخي.

«رقعه بالكف»: وفي الفصيح رقعه بسوطه أو بكفه، ضربه.

«رَكَّ عليه»: أضجره، وفي الفصيح رك عليه الحِمْل: ضاعفه وأثقل عليه.

«ركله برجله»: رفسه.

«الركيزة»: ج الركائز. والمرْكَز موضع الثبوت.

«رمحت الدابة»: راجع: جمحت.

«رنح المرء»: يقولون جاء يترنح من السُّكْرِ أي فيه فتور وتراخ.

«روَّج»: أسرع.

«روَّح»: بكَّر.

«روشم»: الروشم الختم، وروشم الطعامَ (الحنطة) ختمه، والروشم اللوح.

«الروشن»: الكُوَّة.

(ز)

«الزابوقة» من البيت: زاويته أو شبه دَغَل (مكان خفي) في بيت يكون فيه زوايا معوجة.

«زاح الشيء» وأزحته: نحيته.

«زجر الحيوانات» راجع مادة: تخ تخ، سق سق، عاي، هس، هقط.

«زخت المطر»: من الزخة الدفعة الشديدة منه.

«الزخم»: الشدة يقولون: أعطيته الزخم.

«الزرب»: محل ربط الدواب كالزريبة.

«زرب الماء» سال. ويقولون أيضًا زرب الكيس.

«زعبه»: دفعه.

«زعَرَ» بالجحش: دعاه للسفاد، يقول الأولاد للأتان ازعر.

«زغزغ نيته»: حاول تبديلها وفي الأصل زغزغ الشيء أخفاه وخبأه.

«زمّ الكيس والسروال والشفة»: إذا ضمها.

«الزُّكرة»: الزق الصغير.

«زهقت نفسه»: تعبت.

«الزور»: الأرض البعيدة من الأراضي الزراعية، والأجمة ذات الحَلْفاء والقصب والماء، وكلاهما يصدق على حَرَم نهر بردى أصل أنهار الغوطة.

(س)

«الساباط»: سقيفة تحتها ممر نافذ، والجمع سوابيط، يحرفونها فيقولون: سيباط.

«سبْر»: السبر الشَّبَهُ والهيئة، يقولون هو ماشٍ مع سبره أي مع أقرانه.

«السبعة»: يقولون فلان عمل السبعة وذمَّتها أي استهتر وسار على هواه وارتكب الموبقات، والعرب تستعمل السبعة، والسبعين، لإرادة الكثرة في العدد.

«سخم»: يقولون: سخمت وجهه بالسخام وهو سواد القِدْر.

«السطح»: ظهر البيت وأعلى كل شيءٍ ج سطوح.

«السطل»: جمع سطول لهذا الإناء المعروف.

«سق سق»: زجر للثور.

«السقاطة»: الحلقة التي يطرق بها الباب وتكون مثبتة فيه.

«سقلبه»: صرعه، عمل له سقلبًا أي شبكًا ورماه به، ينطقون بها بالشين فيقولون: شقلبه.

«سُقَيْفَة»: تصغير سقيفة كسفينة.

«سلت سرواله وزناره»: رماه وسلت.

«سمط»: الخروف إذا جعل في ماء ساخن لإزالة الشعر عنه.

(ش)

«شاطت القِدْر»: احترقت ولصق بها الشيء.

«شاك»: يقولون شاكتني شوكة أي أصابتني.

«شبَّ الفرس»: رفع يديه.

«شحط الثمن»: بلغ أقصى القيمة.

«شرح اللحم»: (بالتخفيف والتشديد) قطعه قطعًا طويلة. ومنه الشرائح.

«شردت الدابة»: نفرت.

«شرّق» ذهب جهة الشرق.

«المَشْرَقة»: سطوح عندهم، وفي القاموس المشرقة مثلثة الراء موضع القعود في الشمس.

«شَرْوَى»: هو شرواك بالخير أي مثلك.

«شفّ الماء»: زاد.

«الشقفة»: القطعة، ويطلقونها على آنية الزهر، وفي القاموس: الشقف محركة الخزف أو مكسره.

«شَمَسَت الدابة»: راجع جمحت.

«الشنفخة»: الكِبْر والزهو وأصلها الشنخفة.

«شنر عليه»: عابه.

«شوَّر»: لوَّح بشيءٍ.

«شوص»: الشوصاء، العين كأنها تنظر من فوقها (القاموس) يقولون فلان أشوص.

«الشوافة»: قطعة من الخشب تسوى بها الأرض لتزرع، والشوف في الأصل المجرّ تسوى به الأرض المحروثة.

«شُوَيَّة»: يقولون أعطني شوية حليب، والشُّوَاية بالضم: الشيء الصغير من الكبير. وتقوله العامة بحذف الألف كما في التاج.

(ص)

«الصفرة»: كَسَرَ الصَّفْرة أي أفطر في الصباح، والصُفرة بضم الصاد الجوع.

«الصفقة»: بيعة ويقال صفقة رابحة أو خاسرة.

«الصُّفة»: في جبل الربوة محل بارز في الجبل اسمه الصفة.

ومعنى الصفة في اللغة هكذا والصُّفَّة (بضم الصاد وتشديد الفاء) من البنيان: البهو الواسع.

«الصوبة»: الكدسة من الحنطة والتمر وغيرهما يقولون: الصُّبَّة.

(ض)

«الضمان»: أصل معناها الكفالة يطلقونها على من يبتاع الثمر والغلات ويعطي صاحبها مالًا مُقدَّمًا وهو يستوفيه من الغلة يتربح به.

(ط)

«الطابونة»: وطابون فرن في الأرض من طبن النار إذا دفنها لئلا تطفأ.

«طَرَقَ»: يقولون بيت فلان مطروق إذا كان يطرقه كل أحد.

«طلمة والجمع طلم»: خبزة أو قرص وهي غير الرقاق.

«طمره وطمَّه»: إذا خبأه تحت الأرض، ومنه المطمورة لوعاء يجمع فيه الطفل دريهماته.

«طمس»: على مال فلان، أخذه واستصفاه، من طَمَسَ على أموالهم أهلكها.

«طَيْسٌ»: كثيرٌ، من طاس يَطيس كَثُر. ويقولون الحب طيس، واللبن طيس.

(ع)

«عاي»: زجر للخروف والغنم.

«العبي»: الزرع المتكاثف من عبا المتاع وعباه إذا جعل بعضه فوق بعض.

«عتر»: بالتاء وفصيحها بالثاء. يقولون فلان ينتظر فلانًا على عترة أي على عثرة وزلَّة.

«عِدّان الشيء»: زمانه وعهده وأوله، يفتحون عينه ويشددون داله. يطلقونه على وقت إعطاء كل صاحب حقٍّ قسطَه من الماء.

«عدي»: يقولون هذا مكان عدي أي جيد، من عَذِيّ بالذال. وعَذا المكان طابَ هواؤه.

«العَرَصة»: جمعها عرَصات. كل موضع واسع لا بناءَ فيه.

«عرَّقتِ الدابةُ»: رعت ما بقي من المرعىٰ بعد رعيه.

«عزبه»: أضافه وقام بأموره ويقولون المعزّبة بالتشديد امرأة الرجل تقوم بإصلاح طعامه وحفظ أداته.

«عزره»: أهانه وشتمه.

«العزوة»: العصبة من الناس.

«العزيب»: من الإبل والشاة التي تعزب عن أهلها في الرعي.

وإبل عزيب لا تروح على الحي جمع عازب.

«العسس»: الحارس في الليل.

«العشة»: بيت صغير يبنى بقضبان.

«عصد عليه»: شدد وضيَّق، وفي الفصيح عصده على الأمر إذا أكرهه عليه.

«عفسه»: بالغ في وطئه برجله، وفي الفصيح جذبه إلى الأرض وضغطه ضغطًا شديدًا.

«العقيبة»: تصغير عقبة.

«العكرة»: الهوشة والفتنة. يقولون حضرت العكرة.

«العكة»: بضم العين آلة السمن أصغر من القربة أو الظرف.

«العُليّة»: بالضم والكسر الغرفة ج العلالي.

«العوارض»: مفردها عارضة وهي الخشبة العليا التي يدور فيها الباب.

«العيانة»: المطر المتواتر أيامًا. وفي اللسان. العين مطر لا يقلع، وقيل هو المطر يدوم خمسة أيام أو ستة أيام أو أكثر لا يقلع.

(غ)

«الغَبّ»: شُرب الماء من غير مصّ. والأصل العب بالعين لا بالغين.

«غدق»: يقولون خدق. وغدقت العين غزرت وأغدق المطر واغدودق كثرة قطره.

«غرّب»: ذهب جهة الغرب.

«غفل»: ورجل غُفل لم يجرب الأمور.

(ف)

«الفخفخة»: التعاظم من فخفخ الرجل إذا فاخر بالباطل.

«فرتك قلبه»: قطعه.

«الفرشخة»: يستعملونها بالخاء وأصلها الفرشحة بالحاء إذا قعد المرء مستلقيًا فألصق فخذيه بالأرض أو فتح بين رجليه.

«فزَّ»: خف ونهض.

«الفزعة»: النجدة من فزع للقوم أغاثهم.

«الفضفضة»: سعة الثوب والعيش، ومنه تَفَضْفضْ بهذا المال أي توسَّعْ.

«فقس»: يقولون ما فقست عنه البيضة أي ما كبر، وفي الصحاح فقس الطائر بيضه كسرها وأخرج ما فيها أو أفسدها.

«فقع أصابعه»: فرقعها أي غمزها حتى يسمع لها صوت.

«فنَّك»: لجَّ بتشديد النون، وهي فَنَك بالتحريك والتخفيف.

(ق)

«قبَّ الجرح»: إذا يبس وذهب ماؤه.

«القبو»: المكان المعقود بعضه إلى بعض. من قبوت البناء رفعته.

«القداحة»: حجر قدح النار.

«قَرَصَ»: الثوبَ إذا دعكه بيده وصب عليه الماء.

«قَرَط»: عليه مبلغَ كذا: حرمه إياه.

«القرفصاء»: الجلسة المعلومة، يشتقون منها فعلًا فيقولون: قرفَصَ لمن قعد تلك القعدة.

«القرفة»: بكسر القاف وإسكان الراء، وبفتح الراء الخلطة والمداناة.

«قرقف»: رعد من البرد.

«قشّ، قشقش»: أكل من ههنا وهنا، والشيءَ جمعه، يقولون فلان يقشقش الباقي من الطعام.

«القشوة»: صندوق صغير ذو أدراج تجعل فيه المرأة ما يُصْلح ولدها من المراهم والذرور والمساحيق والقطن. وفي اللغة قفة من خوص لعطر المرأة وقطنها.

«قَفَّ»: الشَعَرُ(*) قام من شدة الفزع.

«قفقف»: من البرد ارتعد.

«قلَّعه»: حوَّله من موضعه كقَلَعَه وأقلعه فانقلع، وتقلَّع واقتلع، ويقولون قلِّعنا أي: هيا بنا.

«قنطر»: مَلَكَ مالًا بالقنطار أي اغتنى كثيرًا.

«قيَّح الجرح»: صار فيه القيح وهو الصديد.

(ك)

«كبس»: الدار إذا هجم عليه واحتاط به.

«كَتَّبْتُهُ»: (بالتشديد) علمته الكتابة.

«كخ»: يقولونها لزجر الصبي عند تناول شيء وعند التقذر من شيء.

«كَعَّ»: جَبُنَ وضَعُفَ.

«كفَّ»: كف الثوب لفقه وغبنه، وشللته وخبنته ورتيته ورفوته وفتقته ولقطته وبطنته يستعملونها على معناها في الفصيح.

«كَفَتَ الجرَّة»: قلبها ظهرًا لبطن.

«الكلف»: في اللغة شيء يعلو الوجه كالسمسم ولون بين السواد والحمرة.

«كنكن»: كسل وقعد في بيته يقولون أنا أكنكن في بيتي.

«الكنيف»: المرحاض.

«الكوخ»: البيت الحقير.

«كوّم»: التراب (والحنطة) جعله كومة كومة أي قطعة قطعة ورفع رأسها.

«الكوارة»: بمعنى الخلية.

«الكونة»: الحرب وتكاونوا تحاربوا.

(*) الشَّعَرُ: الشَّعْرُ (المراجع).

«الكوَّة»: النافذة أو الطاقة.

(ل)

«لاص» حاد، يقولون: هو يلوص ولائص.

«لَزَّه»: على العمل شَدَّهُ وحثه.

«لحلح» المسمار أزاله عن موضعه.

«اللخن»: قبح الكلام يشتقون منه فعلًا يقولون: فلان يلخن لفلان بالكلام أي يكلمه كلامًا قبيحًا ويوري له.

«لحفُ»: الجبلِ، أصله، يلفظونه بضم الأول وهو بالكسر.

«اللحاف»: ما يلتحف به أي يغطى.

«اللمَّة»: الجماعة.

«لهوجتُ»: اللحم إذا أدرته على النار ليشتوي فلم تنعم شيَّه.

(م)

«المحطة»: المنزل.

«المخدع»: الغرفة وفي اللسان أن المخدع بضم أوله وكسره وفتحه، وهم يفتحونه وفي التاج المخدع كمنبر محكم الخزانة، والخزانة البيت الصغير يكون داخل البيت الكبير.

«المربط»: محل ربط الدواب.

«المرش»: الحك بأطراف الأظفار.

«مزّع الثوب قطعه».

«المسقط»: مسقط كل شيء منقطعه ومنه مسقط داريا.

«المصطبة»: مكان اجتماع الغرباء.

«مصعته بظفرها»: حركته وفركته، ويقولون امصع رقبته أي اقطعها.

«المصنع»: بناء لحفظ الماء.

«مغسني بطني»: هو المغس وتقال بالصاد.

«المقسم»: محل قسمة المياه.

«المقعد»: محل القعود.

«مهفهفة»: يطلقونه على السيدة المتأنقة وفي المعاجم: جارية مهففة ومهفهفة ضامرة البطن دقيقة الخصر.

«المنزل»: موضع النزول كالمنزلة.

(ن)

«نأنأ»: في الأكل أكل أكلًا ضعيفًا.

«نبر»: الكلام أخرجه بصوت عال.

«نَتَرَ يَدَهُ»: جذبها بجفاء، مأخوذ من النتر حين ينثر الإنسان شيئًا في الأرض كالحنطة.

«نتفة»: يقولون سقاني نتفة من لبن أي شيئًا، وهي: ندفة في الفصيح.

«نكس»: وانتكس أي عاوده المرض.

«النَّمَش»: محركة، نقط بيض وسود أو بقع تقع في الجلد تخالف لونه.

«نَوَّز»: قلَّل. يقولون نوّس الضوء: قلل من إضاءته.

(هـ)

«الهَبْر»: القَطْع، ومنه هبر اللحم قطعه.

«الهبش»: الجمع والكسب يستعملونه بالجيم فيقولون: الهبج.

«هبط»: الثمن نزل وهبطت الأسعار.

«هبة ودبة»: تستعمل كما كان العرب يستعملونها يقولون قلبي بالهَبَّة والدَّبَّة، الهم والغم.

«هَجَّيته»: بالتشديد علمته الهجاء.

«هَرَّج»: في كلامه خلط، ومنه المهرج يطلق على من يأتي بالمساخر ليضحك الناس.

«هرج ومرج»: للفتنة والضجة.

«هسّ»: زجر للغنم والهسة الإخفاء ويقولون هس بمعنى اُسْكُتْ وصه.

«هقط»: زجر للفرس.

«الهوشة»: الفتنة والهيج.

(و)

«ودَّر الرجلَ»: أوقعه في التهلكة.

وكثيرًا ما يفتحون بعض الأسماء والأصل الضم أو بالعكس فيقولون: الحُنجرة فيضمونها وهي مفتوحة(*). ويفتحون الحاء من الحلقوم وهي مضمومة. ويقولون السحنة بالضم وهي مفتوحة أو مكسورة، ويقولون الحدبة يسكنون دالها وهي مفتوحة.

هذا نموذج ضئيل مما بقي في كلام أهل الغوطة من الفصيح العربي، وعلى مَن أراد التوسع في ألفاظ الغوطة أن يرجع إلى ما نشرناه في المجلدين الثامن والتاسع عشر من مجلة المجمع العلمي العربي تحت عنوان الفصيح والمولّد في كلام أهل الغوطة، وهناك يقع على ألفاظ كثيرة داخلة في الزراعة وهي من أصل سرياني، وألفاظ كثيرة في الأدوات والآلات جاءت من الفارسية، عدا ما هناك من ألفاظ رومية وتركية.

وفي الغوطة لهجات منوعة تظهر جليًا للسامع في الأصوات والنبرات. فلهجة الديراني غير لهجة الدوماني، ولهجة العربيلي غير لهجة المزي، ولهجة القابوني غير لهجة المنيحي. ولعل ذلك ناشئ من اختلاف القبائل العربية النازلة بها منذ الصدر الأول.

(*) الحَنْجرة كالطَّنْجرة! (المراجع).

الفصل السادس

الطرائق الزراعية

قال أحد العارفين أن لمدينة دمشق طابعًا خاصًا في مرافقها ومصانعها وأوضاعها، قد لا ترى ما يماثله في البلدان الأخرى، وهذا الطابع يتناول غوطتها أيضًا، فإن الناظر في أرجائها لا يزال إلى الآن يرى الزراعة فيها على الطرق القديمة، لم يتسرب إليها من الأساليب الحديثة إلا قليل. ثم إن ما أدخلته من التحسن في زراعتها وصناعاتها الزراعية قد تلحظ أنها تمثلته وتبنته، فهي تسير في معظم حالاتها على أصول الأجداد، مع الاحتفاظ أبدًا بطابع القرون الغابرة. ومعظم ما أبدعته فيها الأيدي والعقول لا يبدو عليه أثر التجدد إلا بقدر الخال في الوجه الجميل، ذلك لأن من عادة الغوطيين ألا يبادروا إلى اقتباس المحْدث إلا إذا قامت البراهين المحسوسة على عظيم فائدته، ويَعْصُون ما لم يألفوا، لا يخرجون عن طبيعة أرضهم، وقد عرفوا بالصبر على استثمار الشجر واستنبات النبات كما عرفوا بصبرهم على سني القحط.

يستخرج الغوطيون الزيت من زيتونهم، والدبس والنبيذ والجلاب من عنبهم، والعصير (القمر الدين) والنقوع من مشمشهم، والعطور من زهرهم ووردهم، والصابون من زيتهم، والأجبان والسُّمُون والزُّبد والقشدة من ألبان بقرهم ومعيزهم وغنمهم، والطحينة والشيرج من سمسمهم والنشاء من بُرّهم.

ويقطفون الزيتون والجوز بِعِصِيِّهم، ويعالجون استخراج ألياف القنب على أسلوبهم، ومنه يتخذون حبالهم وخيوطهم، ويدبغون من جلود حيواناتهم سختيانهم، ويحيكون من صوفهم ثيابهم، ويتخذون من أخشابهم أدوات زراعتهم وصناديق فاكهتهم ومنجور بيوتهم، ووقودهم من حطبهم. وبناؤهم من ترابهم، وما برحوا يعلفون دوابهم بالقديم من طرائقهم، ويحرثون الأرض ويزرعونها ويسقونها على نحو ما اعتاد آباؤهم.

وما جلب بعض الغوطيين الآلات الرافعة واعتمدوا عليها لإرواء صعيدهم إلا لما أعوزتهم المياه تجري من أنهارهم، وشحت الجداول في بعض السنين فخافوا أن تصوح أدواحهم، وما عرفوا الأسمدة الكيماوية إلا عندما اختلطت بالأسمدة الطبيعية موادُّ ظهر ضررها في محصولهم، وما عادت تكفي لما طمحت نفوسهم إلى تسميده وتجديده من الأرضين، وما ألفوا تذرية الحبوب بالآلة التي أوجدها أحد مواطنيهم إلا لما ثبت لهم أن تذريتها بالمذراة حين هبوب الريح مما يطيل أمد نزعها من تبنها، وتضيع عليهم بعض حباتها.

والغوطة السمحة التربة، المعتدلة الهواء، الصافية الأديم، تعطف على الفقير أيضًا لا ترى أن تقطع رزقه، وتحرمَ الصانع والعامل من أبنائها أجورًا تنسيهم بعض أتعابهم، فلا تَعْمد إلى الآلات والأدوات الحديثة إلا في أحوال شاذة. الغوطة تتوقى الغلطة التي وقع فيها الغرب لما استعاض عن الأيدي العاملة بما اخترع من الآلات، فهي لا تريد أن تبدع ما يكثر به الناقمون والموتورون، ثم تعمُّ الشيوعية والاشتراكية وفيهما الفوضى والبلبلة.

ورث الغوطيون عن آبائهم معرفة تأثير الهواء في الزروع والأشجار، وأخذوا عنهم أصول زراعة الأرض واستثمارها، ومعرفة تربتها وإروائها، وما يصلحها وما يضرها، لا يُخِلّون بشيء مما نقلوه عنهم. وأتقنوا بفطرتهم معرفة أوقات الزرع وجنيه وأوقات نضج الثمار والبقول، وأساليبهم في ذلك سليمة

في الجملة، وقد تكون أقرب إلى العمل من كثير مما اهتدى إليه العلم الحديث، وصعب عليهم تطبيقه والانتفاع به حق الانتفاع. رسخت في نفوسهم طرائقهم القديمة فمن الصعب أن تهديهم إلى طرق جديدة يتبعونها، وندر من تعلم الزراعة من أبنائهم على الأصول الحديثة، اكتفاءً بالذي ثقفوه عن أجدادهم.

فعلى عاتق الحكومة واجب تعليم الغوطيين فيما تربو به مكاسبهم وتعتقد فيه هناءتهم وناعم عيشهم. وعليها أن تقيم لهم مركزًا زراعيًا تحلل فيه الأتربة والأسمدة، وتستنبت الغراس المطعَّمة، وتولّد أو تجرب أصناف النباتات الزراعية المختلفة، وتُربي أجود الحيوانات الدواجن والطيور الأهلية وأنواع النحل، وتستعمل أصلح الآلات الزراعية الحديثة، وتجوّد المصنوعات الزراعية المحلية إلى ما شاكل ذلك مما يقضي به العلم العصري، ويفرض على حكومة ترى من الواجب عليها إنماء الثروة العامة، وأن توجد للعاطلين عملًا يقتاتون به. ولو صرفت العناية بالصناعات الزراعية، ولاسيما تربية المواشي والنحل وتربية الطيور الداجنة لكان للغوطة من ذلك أرباح ثابتة لا يُستهان بها تُضاف إلى ريع أرضها وأشجارها، فإن البقر البلدي والمعيز البلدية في الغوطة هما من عرق أصيل لا يكاد يكون له مثيل في سائر أقاليم الشام، لكثرة ما يدر من الألبان الجيدة. وهذه الأنواع من الماشية لا تعيش في غير ظلال الغوطة، ولا تستمرئ غير مراعيها ومياهها.

بيد أن أصحاب الأملاك والفلاحين أصحاب الأراضي يشكون مرّ الشكوى من أضرار المعيز بالأشجار. وسبيل اتقاء مضرتها أن تقيد أبدًا أو تختار لها مناطق خاصة ترعى بها بعيدة عن الأشجار. ويسقط النحل، بما في الغوطة من أشجار مثمرة وأزهار عَطِرة، على غذاء شهي ندر مثيله في الأقاليم الأخرى.

كان في الغوطة صناعات زراعية رابحة نازعها ما ظهر في أقطار أخرى

من صناعات، فعطلت صناعاتها أو أضعفتها لقلة الصادر منها إلى الأقطار، كما حدث للصابون لما نازعه الصابون الغربي الذي هو وليد الكيمياء الحديثة، وكما حدث للعطور والطيوب لما اخترعت الطيوب الأوربية نتيجة لازمة أيضًا لانتشار الكيمياء، وكما بارت منسوجات القطن والكتان والحرير ثم عادت بأَخَرَةٍ تنهض نهضة مباركة.

وقد أبقى لنا شيخ الربوة صورة استخراج العطر من أزهار الغوطة ووردها قال: إن حراقته تلقى على طرقات المزة وفي دروبها وأزقتها كالمزابل فلا يكون لرائحته نظير، ويكون ألذّ من المسك إلى مدة انقضاء الورد. وذكر صنعة إخراجه بالكركات والأنابيق، ورسم صورها وطرق استعمالها؛ وما هناك من كركات أخرى يستخرج منها ماء الورد وغيره من المياه بلا ماء بل بوقود الحطب، وذلك بعد حشو القرع بالورد وبلسان الثور وبزهر النيلوفر أو البان وزهر النارنج والشقشقيق[١] والهندباء أو بورق القرنفل.

قال: ويحمل الورد المستخرج بالمزة إلى سائر البلاد الجنوبية كالحجاز وما وراء ذلك، وكذلك يحمل زهر الورد المزي إلى الهند والسند والصين وإلى ما وراء ذلك، ويسمى هناك الزهر. ومما أرخوه أنه كان لقاضي القضاة الحنفية ولأخيه قطعة بأرض تسمى شور الزهر طولها مئة وعشر خطوات، وعرضها خمس وسبعون خطوة باع منها عشرين قنطارًا باثنين وعشرين ألف درهم، وذلك سنة خمس وستين وستمئة، وهذا لم يسمع بمثله.

نعم ليس في الغوطة لعهدنا من الصناعات ما يسدُّ عوز أهلها، فهم يشخصون إلى العاصمة في استبضاع ما يلزمهم من أثاث وملبوس وأدوات ومآكل المرفهين من أهل المدن، ومن آنس من أبنائها ميلًا إلى بعض الصناعات يغدو ويروح إلى دمشق يتعلم ما تهفو إليه نفسه كعمل الأحذية

(١) أي شقائق النعمان وهو الشقّار.

والثياب وإصلاح الأدوات والسيارات. وقد نجح كثيرون في هذا الشأن، يبيتون في قراهم ويعملون نهارهم في الحاضرة ومعاملها، وأكثر من انتفعوا من قربت قراهم منها أو كانت على خط الترام كجوبر وزملكا وعربيل وحرستا ودوما. وكفرسوسية والمزة والقدم ويلدا وببيلا وجرمانا والمنيحة وصحنايا.

وفي العهد القديم كانت بعض القرى تختص بأشياء قد لا توجد في غيرها، فقد ذكر القرماني أن في عقرباء العنب الزيني الذي لا نظير له، وليست كذلك في زماننا، ولا يوجد هذا الصنف من العنب في غير قرية داريا. ويجود في مدينة دمشق وحدائقها أنواع العنب الكبير الحجم كالبلدي والبيتموني وغيرهما، وكان ينسب القماش إلى عقرباء أيضًا فبطل عمله فيها من قرنين على الأغلب.

روى البدري أنه كان بالغوطة أشجار تحمل الواحدة منها أربع فواكه كالمشمش والخوخ والتفاح والكمثرى، وبها ما يحمل الثلاث وأقلهن اللونين من الفاكهة، قال: وهذا موجود إلى يومنا هذا (القرن التاسع) فإني رأيت بها الكرمة الواحدة تطرح العنب الأبيض والأسود والأحمر، رأيت بوادي النيربين شجرة توت تطرح التوت الأبيض والأسود قال: وهذا من صنعة الفلاحة ويسمى التطعيم، وذكر صورته كما هي معروفة هذه الأيام.

ورأينا لهذا العهد قرية جرمانا تصنع أعبئة من الحرير والمرعز وغيرهما مما يليق أن يجعل كسوة الملوك والملكات لجمال صنعها وتفويفها، وقد نازعتها الألبسة الجديدة حتى كاد يقضى على أنفع لباس اخترعه العرب في الدهر السالف، وهو صالح لكل زمن لأنه لباس وغطاء ووطاء، يقي البرد والحر ويتجمل به الرجال والنساء.

الفصل السابع

المتنزهات

في الغوطة عدة متنزهات وكلها متشابهة كأنها متنزه واحد، هام بها الشعراء على اختلاف القرون وحنوا إليها حنو الحبيب على حبيبه، ومنها ما تغيرت أسماؤه. وتفرد صاحب نزهة المشتاق بذكر وادي البنفسج قال إنه من باب دمشق الغربي وطوله اثنا عشر ميلًا وعرضه ثلاثة أميال، وكله مغروس بأجناس الثمار وتسقيه خمسة أنهار. وفي عدد الأميال مبالغة كبيرة لأن هذه البقعة أضيق من ذلك بكثير، إلا أن يكون الميل أصغر من الميل المتعارف.

ومن متنزهاتها (سَطرا) و(مُقرى) وفيهما يقول عبد الرحمن ابن خطيب داريا وقد أحسن التورية:

خليليّ إن وافيتما الشامَ بكرة ... وعاينتما (الشقراء) والغوطة الخضرا

قفا واقرأا عني كتابًا كتبته ... بدمعي لكم (مقرى) ولا تنسيا (سطرا)

وقال البحتري يمدح خمارويه:

أما كان في يوم الثنية منظر ... ومستمع ينبي عن البطشة الكبرى

وعطف أبي الجيش الجواد بكرة ... مدافعة عن (دير مران) أو (مقرى)

ويؤخذ من بيت لتوفيق النحوي أنه يُخرج إليهما من باب الفراديس:

سقى الحَيَا أربعًا تحيا النفوس بها ... ما بين مُقرا إلى باب الفراديس

و(الشقرا) مطلة على المرج الأخضر، وعندها طاحون يقال لها طاحونة الشقراء، و(مُقرى) المكان المعروف عند طاحون الأُشنان في شمالي شرقي البلد و(سطرا) شمالي جامع منجك قرب برج الرؤوس.

ولابن الساعاتي:

فسقت (جلقًا) فأيام (سطرا) كلّ يوم عيدٌ علينا أعيدا
بلد حسنه يُفقِّه من كا ن بليدًا حتى يفوق لبيدا

وقال ابن حيوس في سطرا ومقرى:

ويا حبذا ريح على ما تحملت تروح بريّاكم من الشام أو تغدو
تهيج أشواقًا وتنقع غلة ففيها الضنى والبرء والصاب والشهد
وربعٌ (بمقرى) لا العقيق ولا اللوى وورد بسطرى لا العَرار[1] ولا المَردُ[2]
وجاليةٌ بالحسن خالبة به تعرضها هزل وإعراضها جِدُّ

وفي سطرى ومقرا والنيربين يقول فتيان الشاغوري:

يا خليلي خليا ذكر مصر لست أهوى في الأرض ما عشت مصرا
كيف أهوى مصرًا وأترك في جِلِّقَ سطرا والنيربين ومُقرا

وقال في جوبر:

يا حبذا نفحات جوبر بكرة ما هنّ إلا المسك والكافور
والزهر منظوم على دوحاته وعلى بساط رياضه منثور
ما هب ممدود الهواء لنا به إلا ليزداد الهوى المقصور
هي جنة محفوفة بنعيمها في ظلها ولِدانها والحُوْر

(١) العرار بفتح العين بهار البرّ واحده بهارة.
(٢) والمرد بفتح الميم الغض من ثمر الأراك أو نضيجه.

قال العارفون: ويُطِلُّ كل من الشَّرَفَيْن على الشقراء والميدان والقصر الأبلق والمرجة. وصف مجير الدين بن تميم الميدان قال:

عجبًا لميداني دمشق وقد غدا　　كل له شرف إليه يؤول
والنهر بينهما لغير جناية　　سيف على طول المدى مسلول

وكان (اليلكي) متنزهًا حسنًا بين سطرا ومقرا. ويقال له في أيامنا بستان الألكي. روى البدري أن الناس يجتمعون فيه أيام زهر السفرجل ويطلقون الماء تحت أشجارها، ويوقدون في ظلمة الشهر قشور البيض ويرسلونها في الماء، ويعلقون قشور النارنج موقدة في الأشجار، ويضربون الخيام في بستان الحاجب، ويقطعون فيه أيامًا وأوقاتًا من اللذة والانشراح.

ومن متنزهاتها (جسر الغيضة) بين الحديثة وجسرين على بردى وكان في القرن السادس يعرف بجسر جسرين على ما ورد في شعر فتيان الشاغوري:

هذي الرياض وأنفاس الرياحين　　تحت الغياض وهذا جسر جسرين

وقال:

يا صاح عرج بجسر جسرين　　ولا تَحِدْ عن فيح الميادين

وكان يقال لها غيضة السلطان وبالقرب من جسر جسرين (نصيب) وفي نصيب يقول الراعي:

وفي (نصيب) جحفل الأطيار　　ومجمع الأزهار والأنهارِ
ومجمع الأمواه (جسر الغيضه)　　وحيثما يمَّمْتَ تلقى روضه

ومن متنزهاتها الربوة. قال ابن طولون الصالحي: أعظم متنزهات دمشق (الربوة) كان بها أربعة مساجد وجامع بخطبة ومدرسة وكان بها (التخوت) وهو قصر مرتفع على سن جبل، به قاعة وطبقات على هيئة الإيوان، ينظر الجالس هناك من مسافة يوم لو لم يكن حائل دونه، وكان به خمسة

مقاصف[١] اثنان شرقي نهر بردى وثلاثة غربيه، وكان بها (العاشق) و(المعشوق) وهما برجان للحمام في لحف الجبل الغربي؛ وشماليها برج عتيق يسمى (العذول). وقال: إنها خربت ثم عمرت وهكذا مرارًا، وفي عهده بقيت مأوى للوحوش.

قال بعضهم:

شوقي (يزيد) وقلب الصب ما بردا ... (وبان ياسي) من (المعشوق) حين غدا
ومدمعي (قنوات) والعذول حكى ... (ثوري) يلوم الفتى في عشقه حسدا
على مغنية (بالجنك) جاوبها ... شبّابة كم بها من (عاشق) سهدا
فالبدر (جبهتها) والدف (ربوتها) ... وخِلُّها مات في (خلخالها) كمدا

و(الخلخال) و(العاشق) و(المعشوق) و(الجنك) و(الجبهة) و(الدف) كلها من متنزهات دمشق في غربي المدينة.

وفي الجنك والدف يقول الوداعي:

يا ربوة أطربتني ... وحسنت لي هتكي
إذ لست أبرح فيها ... ما بين (دف) و(جنك)

يقول الظاهري: وأما الميدان الأخضر وما به من القصور الحسنة فعجيبة من العجائب، وأما مفترجات دمشق فيعجز الواصف عن حصرها، من جملتها الجبهة والربوة والعاشق والمعشوق وبين النهرين وتحت الطارمة والتخوت والمقاسم والوادي الفوقاني والتحتاني والصالحية والسبعة والعنابة. وكل ذلك كان معروفًا في القرن التاسع ويقول ابن طولون: وفي شرقي الربوة (قطية) وهو مكان كان فيه سمان وشرائحي ومقاصفي وقد خربت، وشرقها في الطريق المذكور (الجبهة)، على حافة نهر بردى فيها مسجد ودكاكين

(١) التقصف: اللهو واللعب على الطعام والشراب، والمقصف محله، وكانت المقاصف قبل أن تكون المقاهي.

ومقصف. وظَلَّ الدف والجنك معروفين إلى القرون الأخيرة، فقد ذكر الرحالة الخياري في القرن الحادي عشر (الباسطية) من متنزهات الصالحية وقال إنه مرّ أيضًا في طريقه إلى الربوة بالنيربين والجنك والدف والميطور. وقد مدح الأمير منجك قصر والده في غربي المدينة بقوله:

قصر الأمير بوادي (النيربين) سقى ... رباك عني من الوسميّ مدرارُ
كم مرّ لي فيك أيام هواجرها ... أصائل ولياليهنّ أسحار
حيث الشبيبة بكر في نضارتها ... وللصبابة أحلاف وأنصار
حيث الرياض تغنيني حمائمها ... (بالدف) و(الجنك) و(الميطور) لي جار
حيث الخمائل أفلاك بها طلعت ... زُهر من الزَّهر والندمان أقمار

ومنها (جسر ابن شواش) على مقربة من طاحون كيوان منسوب للحسن بن علي الحسن بن الشواش المقرئ (٤٣٧) وفيه يقول فتيان الشاغوري:

يا حبذا جنة (باب البريد) بها ... والحسن قد حشيت منه حواشيه
فا(لمرج) فالنهر فا(لقصر) المنيف على ... القصور (بالشرف الأعلى) فثانيه
فالجسر (جسر ابن شواش) فنيربها ... تحلو معانيه لا تخلو مغانيه
كأن في رأس عليين (ربوتها) ... يجري بها كوثر سبحان مجريه

ومنها (الخميسيات) قبلي مغارة الجوع وإنما سميت بذلك لأن مبتدأها كان لزيارة الأموات والآن للفرجة، يُهرع إليها الناس أيام وجود الثلج وحب الآس[1] (قاله ابن طولون).

وتشوّق أبو المحاسن الشواء الحلبي إلى متنزهات دمشق، ومنها ما دثر اسمه، بقوله:

---

(١) يرى دهمان أن تكون «أيام وجود البلح وحب الآس» بدل الثلج وقال إن الصالحية اشتهرت بالبلح كاشتهارها بحب الآس وروى البدري أن أهل الصالحية يهادون سكان المدينة بالبلح والأترج والكباد.

عاطياني حديث (سطرا) و(مقرا) وابسطا لي في هجري الكأس عذرا
أنا مالي وشربَ كاسات خمر شغلتني عنهن كاسات ذكرى
كم نعمنا في (بيت لهيا) بلهو وعلونا (بالقصر) و(السهم) قصرا
ومررنا (بدير مُرّان) نشدو فيه نظمًا وتسجع الوُرق نثرا
نتفيّا ما بين (أرزة) و(القا بون) دوحًا يبدل القيظ قُرا
إن عندي يا (بيت أبيات) و(السيلون) شوقًا إليكما مستمرا
بأبي (برزةَ) فكم قد برزنا نتهادى فيها إلى القصف جهرا

إلى أن قال:

عللاني (بكفر بطنا) و(جَدْيا) وذراني من ذكر لُبنى وعَفرا
واسألا لي عن (جَوبر) ثم (جر مانا) فلي فيهما مآرب أُخرى
ولكم بين (دومة) و(حرستا) غرف توقف النواظر حسرى
وَدّ جفني أن لو غدا بين (يروى) و(كثار) يكاثر المزن قطرا
(فلقلبين) بات قلبي مشوقًا و(لعربين[١]) ظَلّتِ العين عبرى
(بزملكا) و(عين ثرما) و(سقبا[٢]) و(بجسرين) ظَلْتُ أربعُ[٣] شهرا

---

(١) عربين محرفة عن عربيل وهي من أمهات قرى الغوطة كان يطلق عليها أحد شعراء دمشق من المتأخرين اسم «ذات القرنفل».

(٢) ادعى العلامة دوسو في كتابه طوبوغرافية سورية في القرون الوسطى أن سقبا لا أثر لها مع أنها أعظم قرى الغوطة الوسطى وكانت عامرة منذ كان الإسلام وكذلك أخطأ في إنكاره وجود «حوش خرابو» و«حوش الخياط» وهما معروفان عامران ولم يعين عيون فاسريا مع أنها معروفة في سفح جبل دومة كما قال إن الأبرشية ينبغي أن يفتش عليها في ضواحي دمشق أو خارج الغوطة مع أنها من مزارع «الريحان» والريحان والأبرشية من المرج. قال إن جسرين عرفت بخشبها والخشب يكثر ويجود في قرى المنيحة والحديثة وبالا.

(٣) أربع: أهنأ.

فـي ريـاض كـأنـهـن الـسـمـوا ت تـضـاهـي زهـر الـكـواكـب زهـرا
ثـم قُـصّـا عـلـيّ أخـبـار (اشـفـا نـيـة) تـغـنـمـا بـذلـك أجـرا
فـلـنـا حـولـهـا مـطـارح لـهـو مَـسَّ كـفُّ الـحَـيَـا ثـراهـا فـأثـرى
(حلفبلتا) و(بيت قوفا) و(ببيـ ـلا) و(يلدا) قرًى بها أنا مغرى
أنـتـحـي حـيـثـمـا تـوجـهـت ظـلًّا وأرى حـيـثـمـا تـلـفـتُّ نـهـرا
ولـنـا تـحـت دوحـهـا حـرم نـأ وي إلـيـه إذا الـهـجـيـر اسـتـمـرا
(بحجيرا) و(تلفياثا) و(دير البا لسي) انهمكتُ في اللهو سرّا
دِمـن لـو أقـيـس حـسـن دُمـاهـا بـسـواهـا لـجـئـت شـيـئًـا نُـكـرا
واذكروا (عقربا) و(دير العصافـ ـير[1]) لسمعي إن شئتما أن تُسِرّا
فإلى (بيت رانس) وإلى (دير النوا طير[2]) هزني الشوق سكرا
ولـنـا (بـالـبـلاط) أوقـات أنـس نـجـتـلـيـهـا مـجـمـلاتٍ غُـرّا
كـم فـتـكـنـا بـالـهـم فـيـهـا وأوسَعْـ ـنا صروف الزمان هجرًا وهجرا
وشـمـمـنـا مـن روض (راويـة) نـفـ ـحة ريح أذكى من المسك نشرا
يـا لـيـالـي «بـكـفـرسـوسـيـة» كـانـت وهـي «بـالـمـزة» الأنـيـقـة زهـرا
وَيْـكَ عُـوْدِي، لا اخْـضَـرَّ عـودي إنْ رُمْـ ـتُ مدى الدهر عن جنابك صبرا
فـسـقـى واكـف الـحـيـا (ربـوة) ذا ت قـرار يـهـمـي لـيـالـي عـشـرا
جاء في محكم الكتاب لها وصـ ـف فماذا يقول من قال شعرا

وقال آخر في وصف وادي دمشق من قصيدة:

رقـصـت قـضـبـه وغـنـت قـمـاريـه وسـلـسـالـه يـصـفـق بـشـرا

---

(١) من قرى المرج.
(٢) قرية أو متنزه لم نرَ له ذكرًا في الكتب وكذلك دير البلسي.

وسعت في قرارة الأنهر السبعة سعي الحيات ينفرن ذعرا
فدمشق من أحسن المدن دارًا وهي من أعظم الأماكن قدرا
وتراها كالشام في وجنة الشا م فدع ذِكْرك العراق ومصرا

ومن متنزهات الغوطة (السهم) وهو بأرض الصالحية قال البدري:

وهو درب ما بين دور وقصور، وفاكهة وزهور، ومياه تجري بهدير كالبحور، وفيه يقول القيراطي:

دمشق بواديها رياض نواضر بها ينجلي عن قلب ناظرها الهمُّ
على نفسه فَلْيَبْكِ من ضاع عمره وليس له فيها (نصيب) ولا (سهم)[1]

وفي السهم يقول ابن الساعاتي:

وما بحت لولا نفحة جلقية حبيس عليها طلُّ دمعي ووابله
سُلافية الأنفاس مسكية الصبا وآخِر تهيامي إليها أوائله
حبيب إليّ (السهم) تندى شماله وأعطاف بان (السفح) تُزهى شمائله
لَنَجْدِيَّة أفياؤه وظلاله وسحرية أسحاره وأصائله

وزال هذا المتنزه، واسمه مازال شائعًا على الألسن، وقد أورده ابن الراعي بالتثنية (السهمين).

ومن متنزهاتها (الخلخال)، وكان هو (والمنيبع) محلتين، وفي محلة الخلخال سويقة وحوانيت وفرن وحمام وهي مسكن الأتراك (في القرن التاسع) وكذلك المنيبع و(الشرفان) وبه تدق طبلخاناتهم وبها زاويتان، وفي المنيبع محلة وسويقة وحمام وأفران وبها مدرسة الخاتونية وهي من أعاجيب الدهر يمر بصحنها نهر باناس، ونهر القنوات على بابها، وبجوارها دار الأمير ابن منجك (قاله البدري).

---

(١) ونصيب متنزه أيضًا وقد مرّ.

وتكون الأنهار المشتقة من بردى متنزهات للدمشقيين وبعض الغوطيين النازلين في جوارها، ولطالما تغزل الشعراء بها. ومنها ما قاله ابن الخيّاط في نهر ثورى:

جرى النهر من شوق إلى حامل الثرى وأجريت دمعًا شاقه المنزل القفر
فلو كنت يوم البين شاهد عَبْرتي وعبرته لم تدرِ أيهما النهر
فيا نهر (ثورى) قد أثرت من الهوى دفينًا أجنّته الجوانح والصدر
فلو كان لي صبر كفَفْت مدامعي ولكنّ من يشتاق ليس له صبر

وفي نهر باناس والقنوات يقول الحسن بن عبد الله بن أبي حُصيْنة:

يا صاحبي سقى منازل جلق غيث يروي مُمْحِلاتِ طساسها(١)
فرواق جامعها فباب بريدها فمشارب (القنوات) من (باناسها)

ومن منتزهات دمشق جبل قاسيون وفيه يقول ابن عنين:

وفي كبدي من قاسيون حزازة تزول رواسيه وليس تزول

(١) الطاس: لم نعثر على تفسيرٍ لها. والمفهوم من سياق الكلام أنها بمعنى «إقليم أو محلة».

الفصل الثامن

وصف الغوطة

أُعجب العرب بالغوطة منذ كانوا يرتحلون إليها في الجاهلية فردد شعراؤهم اسمها، وفي مقدمتهم حسان بن ثابت شاعر الرسول عليه الصلاة والسلام. ولما كان العرب في شر المنازل أهل الحجر وأهل المدر وأهل الدّبر[1]، كانوا يدهشون كلما ابتعدوا عن الجزيرة وضربوا في سمت الشمال، فإذا صاروا إلى الشام ولاسيما عاصمتها وغوطتها يعجبون بأشجارها وزروعها، ومنها ما لا يُعرف في جزيرة العرب، ويدهشون لخصبها ومياهها الدافقة، وقد فارقوا واديًا غير ذي زرع. وتغنى الشعراء في الإسلام بالغوطة، وأُعجب بها أهلها والقاصدون إليها، حتى قال أبو بكر الخُوارَزْمي: **إن جنان الأرض أربع**: صُغد سمرقند، ونهر الأُبلة، وشِعب بوّان، وغوطة دمشق. قال إنه زارها كلها فكان في رأيه فضل غوطة دمشق على الثلاث كفضل الأربع على غيرهن، وقال: كأنها الجنة وقد زخرفت وصُورت على وجه الأرض.

يتألف من مجموع ما ورد على ألسن الشعراء في وصف الغوطة ديوان لطيف، ومنه ما هو من الشعر الجيد لأنه صدر عن شعراء مشهورين. وأدب

---

(١) الدّبر الجبل. [أقول: جاء في معجم «متن اللغة»: دَبْر: جبل بين تيماء وجَبَلَيْ طَيْء (المراجع)].

الغوطة يجمع بين خصائص كثيرة، منها الوصف والعاطفة والتاريخ وتقويم البلدان. وأرض كلها شعر لا يستغرب أن توحي الشعر للشعراء يتغنون بما خصها به الفاطر تعالى من البدائع، ويخلدونها مجمعين على محاسنها. ونحن نقتطف طاقات من تلك الأزهار نقدمها ذكرى لما في بطن الغوطة من خيرات ومباهج.

● أطلق البحتري على الغوطة اسم صحراء دمشق في قصيدته التي مدح بها المتوكل العباسي لما نقل دواوين الملك إلى عاصمة الشام وهي التي يقول في مطلعها:

العيش في ليل (داريا) إذا بردا ... والراح نمزجها بالماء من (بردى)

إلى أن قال:

أما دمشق فقد أبدت محاسنها ... وقد وفى لك مطريها بما وعدا
إذا أردت ملأت العين من بلد ... مستحسن وزمان يشبه البلدا
يمسي السحاب على أجبالها فِرَقًا ... ويصبح النبت في صحرائها بددا
فلست تبصر إلا واكفًا خضلًا ... أو يانعًا خضرًا أو طائرًا غردا
كأنما القيظ ولىّ بعد جيئته ... أو الربيع دنا من بعد ما بعدا

وفي الشام يقول:

عُنيت بشرق الأرض قدمًا وغربها ... أُجوّب في آفاقها وأسيرها
فلم أر مثل الشام دار إقامة ... لراح أُغاديها وكأس أُديرها
مصحة أبدان ونزهة أعين ... ولهو نفوس دائم وسرورها
مقدسة جاد الربيع بلادها ... ففي كل أرض روضة وغديرها

● وقال الصنوبري (٣٣٤):

أمرُّ (بدير مرّان) فأحيا ... وأجعل بيت لهوي (بيت لهيا)
ويبرد غلتي (بردى) فسقيًا ... لأيامي على (بردى) ورعيا

تفيض جداول البلور فيها ... خلال حدائق ينبتن وشيا
فمن تفاحة لم تَعْدُ خدًّا ... ومن رمانة لم تُخْطِ ثديا
ونعم الدار (داريا) ففيها ... حلا لي العيش حتى صار أرْيا
ولي في باب (جيرون) ظباء ... أعاطيها الهوى ظبيًا فظبيا
صفت دنيا دمشق لساكنيها ... فلست أريد غير دمشق دنيا

• وقال ابن منير الطرابلسي (٥٤٨):

حيّ الديار على علياء (جيرون[١]) ... مهوى الهوى ومغاني الخُرّد العينِ
مَرَاد لهوي إذ كفي مصرّفة ... أعنة العيش في فيح الميادين
(بالنيربين) (فمقرى) (فالسرير[٢]) (فجمـ ... ـرايا[٣]) فجوّ حواشي جسر (جسرين)
(فالقصر) (فالمرج) (فالميدان) (فالشـ ... ـرف الأعلى) (فسطرا) (فجرمانا) (فقلبين)
(فالماطرون) (فداريا) فجارتها ... (فآبل[٤]) فمغاني (دير قانون)
تلك المنازل لا (وادي الأراك) ولا ... (رمل المصلى) ولا أثلاث (يبرين[٥])

---

(١) جيرون سقيفة مستطيلة على عمد وسقايف وحولها المدينة تطيف بها . قاله ياقوت في المعجم. وفيه أن جيرون حصن قال: والمعروف اليوم أن بابًا من أبواب الجامع بدمشق وهو بابه الشرقي يقال له باب جيرون وفيه فوارة ينزل عليها بدرج كبير في حوض من رخام وقبة خشب يعلو ماؤها نحو الرمح.

(٢) الغالب أن الشاعر استعمل السرير للتعبير عن المهد لأن من الأساطير أن في الربوة مهد عيسى.

(٣) ليست جمرايا من الغوطة وهي مزرعة فوق الهامة من الغرب وفيها قال الشاعر الواساني من شعراء اليتمية قصيدته البديعة فيمن آذوه بالنزول عليه.

(٤) آبل ودير قانون في سوق وادي بردى.

(٥) وادي الأراك قرب مكة يتصل بغيقة والمصلى موضع بعينه في عقيق المدينة، ويبرين من أصقاع البحرين وهناك الرمل الموصوف بالكثرة بينه وبين الفلج ثلاث مراحل وبينه وبين الإحساء وهجر مرحلتان وهو فيما بينها (ياقوت).

واهًا لطيب غُديات الربيع بها ... وبرد أنفاس آصال التشارين
ويَطَّبِيْني[١] لدار الروم ما شهرت ... (بدير مران) أعياد الشعانين
أبدت دمشق ربيعًا جلَّ صانعه ... يأتيك في كل حين غير ممنون

• والماطرون موضع قرب دمشق عدّ من بدائعها ونسب ليزيد بن معاوية قوله:

ولها (بالماطرون) إذا ... أكل النمل الذي جمعا
خُرْفة[٢] حتى إذا ربعت ... ذكرت من (جلَّق) بيعا
في قباب حول دسكرة ... بينها الزيتون قد ينعا

ونسبوا إليه بيتين قيل إنه قالهما لما أصاب المسلمين سباء بأرض الروم وهما:

وما أبالي بما لاقت جموعهم ... بالخذقدونة من حمى ومن موم
إذا اتكأت على الأنماط مرتفقًا ... (بدير مران) عندي أُم كلثوم[٣]

• وقال العماد الكاتب:

أهدى النسيم لنا ريا الرياحين ... أم طيب أَخلاق جيراني (بجيرون)
هبت تنبه أطرابي وتبعثها ... مني وتوجب للتهويم تهويني
وما درينا أ (داريا) لنا أرجت ... أم دار في دارنا عطار (دارين[٤])
ورب همّ فقدناه (بربوتها) ... ورب قلب أضعفناه (بقُلبين)

---

(١) في القاموس: طَبَيْته عنه صرفته وإليه دعوته كاَطَّبَيْتُهُ.
(٢) الخرفة بالضم المخترف والمجتنى كالخرافة.
(٣) الموم البرسام، وأم كلثوم امرأته، والخذقدونة أو الغذقدونة بلد في الروم وهو الثغر الذي فيه المصيصة وطرسوس وأذنة وعين زَربة. [البرسام: التهاب في الغشاء المحيط بالرئة (ذات الجَنْب) المراجع].
(٤) دارين فرضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند (ياقوت).

لولا جسارة قلبي ما ثبت على الـ ـعبور من طرب في جسر (جسرين)
يصبيك (ميطورها) طورًا (ونيربها) طورًا ويوليك إحسانًا (بتحسين)(١)
نعيمها غير ممنوع لساكنها كالخلد، والمنُّ فيها غير ممنون
أهوى مقَّري (بمُقرى) والرياض بها للزهر ما بين تفويف وتزيين
هاجت بلابل قلب المستهام بها بلابلُ الأيك غنتنا بتلحين
تتلو (بسطرا) أساطير الغرام على صوامع الدوح وُرق كالرهابين
قمريّها مقرئ يشدو بنغمته آيًا يعلمها من غير تلحين

• ولابن منقذ الكناني في وصف دمشق حاضرة الغوطة الكبرى وما إليها قصيدة مطولة جمع بها كل المحاسن ومما قال فيها:

وإذا مررتَ على المنازل معرضًا عنها قضى لك حسنها أن تقبلا
إن كنت لا تستطيع أن تتمثل الـ ـفردوس فانظرها تكن متمثلا
وإذا عنان اللحظ أطلقه الفتى لم يلق إلا جنة أو جدولا
أو روضة أو غيضة أو قبة أو بركة أو ربوة أو هيكلا
أو واديًا أو ناديًا أو ملعبًا أو مِذْنَبًا(٢) أو مِجْدلًا(٣) أو موئلا
أو شارعًا يزهو برَبْعٍ(٤) قد غدا فيه الرخام مجزَّعًا ومفصلا
وفواكه متخالف أصنافها مما يشوقك مطعمًا وتأملا
مصفر تفاح بدا في أحمر يحكي المحب أتى الحبيب مقبلا

---

(١) لم نعرف قرية أو متنزهًا بهذا الاسم.
(٢) المذنب كمنبر مسيل الماء إلى الأرض ومسيل في الحضيض، والجدول يسيل عن الروضة بمائها إلى غيرها (القاموس).
(٣) المجدل كمنبر القصر ج مجادل.
(٤) الرّبع: الدار والمحلة والمنزل.

والورد مثل الخد يعلوه من الـ ـريحان صدغ شعره قد رُجّلا
وبنفسج كنُفاضة[١] من أثمدٍ تبديه أجفان البكاء تذللا
وتخال نوْر الباقلاء إذا بدا للواحظ الأبصار طرفًا أحولا
نشرت مطارفه وجاءك نشرها فحسبتها وشيًا تأرج مندلا
ويهزُّ مَرُّ نسيمها أشجارها فتخال غادات تشكت إفكلا[٢]
وعلت غصون خلافه محمرةً وهفت بها ريح فضاهت مشعلا
وإذا البلابل أسمعت ترجيعها السالي تراجع وجده متبلبلا
ومتى هوى ورق الغصون وجدته ذهبًا وكان زمردًا لما علا
وكأن (واديها) قراب أخضر يستل من (بردى) حسامًا منصلا

• ذكر ابن عساكر أن أبا الفتح المسلم بن هبة الله الكاتب ألف رسالة في تفضيل دمشق على غيرها من البلاد، ذكر فيها بعض خواصها وبعض ما قالت الشعراء في وصفها، ولم يبلغ في ذلك كنه حقها ولم يوفها، فقال في أثناء الرسالة: ومن صفتها، وأظن هذه الأبيات له[٣]:

دِمن كأن رياضها يُكسين أعلاق المطارف
وكأنما نُوّارُها يهتـ ـز بالريح العواصف
طُرَر الوصائف يلتقيـ ـن بها إلى طرر الوصائف
وكأنما غدرانها فيها عشور في مصاحف

ثم قال بعد أوراق ولقد سافرت عن دمشق دفعات فكان إنشادي:

---

(١) النُفاضة: ما سقط من المنفوض المتساقط. والأثمد: حجرٌ يكتحلُ به.
(٢) الأفكل: الرعدة من الخوف أو البرد.
(٣) نسب الشابشتي صاحب كتاب الديارات هذه الأبيات لعلي بن محمد الحماني العلوي، وردت في قصيدة قالها في ديارات الأساقف في العراق.

وما ذقت طعم الماء إلا وجدته ... كأن ليس بالماء الذي كنت أعرف
ولا سرَّ صدري مذ تناءت بي النوى ... أنيس ولا مال ولا متصرف
ولم أحضر اللذات إلا تكلفًا ... وأي سرور يقتضيه التكلف

وقوله وكأنما غدرانها فيه إشارة لطيفة إلى ما فيها من أنواع الغدران على أنهارها السبعة، وكان الناس يقصدونها للنزهة في كل زمن. ذكروا أن الأخطل جاء إلى معبد المغني في قَدْمةٍ قدِمَها إلى الشام فقال له معبد: إني أحب محادثتك، فقال له: وأنا أحب ذلك، وقاما يتصبحان الغدران حتى وقفا على غدير فنزلا وأكلا، فتبعهما أعرابي فجلس معهما لا يعرفانه ولا يستخفانه فشرب شرابهما وثقل عليهما فقال الأخطل في ذلك:

وليس القذى بالعود يسقط بالإنا ... ولا بذباب خطبه أيسر الأمر
ولكن شخصًا لا تُسَرُّ بقربه ... رمتنا به الغيطان من حيث لا ندري

وقال ابن عُنين وهو بالهند يتشوق إلى دمشق وغوطتها من قصيدة:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... وظِلُّك (يا مُقرى) عليَّ ظليل
وهل أُربني[*] بعد ما شطَّت النوى ... ولي في ذرى روض هناك مَقيل
دمشق فبي شوق إليها مبرح ... وإن لجّ واش أو ألحّ عذول
بلاد بها الحصباء دُرٌّ وتربها ... عبير وأنفاس الشمال شمول
تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق ... وصحَّ نسيم الروض وهو عليل
فيا حبذا الروض الذي دون (عزتا)[١] ... سُحيرًا إذا هبت عليه قَبول

(*) لعلّها (أَرَيَنّي)؟ (المراجع).

(١) عزتا قلعة من نواحي وادي بردى كانت قرب الفيجة، وقد أكثر الشاعر من ذكرها في ديوانه، ويقول ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار: إن عين الفيجة تخرج في مكان تحت حصن عزتا فلعلها هي التي يتغزل بها الشاعر.

ويا حبذا الوادي إذا ما تدفقت ... جداول (باناسٍ) إليه تسيل
وفي كبدي من (قاسيون) حرارة ... تزول رواسيه وليس تزول
إذا لاح برق من (سنير) تدافعت ... بسحب جفوني في الخدود سيول
فلله أيامي وغصن الصبا بهما ... وريق وإذ وجه الزمان صقيل

ومما قال:

يذكرني البرق الشآمي إن خفا[(١)] ... زماني بكم يا حبَّذا ذلك الزمن
ويا حبذا الهضب الذي دون (عزتا) ... إذا ما بدا والثلج قد عمم القُنَن
أأحبابنا لا اسأل الطيف زورةً ... وهيهات ابن (الديلميات) من عدن

وقال:

في روضة (بالنيربين) أريضة ... رضعتْ أفاويق السحائب حُفَّلا
أنى اتجهت رأيت ماءً سائحًا ... متدفقًا، أو يانعًا متهدّلا
وكأنما أطيارُها وغصونها ... نغم القيان على عرائس تجتلى
وكأنما الجوزاء ألقت زهرها ... فيها وأرسلت المجرة جدولا
ويمر معتل النسيم بروضها ... فتخال عطَّارًا يحرّق مندلا

• وقال فتيان الشاغوري يصف أصول أنهار دمشق ويستفتح ببردى:

كأنّ طيور الماءِ فيه عرائس ... جُلين على شاطيه خضر الغلائل
إذا كرعت فيه تيقَّنت أنها ... تزق فراخًا وهي زُغب الحواصل
وكم سمكٍ فيه عليه جواشنٌ[(٢)] ... من التبر صيغت وهو بادي المقاتل
جريح بأطراف الحصا فخريره ... أنين له من جسّ تلك الجنادل

---

(١) خفا البرق: لمع.

(٢) الجواشن: الدروع.

إذا قابل النهر الدجى بنجومه أرانا بقعر الماءِ ضوءَ المشاعل
تغلغل في الوادي فوافى كقينة منعمة حسناء ليست بعاطل
فعانقها حتى انثنت مشمعلة(١) تقل على ظهر الصفا بطن حامل

• قال ياقوت: وكان حسان بن نمير المعروف بعرقلة الدمشقي يذكر (جلق) ويصف كثيرًا من نواحيها. ومن قصيدة وازن بها عرقلة قصيدة أبي نواس: «أجارة بَيْتَيْنا أبوك غيورُ» مدح بها صلاح الدين يوسف بن أيوب وقصده بها إلى مصر كما فعل أبو نواس في قصيدة الخصيب، جاء فيها:

وكم بين أكناف (الثغور) متيم كئيب غزته أعينٌ وثغورُ
وكم ليلة (بالماطرون) قطعتها ويوم إلى (الميطور) وهو مَطير
سقى الله من (سطرا) و(مُقرى) منازلًا بها للندامى نضرةٌ وسرور
ولا زال ظلّ (النيربين) فإنه طويل، ويوم المرءِ فيه قصير
ويا (بردى) لازال ماؤك باردًا وماء الحيا من حافَتَيْك نمير
أبى العيش إلا بين أكناف (جلق) وقد لاح فيها أشمسٌ وبدور

وقال عرقلة أيضًا:

أما دمشق فجنات مزخرفة للطالبين، بها الولدانُ والحورُ
ما صاح فيها على أوتاره قمرٌ إلا وغنَّاه قمريّ وشحرور
يا حبذا ودروع الماء تنسجها أنامل الريح إلا أنها زور

وقال:

تؤرّق وُرقُ (الغوطتين) لواحظي وينحل جسمي حب غزلان (جاسم)(٢)
أأحبابنا إن كنتمُ قد عزمتمو على البعد من إطلالكم والمعالم

---

(١) سريعة.
(٢) جاسم من قرى حوران ينسب إليها أبو تمام الشاعر العظيم.

فلا ترسلوا برقًا إلى غير ساهر ولا تبعثوا طيفًا إلى غير نائم

وقال:

دمشقُ حُيِّيتِ من حي ومن نادي وحبذا حبذا واديك من وادي
يا رائحًا غاديًا عرّج على (بردى) وخلّني وحديث الرائح الغادي
كم قد شربت به من ماء دالية في ظل دالية[1] تُنْبِيْك عن عاد
في جنب ساقية من كف ساقية كادت تَثنَّى بقدّ غير ميّاد
لها بعيني إذا ماست معاطفها جمال ميّاسة في عين مقداد

وقال:

هذا هو الزمن البديع المونق والعيشة الرَّغد التي هي تعشق
فعلام نصحو والحمام كأنها سكرى تغني تارة وتصفق
وتلوم في حب الديار جهالة هيهات يسلوها الفؤاد الشيّق
والشام شامة جنَّة الدنيا كما إنسان مقلتها الغضيضة (جلق)
مِن آسها لك جنة لا تنقضي ومن الشقيق جهنم لا تحرق
سِيَما وقد رقم الربيع ربوعها وشيًا به حدق البرايا تحدق
في (نيرب) ضحكت ثغور أقاحه لما بكاه العارض المتألق

• ومن أجمل ما ورد فيه اسم (جلق) من الشعر القديم أبيات لأبي فراس طراد بن علي السلمي الدمشقي (٥٢٤) وهي:

يا نسيمًا هبّ مسكًا عَبقا هذه أنفاس رَيَّا[2] جِلِّقا
كفّ عني، والهوى، ما زادني بردُ أنفاسك إلا حُرَقا

---

(١) الدالية الأولى الناعورة. والدالية الثانية وجمعها الدوالي عنب أسود غير حالك.

(٢) الريا الريح الطيبة.

ليت شعري نقضوا أحبابنا ... يا حبيب النفس ذاك الموثقا[١]
يا رياح الشوق سوقي نحوهم ... عارضًا من سحب عيني غَدقا
وانثري عقد دموع طالما ... كان منظومًا بأيام اللقا[٢]

اشتهرت هذه الأبيات وغنّى بها المغنون، وروي عن بعضهم أنه مرّ يومًا ببعض شوارع القاهرة، وقد ظهرت جمال كثيرة حُمولتها تفاح فتحي من الشام، فعبقت روائح تلك الحمول، فأكثر التلفُّت لها، وكانت أمامه امرأة، ففطنت لما داخَلَهُ من الإعجاب بتلك الرائحة، فأومأت إليه وقالت: «هذه أنفاس رَيّا جلقا».

• قلنا إن من الشعراء من ثَنَّوا الغوطة كما ثنوا النيربين والغيضتين، وفَخَرُوا بالواديين (وادي بردى، ووادي معربا ـ منين)، وأجاد في ذلك عبد الرحيم بن المحسن الصوري التنوخي (٥٤٢) في قوله:

هاج اشتياقك برق خاطف لمعا ... وهنًا ونوح حمام الأيك إذ سجعا
أضاء منه الحمى لما تألق من ... أكناف نجد فأذكى الوجد والجزعا
يا برق ما العهد منسيٌّ لديك ولا ... حبل الهوى رثّ لما بنت فانقطعا
أقسمت بالرب والبيت الحرام ومَنْ ... أَهلَّ معتمِرًا من حوله وسعى
أنَّ الأولى بنواحي (الغوطتين) وإنْ ... شطّ المزار بهم يومًا وإنْ شسَعَا
أشهى إلى ناظري من كل ما نظرت ... عيني وفي مسمعي من كل ما سمعا

---

(١) وجاء بعد هذا البيت في الخريدة هذان البيتان:
يا لصبٍّ أسروا مهجته ... بسهام أرسلوها حدقا
وأداروا بعده كاس الكرى ... وهو لا يشرب إلا الأرقا

(٢) وبعد هذا البيت الخامس بيتان آخران رواهما في الخريدة وهما:
أسروا قلبي جميعًا عندهم ... بأبي ذاك الأسير الموثقا
ليت أيام التصابي ثبتت ... بالفتى أو ليته ما خلقا

ولا (كفر طاب[١]) عندي بالحمى عوضًا   نعم سقى الله سكان الحمى ورعا

● وثَنّاها أيضًا الشهاب التلعفري (٦٧٥) بقوله:

أحبابنا بنواحي (الغوطتين) سقى   ربوعكم وابل من دمعي الذرف
قد كنت قبل النوى أشكو الصدود فوا   لهفي على الصد يومي ذا ويا أسفي
جادتك يا ساحتي (جيرون) سارية   من السواري الثقال الوكّف الوطف
ولا تعداك يا (باناس) منهمر   يهمي على (القصر) و(الميدان) و(الشرف)

وقال أيضًا يصف بعض متنزهات دمشق:

جريت بحمراء الكميت إلى (الشقرا)   مقر الهوى حسنًا وأعرضت عن مقرا
وأبصرت ما بين (الميادين)[٢] سائلا   فلم أر إلا أن أقابله نهرا
فلله أيام تولت بجانبي   (يزيد) فقد كانت لبهجتها العمرا
وما كان مقصودي يزيد وبرده   ولكن قصدي كان أن انظر الزهرا

● وقال ابن الدهان الموصلي من قصيدة:

نشوى تُغني لها وُرق الحمام على   أوراقها ويد الأنواء تسقيها
صفا لها الشرب فاخضرت أسافلها   حتى ضفا الظل وابيضت أعاليها
وصفق النهر والأغصان قد رقصت   فنقطته بدُرّ من تراقيها
كأنما رقصها أوهى قلائدها   وخانها النظم فانثالت لآليها
وقابل الغصن غصن مثله وشدت   أقمارها فأجابتها قماريها

(١) قال ابن العديم كانت كفر طاب مشحونة بأهل العلم وكان بها يقرأ الأدب ويشتغل به، وهي على مقربة من معرة النعمان، خربت أواخر القرن الخامس. ويقول المؤرخون إنه لم يسلم أحد من كفرطاب في زلزال سنة ٥٥٢.

(٢) كان في دمشق أربعة ميادين وكلها تعد من الغوطة كميدان الحصا وميدان الشرف الأعلى. والميدانان الآخران ميدان ابن أتابك مكان الملعب البلدي اليوم وميدان القصر مكان دائرة الشرطة وقصر الحكومة وقصر محافظة دمشق الممتازة.

ومنها:

سماء دوح ترد الشمس صاغرة ... عنا وتبدي نجومًا في نواحيها
ترى البدور بها في كل ناحية ... ممدودة للنجوم الزهر أيديها
إذا الغصون هززناها لنيل جنًى ... صارت كواكبها حصباء أرضيها
من كل صفراء مثل الماء يانعة ... تخالها جمر نار في تلظيها

• وقال موفق الدين بن عبد السلام من قصيدة يصف دمشق منها:

وأنهارها ما بين ماء مسلسل ... من الريح أو ماء من الدفق مطلق
وأشجارها من كل جنس مقسم ... وأثمارها من كل نوع منمق

• ولِعَيْنِ بصل الحراني من قصيدة:

أما ترى الأرض إذ أبكى السحاب بها ... آذارها ضحكت إذ جاء نيسانُ
والزهر كالزهر حيّاه الحَيَا فبدت ... في الروض منه إلى الأبصار ألوان
زمرّد قضب فيها مركبة ... جواهر ويواقيت ومرجان
كأنما الورد خد الحب حين غدا ... له العذار سياجًا وهو ريحان
كأن منثورها إذ لاح مبتسمًا ... جيش من الروم بانت منه صلبان
كأنما البان أهدى المسك حين بدا ... فَعَطّر الكون لما أورق البان
كأن ريح الصبا طافت بخمر هوى ... من الرياض فكل الكون نشوان
كأنما حمرة التفاح خدّ رشا ... لي في هواه عن السلوان سلوان
كأن نارنجها نار وباطنه ... ثلج وفيه لجين وهو عقيان
والطير تُطرب بالعيدان نغمتها ... ما ليس يطرب بالأوتار عبدان
أبدت فنونًا فأفنت صبر سامعها ... بالنوح إذ حملتها فيه أفنان
بلابل هيجت منا بلابلنا ... وهاج منا صبابات وأشجان

• وقال مجد الدين الأربلي (٦٩٧) يتشوق إلى دمشق من قصيدة:

مواطن فيها (السهم) سهمي فكلنا ... نحث مطايا اللهو فيه ونُعنقُ
كلا جانبيه مُغْلَم بمجمد ... من الماء في إطلاله يتدفق
إذا الشمس حلّت بينه فهو مذهب ... وإن حجبتها دوحه فهو أزرق
وإن فرّج الأوراق جادت بنورها ... فَرَقم[١] أجادته الأكف منمق
أطل عليه (قاسيون) كأنه ... غمام معلّى أو لُغام[٢] معلق
تسافر عنه الشمس قبل غروبها ... وترجف إجلالًا له حين تشرق
وتصفر من قبل الأصيل كأنها ... محب من البَيْن المشتِّت مشفق
بدائع من صنع القديم ومحدث ... تأنق فيه المحدث المتأنق
رياض كوشي البرد تزهو بحسنها ... جداولها والنَّوْر بالماء يشرق
فمن نرجس يخشى فراق فريقه ... ترى الدمع في أجفانه يترقرق
ومن كل ريحان مقيم وزائل ... تضاعف رياه الرياح فيعبق
كأن قدود السرو فيه موائسًا ... قدود عذارى ميلها يترقرق
إذا ما تداعت للتعانق صدها ... عيون من النَّوْر المفتح ترمق
وقصر يكلُّ الطرف عنه كأنه ... إلى النسر نسر في السماء محلق
زها ببديع الوشي حسنًا كأنما ... مدبّج روض في نواحيه ملصق
وكم جدول جار يطارد جدولًا ... وكم جوسق عال يوازيه جوسق
وكم بركة فيه تضاحك بركة ... وكم قسطل في الماء للماء يدفق
وكم منزل يعشي العيونَ كأنما ... تألق فيه بارق متألق
وفي (الربوة) الشماء للقلب جاذب ... وللسمع أصمات وللعين مرمق

---

(١) الرقم ضرب مخطط من الوشي أو الخز أو البرود.

(٢) اللغام: زبد أشداق الإبل.

فهام بها الوادي ففاضت عيونه ... فكل قرار منه بالدمع يملق[١]
تكفل من دون الجداول شربها ... (يزيد) يصفيه لها ويصفق
إذا أشرف الولدان من شرفاتها ... رأيت بدورًا في بروج تألق
وفي (بردى) مغنى يشوق ومنظر ... يروق ومأوى للسرور ومطرق
إذا أنت من أعلاه أشرفت ناظرًا ... تجيل عنان الطرف فيه وتطلق
رأيت به بحرًا من الدوح مزبدًا ... وغدرانه حيتانه منه ترمق
تميل مع الأفنان فيه كأنها ... نشاوى وما دار الرحيق المعتق
وتعطف أعطاف الغصون حمامة ... إذا ما تغنت والغدير يصفق
وتجمع فيه كل حسن مفرق ... وشمل الأسى عن حاضريه مفرق
كأن رياض (الغوطتين) جنوده ... يقسم فيها جوده ويفرق

وهكذا أطال وذكر المزة وسطرا ومقرى وبيت أبيات وجسرين والصالحية وبعض شوارع دمشق وجامعها.

• وقال ابن الصائغ العروضي (٧٢٢هـ) يتشوق إلى عاصمة الغوطة أيضًا ويذكر أرباضها ورياضها بدأها بقوله:

لي نحو ربعك دائمًا يا جلق ... شوق أكاد به جوًى أتمزق

إلى أن قال مخاطبًا دمشق:

ولكم أُحدث عنك من لاقيته ... وجميع من سمع الحديث يصدق
والأرض في عرض وطول دائمًا ... لم يحو مثلك غربها والمشرق
لله (وادي النيربين) وظله ... لا (الرقمتين) و(رامة) و(الأبرق)[٢]

---

(١) تملّق الماء إذا سال في الأرض وهو من كلام المولدين. وملقَ مثلُه.

(٢) الأبرق والبرقاء حجارة ورمل مختلطة وكذلك البرقة وهي عدة أماكن تضاف إلى أمكنة أخرى. ورامة منزل بينه وبين الرمادة ليلة في طريق البصرة إلى مكة وفيها جاء المثل: تسألني =

وسقى ديار (الصالحيه) وابل ... يهمي على تلك المنازل مغدق
و(السهم) ما افترت ثغور أقاحه ... إلا ودمع سحابه يترقرق
كم فيه من قصر منيف مشرف ... يبدو فيه قمر منير مشرق
(وبِبَيْتِ لهيا) لا تعداه الحيا ... طلل عليه من النضارة رونق
هو منزل آثاره مشهورة ... ولأهله عهد عليّ وموثق
وحباك يا أطلال (جوبر) واصلا ... غيث مريع مستهل مشفق
لله سرحة ذلك الربع الذي ... قلبي يهيم به وذاك الجوسق
و(القصر) و(الشرفان) و(الشقراء) و(الميدان) عشقًا للذي لا يعشق
فلكم حوت تلك المنازل صورة ... فيها الجمال مجمع ومفرق
فمخضب ومؤزر ومعمم ... ومزنر ومبرقع ومقرطق
كم من غزال بالنفوس متوج ... وقضيب بان بالعيون ممنطق
والريح تكتب والجداول أسطر ... خط له نسخ الربيع محقق
والطير يقرأ والنسيم مردد ... والغصن يرقص والغدير مصفق
ومعاطف الأغصان أثنتها الصبا ... طربًا فذا عارٍ وهذا مورق
وكأن زهر اللوز أحداق إلى الزوار من خلل الغصون تحدق
وكأن أشجار الرياض سرادق ... في ظلها من كل لون نُمرق(١)
والورد بالألوان يحلو منظرًا ... ونسيمه عطر كمسك يعبق
فبلابل منها تهيج بلابلًا ... وكذاك أثواب الشقيق تشَقق
وهزاره يصبو إلى شحروره ... ويجاوب القمريّ فيه مطوق

= برامتين سلجما. والرقمتان تثنية الرقمة وهو مجتمع الماء في الوادي والرقمتان روضتان إحداهما قريبة من البصرة والأخرى بنجد.

(١) النمرُق والنمرقة مثلثة، الوسادة الصغيرة، والنمرقة بالكسر من السحاب ما كان بينه فتوق.

وكـأنـمـا فـي كـل عـود صـادح عـود حـلا مـزمـومـه والـمـطـلـق
والوُرق في الأوراق يشبه شجوها شجوي وأين من الخليّ الموثَق
تتلو على الأغصان أخبار الهوى فيكاد ساكن كل شيء ينطق

• وقال شيخ الربوة في الغوطة:

شموس وأقمار من النَّوْر طلع لذي اللهو في أكنافها متمتع
كأن عليها من مجاجة طلها لآلىء إلا أنها منه ألمع
نشاوى تثنيها الرياح فتنثني يعانق بعض بعضها ثم يرجع

وقال تاج الدين الصرخدي من قصيدة وكتب بها من مصر:

أشرف على (الشرف الأعلى) إذا سنحت لك الظباء بسرحات (الميادين)
في يوم سبت ترى الوفرات جائلة على المناكب أمثال الثعابين
وسهمها حيّ ذاك «السهم» فهو لقلـ ـبي السهم منه سهام الشوق تصميني
واقْرَ السلام على (الوادي) وسرحته وحيِّ «باناسها» عني فتحييني
وقف (بمسجد خاتون) فإن به (وبالمنيبع) أضحى ا القلب في هون
وأن أتيت الحمى وهنًا فحيّ به حيًّا أقاموا (بجرمانا) و(جسرين)
وابرز (ببرزة) حيث الماء منحدر يسوح بين رياض للرياحين
يشفي الغليل برياه ويسعدها روائح خطرت من قلب (قلبين)
وامْطِرْ دموعك (بالميطور) وابْكِ على زمان لهو قطعناه (بعربين)
وسَلْ حمائم ذاك الدوح مبتكرًا يَنُحْنَ شجوًا بأفنان البساتين
حيث الشقائق تلقى خدها خفرًا والورد يزهى بمنثور ونسرين
والنرجس الغض قد أضحت مجامره تحكي فتور عيون الخُرَّد العِيْن

إلى أن يقول:

ما (المقس) داري ولا (السبع الوجوه) أرى المقام فيها وليس التاج يعنيني

ولست آسف يومًا إن ظعنت عن (المـ ... ـقياس) والنيل طام مثل جيحون
ولا أرى نظر (الأهرام) يقنعني ... عن جوسق في ربى (جديا) و(زبدين)
كلا ولا ساحة (القصرين) تقطعني ... عن حسن جامعها يومًا وتلهيني
ولا (القرافة) تثنيني زيارتها ... عن (قاسيون) ولا (الأرصاد) تسليني
ولا أرى نزهتي في (اللوق) لائقة ... من بعد (سطرا) و(مقرى) و(الطواحين)
ولا تعوضت عن (باب البريد) بما ... أراه في الليل من سود الدخاخين
هذا حديثي وما حال الزمان ولا ... طال المطال وعندي من يسليني
سأرحل العيس عنها وهي صاغرة ... إلى الشآم وأدنى الرزق يكفيني
أسعى له فيُعَنِّيْني تَطَلُّبُه ... ولو قعدْتُ أتاني لا يُعَنِّيني

● ولعبد المنعم الجلياني الأندلسي شاعر صلاح الدين قصيدة في الغوطة مطلعها: عهود ليلى وما ضمّت لياليها.

قال فيها:

وليلة (الربوة) الشماء معلمة ... حتى الصباح بروح الذكر نحييها
مأوى ابن مريم في مسرى سياحتها ... قد بوركت بمعانيه مغانيها
تحفها سبعة لو سد مسربها ... لطمَّ شامخة الآطام طاميها
كأنها الحجر الملقي عصاه به ... موسى ففجر للأسباط جاريها
كأنها درة أضحى (يزيد) لها ... خيطًا بلبّات آكامٍ تواليها
مَعينة ببحار يلتطمن بها ... مُعينة لخيار أخبتوا فيها
وصخرة (المزة) الغراء ناطحة ... قرن الغزالة في مبدا تجليها
محلة (السفح) ما شيب السفوح بها ... بل مثل ما روَّق الصهباء ساقيها
يغذى بها القلب أنفاسًا بلا كدر ... فلن يحل الوبا أطراف ثاويها
إن الهواء إذا رقت مناسمه ... في بلدة لطفت أخلاط أهليها

واذْكُرْ ضحى (الشرف الأعلى) إذا طلعت ... ذكاء من أفق أشجار تواريها
ومنظرًا يستبي الألباب رائعه ... ويشغل النفس عن أشهى أمانيها
يرنو إلى (بردى) ينساب في بَرَد ... في بُردتي سندس خضر حواشيها
تكسر الماء بلورًا وراكده ... كالفضة الحوق[1] مصقول عواليها
وحيث شئت فأشجار تمد على ال ... أنهار ظلًّا يُغشِي من يوافيها
فكل صورة أنس في منازلها ... وكل نزهة نفس في روابيها
لولا أمور وأرزاق مقدرة ... لم يرتحل عن دمشق حاضر فيها

• وقال أمير الشعراء أحمد شوقي من المعاصرين المصريين يصف الغوطة من قصيدة:

آمنت بالله واستثنيت جنَّته ... دمشق روح وجنات وريحان
قال الرفاق وقد هبت خمائلها ... الأرض دار لها (الفيحاء) بستان
جرى وصفَّق يلقانا بها (بردى) ... كما تلقاك دون الخلد رضوان
دخلتها وحواشيها زمردة ... والشمس فوق لجين الماء عقيان
والحَوْر في (دمر) أو حول (هامتها) ... حُور كواشف عن ساقٍ، وولدانُ
و(ربوة) الواد في جلباب راقصة ... الساق كاسية والنحر عُريان
والطير تصدح من خلف العيون بها ... وللعيون كما للطير ألحان
وأقبلت بالنبات الأرض مختلفًا ... أفوافه فهو أصباغ وألوان
وقد صفا (بردى) للريح فابتردت ... لدى ستور حواشيهن أفنان
ثم انثنت لم يزل عنها البلال ولا ... جفت من الماء أذيال وأردان
خلَّفتُ (لبنانَ) جناتِ النعيم وما ... نُبِّئت أن طريق الخلد لبنان

---

(١) الحوق من حاق الشيء، يحوقه: دلكه وملسه.

• ولصديقنا الأستاذ السيد خليل مردم بك الدمشقي قصيدة يصف فيها ما في الغوطة من جمال وروعة:

كم في أزاهيرِ الرياضِ لناظرٍ ... من مقلةٍ وسْنَى وخدٍّ ناضرِ
ماست أماليدُ الغصونِ بوَشيها ... معطارةً وازّيَّنَتْ بجواهرِ
لله ما صنعتْ وما جادتْ به ... في «الغوطتين» يدُ الربيع الباكرِ
بسطَت وثير قَطيفةٍ فوق الثرى ... خضراءَ فيها كلُّ لونٍ زاهرِ
من أحمرٍ قانٍ وأصفرَ فاقعٍ ... أو أزرقٍ زاهٍ وأبيضَ سافرِ
وكستْ وحلَّتْ سمحةً أشجارَها ... فجَلَتْ عرائسَها بوشيٍ فاخرِ
معقودةَ الإكليل زهراءَ الحُلى ... خفَّاقةَ الأقراط ذاتَ أساورِ
أرختْ من الظل الظليل غصونُها ... طُررًا وأذيالًا وفضلَ مآزرِ

★ ★ ★

حَيَّا جِنانَ «الغوطتين» وجادَها ... سمْحُ القيادِ من السحاب الماطرِ
حلمٌ من الإبداع فيها ماثل ... من دونه يعيا خيالُ الشاعرِ
تتناثر الأزهارُ في أجوائها ... مبثوثةً مثل الفَراشِ الثائرِ
فَنَنٌ يُرنحهُ النسيم كأنه ... نشوانُ من نَفَس برودٍ عاطرِ
عرقتْ جباهُ الزهر من قطر الندى ... ملتفةَ الأعناقِ ذاتَ تأطُرِ
كالبكرِ يرشحُ للحياءِ جبينُها ... عرقًا إذا ضُمَّت لصدرِ الهاصرِ
وإذا الرياحُ تأوهت سقط الندى ... من كل زاهرةٍ كدمع هامرِ
وترى الجميمَ إذا الرياحُ تناوحت ... متموّجًا مثلَ الغديرِ المائرِ
وشقائقُ النعمانِ في قيعانها ... تقطيعُ أكبادٍ وشَقُّ مرائرِ
والشمس من خلل الغصون على الثرى ... كدراهمٍ ألقتْ بها يد ناثرِ

وترى الجداول كالوذيلة رونقًا من مستقيم في المسير وجائر
والأيك في شطآنها كنعائمٍ مَدَّت بأعناقٍ لها ومناقِرِ
مرآةُ أحلامي ومرتعُ صبوتي وهوى فؤادي بل ومتعةُ ناظري
في كل مغنى من فؤادي شعبةٌ وبكل وادٍ هائمٌ من خاطري
وتكاد أخيلتي تطلُّ عليَّ في أرجائها من طائفٍ أو زائرِ
كم جولةٍ لي ثَمّ حائرة الخطى بين الخمائل كالفَراشِ الحائرِ
يقتادني في كل شطرٍ جاذبٌ من منظرٍ نضرٍ وحسنٍ باهرِ
والزهرُ يلقاني بثغرٍ باسمٍ وبوجنةٍ حمرا وجفنٍ فاترِ
وأرى الغصون كأذرعٍ ممدودةٍ لتَعانقٍ من بعد طولِ تَهاجرِ
في كل ربعٍ مونقٍ لي وقفةٌ هي وقفة المسحور عند الساحرِ
أما العهود وإن تقادم عهدُها فرتيمة الناسي وهمُّ الذاكرِ

* * *

قُم في مشارف «قاسيون» وعُجْ بها تُشرفْ على صنع البديع القادرِ
دوحٌ كسامية القبابِ حيالها من باسقات الحور مثل منائرِ
و«دمشق» ما بين الرياض سفينةٌ عامتْ على عالي الغوارب زاخرِ
لا تستبين العينُ في أثباجهِ مهما تقصّت أولًا من آخرِ
تبدو الجبالُ الشمُّ من متعممٍ شابتْ مفارقه وأصلعَ حاسرِ

* * *

تتجاوب الأطيارُ في أفنانها من هاتفٍ أو ساجعٍ أو صافرِ
يا رُبَّ سوداء الملاءةِ شمَّرتْ عن ساقها ورنتْ بعينٍ مُعاقرِ
مخضوبة الكفين تحكي قينةً برقتْ بحمر مراشفٍ وأظافرِ

وثّابةٌ ولها تلفُّتُ خائفٍ مترقّبٍ لميامنٍ ومياسرِ
تتراقص الأغصانُ من تغريدها ميّادةً لتطاولٍ وتقاصرِ
غنتْ بلحنٍ يستثير لواعجًا ويهيج من طربٍ دفينَ ضمائرِ
ريَّانَ من دمعٍ ويلهب لوعةً كحنينِ مشتاقٍ وزفرة زافرِ
والطير لو أبصرت أسعد عيشةً يا ليت للإنسان عيش الطائرِ

• وقال الأستاذ الشيخ فؤاد الخطيب اللبناني من معاصرينا في الغوطة:

أنا في الغوطة أستوحي الشعورْ أن في (الغوطة) بعثًا ونشورْ
أحيت الأحداق في نرجسها وأعادت في الأقاحيّ الثغور

★ ★ ★

ولقد حدثني رمانها أنه كان نهودًا في الصدور
وروى لي البان عن أعطافه أنه كان قدودًا وخصور
فلو اجتازت بها الروح لما كنت إلا بين ولدان وحور
نثرت في أرضها حصباؤها دررًا تنجم منها وشذور
ومشى الجدول في أرجائها كوثرًا يسبح فيها ويمور
جلس الزهر صفوفًا حوله وهو كالراح على الشرب تدور
كلما استضحك عن لؤلؤة هتفت في فنن الأيك الطيور
جل من ألهمها تسبيحها هكذا الجنة والعبد الشكور

★ ★ ★

سبحي أيتها الطير له وامْلَئي الغوطة شدوًا وحبور
جمع الملتف من أغصانها كُنُسَ الغزلان فيها والخدور
والصبا تخفق في أطرافها مثلما يخفق في القلب السرور

فسل الروض وسل عنا الحمى تنطق الدار وأبراج القصور
وبطون القاع حامت فوقها قمم الهضب كأسراب النسور
والمروج الخضر في رأد الضحى لبست ثوبين من نَوْر ونور
كم نفضنا الصدر من كل أسى ونسينا الصد والجد العثور
وقضينا اليوم في ظل الهوى ليت ذاك اليوم قد طال دهور
وغضيض الأثل عن أيماننا كعذارى الحي أرخين الشعور

* * *

وخلونا بين أحشاء الربى خلوة الورق جثومًا في الوكور
وتشاكينا تباريح الجوى حولنا السوسن مستحي غيور
يحمل القول على علاته ونسيم الروض في الروض نفور
فجنينا الغض من أوطارنا وحظوظ الناس ويل وثبور

* * *

وأبى العوسج إلا فتنة فزوى الشوك بألواذ الصخور
يرصد الغفلة أن يعلق بي علق الفاجر بالعف الوقور
طبعه الوخز إذا استشهدته قبح العوسج من شاهد زور

* * *

كم وثبنا غلس الليل معًا وثبة البرق خفاء وظهور
نملأ الأعين منا بغتة ثم تخفينا الزوايا والستور
ملعب تعمره الروح فما فيه إلا نحن والروح حضور
أشرق البدر علينا ورنت نحونا الأنجم كالأعين صور

* * *

ولـبـثـنـا سـاعـة أو شـبـهـهـا   نـتـعـاطـى الـكـأس مـن غـيـر فـتـور
ويـد تـمـسـك مـنـا بـيـد   تـقـصـد الـرعـشـة فـيـهـا وتـجـور
وفـم فـوق فـم تـسـمـع مـن   وقـعـه الـلـثـمـة تـتـرى فـتـثـور
تـصـعـد الـزفـرة مـن أثـنـائـهـا   خـلـل الأنـفـاس كـالـقـدر تـفـور

★ ★ ★

نـحـن لا نـصـبـر عـن حـكـم الـهـوى   إن عـددت الـصـبـر مـن عـزم الأمـور
فـخـذ الـعـفـو مـن الـذنـب فـكـم   زلـة يـغـفـرهـا الله الـغـفـور

★ ★ ★

مـرحـبًا بـالـفـجـر والـصـوت الـذي   قـرع الـسـمـع بـشـيـرًا بـالـبـكـور
ولـقـد خـطـت يـد الله عـلـى   صفحة الكون من الخلق سطور
لـفـظ الـمـقـدار مـنـهـم آيـة   بـعـد أخـرى مـلأت سـمـع الـعـصـور
فـانـهـب الـلـذة فـي إبـانـهـا   وذَرِ الـغـافـل عـنـهـا فـي غـرور
ودَعِ الـنـوم وإن لـجَّ الـكـرى   فـغـدًا تـشـبـع نـومًـا فـي الـقـبـور
تـطـبـق الأجـفـان فـي ظـلـمـتـهـا   وهـي لا تـعـرف لـلـصـبـح سـفـور

الفصل التاسع

الثمار والزروع

يجود في الغوطة معظم الثمار والحبوب والبقول التي تجود في الأقاليم المعتدلة، ولا يجود فيها الليمون والبرتقال والموز والنخيل، للبرد القارس في الشتاء، فإن الحرارة تنزل أحيانًا إلى خمس وأحيانًا إلى عشر درجات وأكثر تحت الصفر.

اشتهرت داريا بعنبها الزيني وعنبها الأحمر الداراني، ويقل نظير الزيني في أنواع العنب الجيد، وقد جرت تجارب بنقل جفنات كرومها وزرعت في غير أرضها فما أتى كالعنب الذي يأتي من كروم داريا.

وعُرفت دومة بعنبها الأحمر اللذيذ، وأهم الأعناب في هذه الأيام الزيني والأحمر الداراني والأحمر والبلدي والدربلي والحلواني والأسود.

ويجود الزيتون على أنواعه إجمالًا في القرى التي تكثر في أرضها الحصباء وليست لزجة التربة كبرزة والقابون وحرستا ودومة والمزة وكفرسوسية ويلدا وببيلا وحوش الريحانية وغيرها، والزيتون في العادة يحمل (يطرح) سنة ويمحل سنة أخرى، لأن أصحابه اعتادوا أن يضربوه بعصي كبيرة تقضي على الغرانيق أي الأغصان الفتية فلا يخلف من قابل. ذكر المؤرخون أن هشام بن عبد الملك الخليفة الأموي، وكان بعيد النظر في الأمور الاقتصادية، وقف

يومًا قريبًا من حائط فيه زيتون له، فسمع نفض الزيتون فقال لرجل: انطلق إليهم فقل لهم: التقطوه ولا تنفضوه فَتَفْقَؤوا عيونه وتكسروا أغصانه.

ويجود القنَّب في الغوطة الوسطى ولا مثيل له ـ من حيث وفرة أليافه وجودتها ـ فيما يزرع منه في بعض قرى حلب وغيرها. ويجود في أرض المحمدية وحمورية والافتريس وجسرين وسقبا وكفر بطنا وعين ثرماء وزبدين والبلاط والحديثة والمنيحة وجرمانا وعقربا وبيت سحم وبيت سوا، أي في القرى التي تسقى من نهري المنيحي والداعياني اللذين يحملان أوساخ دمشق كما يجود في أرض الشاغور والعنابة والقنوات والميدان وفي البساتين الواقعة على حِفَافَي هذين النهرين.

وريع القنب في القرى التي تتوفر على زراعته قد يزيد على نصف ريعها السنوي من سائر أصناف الحبوب والثمار، وزراعته صناعة عظيمة كالكرمة في داريا ودومة. وتستأثر قرية سقبا وحدها بأكثر من نصف المحصول تستخرج أعواده وأليافه.

ولكل قرية أو بضع قرى في الغوطة خاصة لا يشاركها فيها سواها. فقد اشتركت بساتين الصالحية وقريتا كفر سوسية والقابون بالبقول والخَضْراوات لا يجاريها مُجارٍ في هذه السبيل، يساعد على هذا التفرد كثرة المياه فيها وقربها من الحاضرة. واشتهرت الصالحية بأزهارها وورودها وجسرين ببزر الفصة وبزر الخيار والماش، وعرفت حرستا وما إليها بالبيقية والأنيسون والسمسم، وعربيل بلَوْزها، وزملكا بكمشراها، ودومة ببطيخها الأصفر، وكفرسوسية بخَسِّها، وببيلا والقدم بقشدتهما، والحديثة والمنيحة وزبدين وبالا بأخشابها.

والغوطة تغذي دمشق بالبقول الصيفية والشتوية، ويشحن منها مقادير كبيرة إلى لبنان. والبقول التي تزرع لثمارها الطرية أو الجافة هي الباذنجان والبنادورى (الطماطم) والبامية والفليفلة والخِيار والقِثّاء والقرع والكوسى

والفاصولياء والبِسِلّى (البَزَلْيا) والفول والكزبرة والبقدونس والكرويا والأنيسون والكمّون والشونيز (حبة البركة) والبطيخ الأصفر والبطيخ الأخضر. ومن الخضراوات الكراث (البراصية) والسلق والحَرشْف (أنكنار، خرشوف) والهيلون والإسباناخ (السبانخ) والطرخون والقنَّبيط والملفوف ويسمى أيضًا اللَّخَنَة والنعنع والسعتر والخس والرُّجلة (البقلة في دمشق، اجتزاءً من بقلة الحمقاء) والكرفس والملوخية والشمار (دره اوت) والهندباء والمردقوش. أما البقول التي يزرعونها لأجل جذورها الأرضية فهي البطاطا والقلقاس والكرنب (أبو ركبة) والشوندر (البنجر) والجزر واللفت والفجل والبصل والثوم.

ويتبقلون في الحقول حول مجاري المياه الخبازة (الخبيزة) والجرجير (القرَّة وقرة العين) والرشاد وحُرف الماء ونعنع الماء والكَبَر (القبّار) وغيرها، والفطر النابت في جذور الأشجار. ومن القرى ما تزرع فيه الكمون ومن شواطئ الأنهار نباتات تدخل في بعض العقاقير كبزر الخلة وزهر الزيزفون ويجود فيها الحشيش والدخان والتنباك على قلة.

وأكثر ما في الغوطة من الأشجار المغلة المشمش على أنواعه، ويكاد يكون مشمش الغوطة منقطع النظير بمائيته ونكهته، وقد يفوق مشمش كليفورنيا كما أكد العارفون. واستخراج عصير المشمش ذي البزرة المرة المسمى بالكلابي ـ محرَّفة عن كل آبي ومعناه بالفارسية ماء الورد ـ فن عظيم يحسنه أهله المتمرنون، ومنه يستخرج القمر الدين وهو عصير المشمش يجفف على الدفوف في الشمس وينقل إلى مصر والسودان وسائر بلاد العرب، أما المشمش البلدي والحموي وغيرهما من الأصناف ذوات البزرة الحلوة فشيء لا تشبهه إلا فاكهة الجنة.

وهناك الجوز واللوز والتفاح والكمثرى (الانجاص) والخوخ والجانرك وحب الآس والصبّار والدراق والتوت (التوت العادي والشامي) والتين والسفرجل والرمان والزعرور «الزعبوب» وغيرها من الفواكه التي هي مضرب الأمثال بطعمها ونكهتها وحجمها. وكان يكثر في الغوطة الزعفران والكرز

والوشنة أي الكرز الحامض والقصطل (الكستنة) والبندق والمشمولة والقراصيا «خوخ الدب» والأجلجق (بالتركية قيزلجق وسميناه الأحيمر) فَبَطَلَ غرس الكستنة والبندق وظلَّ القزلجق والوشنة والمشمولة قليلًا، وفقد الزعفران بالمرَّة، كما نُسيت زراعة القطن وزراعة التوت لتربية دود الحرير. وكان لدود القز في القرن العاشر محلات بين عدة أنهر قرب ضريح الشيخ رسلان شرقي المدينة تُهرع الناس إليها في أيام حل بذر القز للنظر إليه.

ومن أعظم موارد الغوطة الحور (الرومي والفارسي) والصفصاف ومن محاسنها الخلاف، يشبه الصفصاف تصبغ في أوائل الربيع جميع أغصانه بالأحمر كقضبان المرجان ويلحق به شجر الأزدرخت (الزنزلخت) وله زهر طيب الرائحة ويزرعونه على جانبي الطرق العامة والجادّات. ومن نادر أشجارها الميس وخشبه متين وله حب يؤكل.

وكان يكثر فيها السرو وكثرته إلى اليوم في أرض الصالحية. وكان إلى القرن الماضي وافرًا في أرض الغوطة، وما كان يخلو بيت في دمشق وغوطتها من شجرة أو شجرات منه، وذكر بعض المؤلفين أنه كان في جبل الصالحية نخل قطعة تيمورلنك لما جاء الشام فاتحًا، وقيل إن عددها اثنا عشر ألف نخلة يؤدى عنها الخراج. أما اليوم فيوجد النخل في بعض الدور وخاصة دور قرية داريا. ومن الأشجار الحديثة فيها: الأوكالبتوس «ويسمى الكينا غلطًا». وأنواع السنط أي الأَقاقيا، والمشمش الهندي (يني دنيا) وبعض الأصناف صارت بالتفنن في التطعيم مثل المشمش الحلو، ومثل صنف من الكرز. ومن المؤسف أن الدرّاق الزهري الذي ذكره البدري وغيره قد كاد يزول أخيرًا بتأثير إحدى الحشرات. وحاول بعض الغوطيين أن يربوا شجر الشوح أي ثنوب كيليكية وما أظنه يجود في إقليمنا كما يجود في رومانيا من بلاد حوض البحر الأسود. ولكل كورة خصائصها الجوية والأرضية تعمل في النبات والحيوان.

الفصل العاشر
الأنهار والري

تبدلت معالم الغوطة كأن الأرض الخصبة تحتاج أبدًا إلى من يقلبها ويجددها ويسمدها، وتجمد الأرض وتضيع مزيتها إذا كثرت فيها الصروح والقصور والمصانع. ولذلك كانت أرض الغوطة أبدًا إلى تجدد، وتجدد معها المرافق والمعالم، وليس في هذا الوجود ما يثبت على الدهر.

الغوطة لم يتبدل ماؤها ولا هواؤها ولا تربتها، وهي ما برحت تسقى من سبعة أنهار أو جداول كبيرة مشتقة من نهر بردى[1]، ولكم أن تقولوا أن الغوطة هبة بردى كما أن مصر هبة النيل.

ويشتق من نهر بردى هذا نهر يزيد وقناة المزة والديراني وثورى وقنوات وباناس والعقرباني والداعياني والمليحي[2].

---

(١) ذكر الدويهي في حوادث سنة ٧١٦ أن نائب السلطان تنكز خرج لعمل غيضة جسرين المعروفة بغيضة السلطان وجمعوا جميع الأمراء والمقدمين والجند واستعملوا فيها أهل القرى التي حولها وأقاموا هناك خمسة أيام يقلعون القرامي العتيقة وينزعون العليق منها، وهذا لئلا يعوق الماء عائق عن جريها.

(٢) وينبع مع مجرى بردى بعد خروجه من أرباض دمشق سبعة أنهار أيضًا وهي الزبديني والبيلاني (البالاني) والزابون والملك والشيلاني (الشيداني) ونهر بيت نايم والحرستاني. فالزبديني يسقي أراضي الحديثة وزبدين، والبيلاني يسقي أراضي بالا والحديثة. والزابون وينبع من =

ويدخل دمشق من هذه الأنهار القنوات وباناس فتمر في أقنية(*) فخارية تحت الأرض تجري في أحواضها وبحيراتها ومراحيضها ثم تختفي في جداول تحت الأرض فترجع إلى بردى تحمل قاذوراتها، فتكون سمادًا لا ينقطع يوزع في أرضها كلما أراد الغوطي إرواءَها.

وهذا من جملة العوامل في خصب الغوطة، يضاف إلى تربتها الغنية وَجَوِّها المعتدل. والنهر الذي يحمل قدرًا كبيرًا من القاذورات ويسمى نهر قليط أو قلوط هو باناس بعد خروجه من المدينة إلى بساتين الشاغور قِبْلي دمشق.

يقول ابن عبد الهادي أن لنهر داعية ثلاث عشرة مسكبة وهو نهر الزُّلف - ومعنى الزلف الحياض الممتلئة أو الحوض الممتلئ، فإذا كان بالضم فمعناه ساعات الليل الآخذة من النهار وساعات النهار الآخذة من الليل، وهذا الاصطلاح مازال معمولًا به في السقيا في كل قرية.

= عين السويسة قرب مجرى بردى يسقي بعض أراضي جسرين والمحمدية والافتريس وحوش الأشعري وقسمًا من أراضي كفر بطنا. ونهر الملك يسقي أراضي المحمدية. ويسقي نهر الشيلاني أراضي بالا. ونهر بيت نايم ونهر الحرستاني ينبعان من بردى وهو يجري في أرض الغوطة إلا أنه يسقي قرى مرجية وتنبع عين حروش في أرض زبدين وتسقي بعض قرى المرج ومثلها عيون قلايا تنبع من أرض المحمدية وتسقي بعض قرى المرج.

ويسقي نهر الداعياني كفر بطنا وجسرين وسقبا وحمورية والافتريس وبيت سواء وأراضي عين ثرماء وجوبر. ويسقي نهر المليحي أرض المنيحة ودير بحدل والخيارة وبعض البساتين القريبة من دمشق كبستان القواص. ويسقي نهر العقرباني أراضي قرية عقربا وبيت سحم. ويسقي نهر يزيد أعالي بساتين الصالحية وأرض القابون وحرستا. وقناة المزة تسقي أراضي قرية المزة. والديراني يسقي أراضي داريا وكفرسوسية والقدم وبعض بساتين الميدان والمزة وبعض بساتين الشاغور. ويسقي ثورى بعض بساتين الصالحية وأرض جوبر وعين ثرماء وزملكا وحزة وعربيل ومسرابا ودومة. وتسقي قناة القنوات بعض البساتين غربي المدينة كأرض باب السريجة. ونهر باناس يسقي بعد خروجه من دمشق بساتين الشاغور.

(*) يريد «قَنَوات» جمع قناة (المراجع).

وقد تبدلت أسماء بعض الأنهار وبعضها مازال باقيًا بحاله على ما كانت على عهد ابن عساكر في القرن السادس، فنهر قينية ونهر المجدول (العقرباني على الأرجح) قال في الدارس: مسجد خالد بن الوليد في مقبرة باب توما عند نهر المجدول بقرب الصفوانية يعرف بخالد بن الوليد لأنه صلى فيه وقت الحصار. ونهر الزلف ونهر التومة العليا (التوتة؟) ونهر التومة السفلى هي أسماء غير معروفة لعهدنا. ويستمد نهر الميقلون من نهر الداراني، ومن هذا أيضًا يستمد نهر الشرك. ولعل التومة العليا والسفلى كانتا قريتين كالقابون الفوقاني والقابون التحتاني(١).

---

(١) قسم المتقدمون الغوطة إلى خمسة أقسام بحسب الري وجعلوا كل قسم إقليمًا سَمَّوْه بأشهر قرية فيه وهي:

١) إقليم بيت لهيا لما يشرب من نهر ثورى.

٢) إقليم داعية لما يشرب من نهر الداعياني.

٣) إقليم بيت الآبار لما يشرب من نهر عقربا المسمى قديمًا بنهر المجدول.

٤) إقليم باناس لما يشرب من نهر باناس الذي يخرج من الشاغور باسم قليط.

٥) إقليم داريا لما يشرب من النهر الداراني.

فإذا نظرت إلى مخطط الغوطة واستقبلت جهة الشمال تراءى لك أولًا إقليم بيت لهيا الذي يشرب من ثورى وهو يشمل: جوبر، زملكا، حزة، عربيل، مَدْيَرَى، مسرابا، حرستا، دومة.

ثم يليه إقليم داعية ويشمل: عين ثرما، كفر بطنا، جسرين، افتريس، سقبا، حمورية، بيت سوا، ويليه أسفل منه إقليم بيت الآبار ويشمل جرمانا، المنيحة، بيت سحم، عقربا، البلاط، دير بحدل، زبدين، حديثة الجرش.

ويليه أسفل منه إقليم باناس ويشمل ببيلا، يلدا، قبر الست، حجيرة، البويضا.

ويليه من جهة الغرب إقليم داريا ويشمل كفرسوسية، المزة، القدم، داريا، بلاس، وحوش الريحانية، وسبينة الشرقية، وسبينة الغربية. ولكل من هذه الأقاليم عدة قرى دثرت، على أن بعض هذه القرى قد لا تشرب من النهر المضافة إليه، كسبينة الشرقية والغربية، ولكنها ملحقة إلحاقًا بهذا الإقليم إما لأنها تشرب من قَنًا/قَنًى تخرج من أرضه أو لأنها قريبة منه.

على أنه بطول الزمن ربما تغير شرب القرى بأن تشرب القرية من قناة أو نهر وتكون قديمًا =

هذا ما يسقي الغوطة من الأنهار، ومن أرضها تنبع عدة قَنًى تسقي مزارعها وأراضيها وما وراءها من أرض المرج مثل عيون فاسريا فإنها تنبع من سفح الجبل شمالي دومة، وتكون حارة ثم تبرد.

ومن القرى ما لا تصل إليه مياه بردى كبعض أرض داريا، ومنها ما يكون معوّلها في السقيا على القَنَى كالأشرفية وحوش الريحانية وبلاس وسبينة وسبينات وحجيرة والبويضاء وقبر الست وبرزة فإنها كلها تسقى من قنًى خاصة بها أو من جدول قريب مثل قناة الشوافة نهر الأشرفية، والشوافة اسم نهر سبينة، ومثل نهر برزة الذي يجري إليها من منين ومعربا، وتشرب صحنايا من نهر الأعوج، وربما كانت دعوى بعضهم من أن صحنايا والأشرفية ليستا من الغوطة بسبب السقيا، ورسم أرضهما يدل على أنهما من الغوطة.

ومياه هذه العيون كمياه الأنهار منظمة بنظام دقيق بحيث تأخذ كل أرض حقها وتوزع على أصحابها توزيعًا عادلًا، ولهم فيها مصطلحات يصعب على غير أهل القرى أن يتفهموها بسرعة. وليس في حقول الغوطة ما تعيش زروعه الصيفية عَذْيًا أي من المطر كزراعات الجبال.

وأكثر الأهلين تمتعًا بالمياه أرباب البساتين المحيطة بالعاصمة يسقون عندما يريدون من مواصيهم(*).

= تشرب من غيرهما، فقد جاء في وقفية سعد الدين باشا العظم (ورقة ٧١) بأن بعض أراضي ببيلا وحجيرة كانت تشرب من نهر باناس، وذكر المتقدمون يلدا وصهيا من إقليم باناس مما يدل على أنها كانت تشرب منه. ويظهر أن نهر باناس كانت حصته لري الأراضي أكثر مما عليه اليوم، فقد جاء في تاريخ ابن عساكر بأن حصته كانت ثلاثين مسكبة ولنهر ثورى ثنتان وأربعون مسكبة، في حين أن لنهر يزيد ست عشرة مسكبة ولنهر مجدول (عقربا) اثنتا عشرة مسكبة، ولنهر داعية (الداعياني) ثلاث عشرة مسكبة، وعليه فيكون نصيب باناس أكبر نصيبٍ بعد نهر ثورى (محمد أحمد دهمان).

(*) جاء في «اللسان/ موص»: المُواصة: الغُسالة. وقيل: المُواصة غُسالة الثياب. وقال =

والمياه في الغوطة تسيل كالعادة من علو إلى سفل فإذا كانت في السفل وأريد دفعها إلى علو تتخذ لها النواعير فتمتاح المياه إلى أعلى من مجراها وذلك بطاسات معمولة من الخشب مشبوكة بحبال تصل إلى الماء فتمتلئ ثم ترتفع وتفرغ ما حملت إلى المكان المخصص لصبها.

ويستعمل المدار الذي يدور على البهيمة لتستخرج فيه المياه إلى حوض تتجمع فيه ثم تجري إلى الأرض المطلوب سقيها. وإذا كان بين مجرى الماء والمحل المراد إرواؤه فجوة أو تقاطع يستعملون لإسالة المياه ألواحًا من الخشب مجهزة بحافتين من خشب تجعل في المكان الذي يطلب إسالة المياه إليه ويسمون هذه الأخشاب العرَّابَة. وأكثر ما تكون النواعير في حي الصالحية وفي سفح قاسيون وقد قل عددها لما نقلت حواكير الصبار من غربي السفح إلى سهل المزة. ولا يزال في الصالحية زقاق طويل اسمه زقاق النواعير لكثرتها فيه.

وما أجمل ما قاله أحد الشعراء في توفر الرزق لفريق وحرمانه فريقًا آخر وقد شبهه بتوفر المياه في الغوطة من السماء والأنهار قال:

الرزق كالوسميّ(١) ربّما عدا روض القطا وسقى حدائق جلّق
فإذا سمعت بحُوَّل(٢) متأدب متألِّه فهو الذي لم يُرزق
والرزق يخطئ باب عاقلِ قومِهِ ويبيت بوابًا لباب الأحمق

وبعد قرون أتت على الغوطة لا تعرف إلا مياه الأنهار والقَنَى وما يستخرجه أهلها من الآبار بالمدار، جاء العهد الأخير بالآلات الرافعة

= اللحياني: مُواصة الإناء، وهو ما غُسِل به أو منه. يقال: ما يسقيه إلا مُواصة الإناء. (المراجع).

(١) الوسمي مطر الربيع الأول. وعدا تَجاوَزَ. والقطا طائر وفي القاموس روض القطا: موضع ولعله هو المقصود.

(٢) الحوّل (بضم الحاء وتشديد الواو): ذو التصرف والاحتيال في الأمور والمتأله المتعبد.

فأخذت تروي مساحات عظيمة أيام الصيف، كما كثرت العناية بحفر القَنَى تسقي ما كان بورًا، حتى لقد زاد المزروع من الأرض بهذه الآلات الحديثة وبها رويت أراض واسعة كانت محرومة الماء.

هذا وأكثر مياه الغوطة غير صالحة للشرب ولذلك يطمع أهل الغوطتين أن يستقوا من ماء الفيجة بجر أنابيب منها إلى قراهم، وقد طلبوا من الحكومات المتعاقبة مراتٍ أن تعطيهم القَدْر اللازم لشرب الشفة من ماء الفيجة النقي تسيل في أنابيب وهم يتكفلون بكل نفقة، فلم يجابوا إلى الآن على طلبهم[١].

(١) أرسلت زجاجة من ماء بئر بيتي في القرية وهو ارتوازي عمقه تسعة أمتار ونصف متر عن سطح الأرض إلى صديقي العالم الجرائيمي أحمد حمدي الخياط فكتب إليّ عن مخبره أنه لا يصلح للشرب ولا للاستعمال وإنْ كان مظهره الخارجي غير ذلك، لأن الطبقة التي يرشح منها غير كافية على ما يظن لنقاوته تمامًا. وإذا كان هناك ضرورة لاستعماله فالواجب غَلْيُهُ وتبريده أو أن يقطر في كل ليتر منه نحو (٨ ـ ١٥) قطرة من صبغ اليود وينتظر مدة ٣٠ دقيقة ويشرب بعدها باطمئنان. وإذا أريد زوال طعم اليود من هذا الماء يكفي أن يضاف إليه في نهاية تلك المدة قليل من منقوع الشاي أو قليل من القهوة.

الفصل الحادي عشر
تمليك الأرض

لما فتحت العرب الشام، كتب أبو عبيدة بن الجراح إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما يسأله رأيه في الأرض التي يغلب عليها العرب فأجابه عمر: «فهمت ما ذكرت من (أمر) الأرض التي ظهر عليها وعلى أهلها المسلمون، فقالت طائفة نقرُّ أهلها على أن يؤدوا الجزية إلى المسلمين، ويكونُنَّ عُمّار الأرض، وقالت طائفة نقتسمهم. وإني قد نظرت فيما كتبت إليّ من هذا ففرق رأيي فيما سألتني عنه، إلا أني قد رأيت أن تُقرَّهم، وأن تحملَ الجزية عليهم، ونقسمَها بين المسلمين، ويكونوا عُمّار الأرض، فهم أعلم بها وأقوى عليها من غيرهم. أرأيتم لو أنا أخذنا أهلها واقتسمناهم، من كان يكون لمن يأتي بعدنا من المسلمين. والله ما كانوا إذن ليجدوا إنسانًا يكلمونه ولا يكلمهم، ولا ينتفعون بشيء من ذوات يده، وإن هؤلاء يأكلهم المسلمون ما داموا أحياء، فإذا هلكنا وهلكوا، أكل أبناؤنا أبدًا ما بقوا، وكانوا عبيدًا لأهل الإسلام أبدًا مادام دين الإسلام ظاهرًا. فضع عليهم الجزية وكُفَّ عنهم السِّباء، وامنع المسلمين من ظلمهم والإضرار بهم، وأكل أموالهم إلا بحقها».

وعلى كتاب أمير المؤمنين هذا قامت السياسة المالية في الدولة الإسلامية، وارتاح قدماء السكان، وانتفع العرب بالأرض التي تخلى عنها من

لحقوا بِهِرَقْلَ من الروم من أهل دمشق وغوطتها، فكثرت فضول المنازل وكثرت الصوافي أي الأملاك والأراضي التي جلا أهلها عنها أو ماتوا ولا وارث لهم فصوافي ـ واحدها صاف ـ الروم في الشام هي الأرضون التي ارتحل أهلها عنها فأعطاها المسلمون لمن أحبوا، وآثروا الفاتحين وأبناء الفاتحين بقسمٍ عظيم منها.

وكان السكان في هذه الديار فئتين منهم من قتلتهم الحرب أو نفتهم فمساكنهم وكنائسهم قسمة بين المسلمين، ومنهم من حقن دمه العهد الجديد الذي أعطاهم خالد بن الوليد فهؤلاء مساكنهم وكنائسهم لم تسكن ولم تقسم. وكان من أهم الضِّياع في الغوطة أراضي الأمراء بطارقة الروم ممن فَرُّوا من جيوش العرب أو قتلوا في الحرب وهم قُوّاد جند الروم، فشغرت أملاكهم فوقفها الفاتحون أو وزعوها على من يُحْسِن استثمارها.

تولى العرب من الأرضين ما كان يتولاه أربابها الأُوَل، فلم يبدُ نقص كبير في ريع الأرض لتخلي أهلها عنها، وامتزج في بودقة هذا الإقليم طوائف من القادمين من العرب وقدماء السكان. وما كانت همة الآتين في العمارة أدنى من هممهم وهم آتون ليقضوا على دولة الروم.

ويمكن أن توصف الغوطة في حالتها الجديدة بأن فريقًا جلا عنها فاستعاضت عنه بالفريق الذي نزلها بدون فاصلة تذكر وما عرا الجباية فتور.

مثال من تمليك الأمويين الأرض: وفد الأعور الكلبي الشاعر على معاوية فقال له: اختر لك منزلًا، فاختار المزة فأقطعه فيها وعشيرته أرضًا فقال:

إذا ذكرت أرض لقوم بنعمة ... فبلدة قومي تزدهي وتطيب
بها الدين والأفضال والخير والندى ... فمن ينتجعها للرشاد يصيب
ومن ينتجع أرضًا سواها فإنه ... سيندم يومًا بعدها ويخيب

مثال آخر: قال حفص بن عمر الأزدي لعبد الملك بن مروان:

يا أمير المؤمنين إن في غوطة دمشق قرية يقال لها زملكا ولي فيها بنو عم وسألوني الإشراف عليهم وليس لي في الموضع شيء فقال له عبد الملك:

سل هل لنا في تلك القرية شيء فنظروا فإذا بها ضيعة[١] من صوافي الروم فأقطعه إياها. وكتب له عبد الملك بذلك كتابًا يقول فيه بعد البسملة: «هذا كتاب من عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين لحفص بن عمر بن سعيد ابن عبد العزيز الأزدي إني أنطيتك بقرية زملكا كذا وكذا فدانًا وأشهد على نفسه أخويه محمدًا وعبد العزيز وقُبيصة بن ذؤيب وروح بن زِنباع».

وكان العمال كثيرًا ما يقبّلون الأرض أي يضمنونها ويضيفون دخلها إلى بيت المال. ومن العمال من كان يحبس القرى على مصالح المدينة ومرافقها قاصدًا بذلك عمارتها. وهذا من أول الأحباس في الشام. وكثرت الأوقاف الخيرية والأهلية بكثرة الظلم وشدة الاستبداد في العصور التالية، فكان الواقفون وأكثرهم من رجال الدولة يقفون على الجوامع والمدارس وأعمال البر لتنجو أملاكهم وضياعهم من المصادرة. وأتت عهود كثرت فيها أوقاف الغوطة فقام رجال أذكياء وأنقذوا الأوقاف بأن حلوها بحيَل سموها شرعية واخترعوا لها أسماء كالتحكير والاحترام والإجارتين والمرصد، وأخرجوها عن ملك الوقف إلى الملك الخاص، وكثرت هذه الحيل أيام العثمانيين. وكانوا على عهد المماليك يؤجرون ملك الوقف مئة سنة وفي العهود الأخيرة أنزلوا مدة الإيجار إلى ثلاث سنين.

وما سلم الوقف من الاحتيال على حَلّهِ واستصفاء أعيانه حتى وقف الجوامع والمدارس والمبرات المُجْمَعِ على نفعها. مثال ذلك وقف شمس الدين بن المقدم من أمراء صلاح الدين فإنه وقف قريتي المحمدية وجسرين على مدرستيه المقدمية الجوانية والمقدمية البرانية بدمشق وعلى المقدمية

---

(١) الضيعة: الأرض المغلة.

بحلب، فما أفاده وقفُه لما نوى أكلَه المتولون عليه. ورأينا بقايا هذا الوقف تتبدل والنظار عليها يستحلون أكلها جهارًا بل لقد أكلوا المدرسة برمتها وجعلوا منها دورًا يسكنونها ومخازن يؤجرونها فتعطلت الحياة العلمية والصلاة في المسجد، فما انتفع الواقف بما وقف ولا المسلمون بما وقف عليهم. وأصحاب الأوقاف ما برحوا يزعمون أن شرط الواقف كنص الشارع، كلمات اخترعها من عاشوا بسرقة الأوقاف حللوا لأنفسهم وحرموا على غيرهم، وكان من العوامل في الإخلال بنظام الوقف تَحَيُّلُ طائفة من القضاة على إخراجه عما وضع له. كان يقصد بالوقف في أول وضعه الخير فأصبح في الزمن الأخير شرًّا.

وأضر الوقف في العمران وهو آخذ بالزوال سنة عن سنة بتوفر الأهلين على الاستبدال الذي كان نفعه ظاهرًا، كما كان من النعم على هذا الإقليم كون أرضها مقسمة بين أهلها قسمة طبيعية، فلا ترى فيها زراعات كبيرة إلا نادرًا، ومهما بلغ من سعة المزارع الكبرى أو الحوانيت فإنها تدار بعناية كما تدار الزراعات الصغيرة، ويظهر أنها كانت على ذلك منذ الزمن الأطول.

قلنا إن أغلب قرى الغوطة ملك أربابها، ومنها ما لا يملك أحد فيها شبرًا من الأغنياء أو من أهل دمشق، وتقلُّ حصص الممولين فيها على مر السنين وكلما زاد مقدار ما يملكه الفلاح عن القدر الذي يملكه الآن أمكن أن يقال إن القائم على الأرض بدأت أيام سعادته.

وحرص أهل الغوطة في كل قرية على الاحتفاظ بأرضهم وألا يشركوا الغريب في امتلاكها ما ساعدتهم الحال، وتحدث معظم اختلافاتهم على حدود الأرضين وعلى المياه في الصيف، وقد تنجلي اختلافاتهم عن قتل وجرح.

ولما حاول سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب أن يضم الغوطة إلى الأملاك السلطانية ليجعل له منها كلها مزرعة واحدة، كاتب أهلُ دمشق ملك

مصر فجاء وطرد سيف الدولة عن الغوطة. وحاول الظاهر بيبرس البندقداري بعد ثلاثة قرون أن يحتاط على الغوطة أي يحجزها، فتكلم أحد العلماء بحضرته في دار العدل فقال: الماء والكلأ والمرعى لله لا تُملك، وكل من بيده ملك فهو له. وفي رواية أن القائل قاضي قضاة الحنفية عبد الله الأذرعي فقال: اليد لأرباب الأملاك ولا يحل لأحدٍ أن ينازعهم في أملاكهم، ومن استحل ما حرم الله فقد كفر.

وكان هذا لما وقعت الحوطة على أملاك الناس. وللظاهر في هذا الباب محاولات كثيرة لأخذ أموال الرعية.

ما كان عقلاء الملوك يُجَوِّزون غير إقطاع الأرض فقط، وكان زنكي والد نور الدين ينهى أصحابه عن اقتناء الأملاك ويقول إذا كانت البلاد لنا فأي حاجة بكم إلى الأملاك، فإن الإقطاعات تغني عنها، وإن خرجت البلاد من أيدينا فإن الأملاك تذهب معها، ومتى صارت الأملاك لأصحاب السلطان ظلموا الرعية وتَعَدَّوا عليهم وغصبوهم أملاكهم.

وهكذا كان صلاح الدين لا يُمَلِّك الأرض إلّا على سبيل الإقطاع، وقد طلب إليه أخوه الملك العادل تمليكه حلب، وأن يكتب له كتابًا كأنه بيع وشراء، فامتنع السلطان وقال: إنما تكون إقطاعًا والبلاد لأهلها والمرابطين بها، ونحن خزنة للمسلمين ودعاة للدين وحراس أموالهم. وقال: إن السلطان ملك شاه السلجوقي لمّا وقف طبرية على جامع خراسان لم يحكم أحد به من القضاة ومن الفقهاء.

ومَلَاك الأمر أن غرام الطُّغاة في الأغلب كان في أن يجعلوا الغوطة كلها إقطاعًا أو يملكوها أو أكثرها، كما فعل كيوان من عمال العثمانيين فاستولى على أكثر بساتين الربوة والمزة بغصب أملاك الفلاحين واستخلاص ما يملكون بالشراء أو بالمغارسة. وكما كاد صيارفة يهود دمشق في القرن الماضي أن يملكوا جزءًا مهمًا من الغوطة بما تكاثر لهم من الربا الفاحش

الذي كانوا يتقاضونه من كبار الفلاحين وصغارهم. فقام أحد رجال المحاماة من الترك الأستاذ أسعد أفندي وأنقذ الفلاحين من الصيارف، فاضطر اليهود إلى أن يبيعوا ما ملكوا من الأرض تخلصًا من تضييق جيرانهم من أرباب الأملاك.

ومما انتقلت به بعض أملاك الغوطة من مالكيها من الأهلين إلى أيدي الأغنياء وأصحاب النفوذ ما حدثني به صديق(١) أن سبب خروج الأملاك من ملك الفلاحين إلى الأفندية أن كل ما كان يقع من دين أو مظلمة أو غيرها كان يلقى على «حجر الضيعة» أي على حساب الضيعة كلها، فتجمعت هذه الديون على القرية حتى اضطر أهلها إلى بيعها بأرخص الأثمان صفقة واحدة. ومن الفلاحين من تشردوا في القرى ومنهم من ارتضوا بأن يكونوا فلاحين عند أرباب الأملاك الجدد. وأوشكت قرية دومة في القرن الماضي أن تستغرقها الديون، حتى لقد أراد أهلها أن ينزلوا لغريمهم عن نصفها ويبقى لهم النصف الآخر.

ولو لم تلغ قاعدة «حجر الضيعة» لخرج بعض أرض الغوطة من أيدي مالكيها الأصليين، وما نظن نزع قرى زبدين وبالا والحديثة والمحمدية والافتريس من أيدي أهلها إلا كان بسبب ذلك المصطلح أو القانون المضر أو أن ضرائب الدولة تراكمت على الفلاحين فاضطرتهم إلى بيعها بالمزاد، وكان بعض الأعيان لا يرضون إلّا أن يبتاعوا القرية كلها صفقة واحدة.

نعم كان من إحالة كل دَيْن عقده أهل القرية على ما دَعَوْه حجر الضيعة أن تجمعت ديون فاحشة اضطر أهلها إلى بيعها، فانتقلت إلى غير الفلاحين ممن لهم مال. ولما حسنت حال الفلاح في الغوطة بعض الشيء وعرف طرق الاقتصاد من غلاته وغدا للحاصلات قيمة، أصبح في مكنته أن يبتاع ما اضطر

(١) هو السيد حكمة شيخ الأرض من المزارعين وروايته عن شيخٍ مُعَمَّرٍ من أهل المرج أدرك حكم إبراهيم باشا المصري في الشام.

صاحب الزراعة إلى بيعه من ملكه، وسمعت أن بعض الفلاحين الذين كان أجدادهم يهربون من ملك الأرض ويؤثرون أن يعيشوا بسلام في أملاك الأغنياء بِصِفِةِ فلاحين وعَمَلَة، عادوا الآن يؤلفون شركات منهم ويبتاعون كل أرض أحب صاحبها الغني أو ابنه أو حفيده أن يبيعها، ويتقاسمونها بينهم فيضم كل واحد إلى أرضه ما جاوره من القطع المبيعة، وبذلك أنشأ الفلاحون يتملكون ما كان حقهم أن يتملكوه دون سواهم منذ القرون الماضية.

ومن جملة ما عمرت به الغوطة في بعض القرون استعمال أسلوب القطائع ـ واحدتها قطيعة ـ وهي ما أقطعه السلطان من عفو البلاد التي لا مالك لها ولا عمارة، ولا توجب ملكًا لأحد فيُقْطِعُ الإمامُ المستقطعَ لها قدر ما تهيأ له عمارته بإجراء الماء إليه، أو باستخراج عين فيه أو بتحجير عليه ببناء أو حائط[1]. وبهذه الطريقة يملك المقتطع رقبة ما مَلَكَ وأحيا. والإقطاع إقطاعان إقطاع تمليك وهو موات وعامر ومعادن، وإقطاع استغلال وهو عشر وخراج. وكان إقطاع الموات قليلًا في الغوطة لأنها كانت عامرة في أكثر القرون.

ومن أعظم الدوافع إلى عمارة الأرض أن كل من أحيا مواتًا كان ملكًا له. ومما يدعو إلى عمارة الأرض أن بعض الولاة كانوا يفلحون الأرض ويكثرون فيها من الغرس من أصناف الفاكهة. ويجرون المياه إلى الضياع ليكونوا قدوة لغيرهم ويزيدوا في رفاهيتهم. وكان الولاة ينزلون الغوطة أو ما يقرب منها من الضياع. جَرَوْا في ذلك على قدم الأمويين في العمران.

وبديهي أن السواد الأعظم ممن نزلوا الغوطة في الفتح كانوا من القواد والجند الذين كان لهم من سهامهم من الغنائم التي أصابوها، ومن عروض الراحلين وأموالهم، ما اقتنوا به الرباع والضياع، وأنفقوا عليها ما يلزم

---

(١) احتجار الأرض أن يضرب عليها منار. والحائط: البستان.

لغرسها واستنباتها. ولما تم الاستقرار انصرف كل فرد إلى ما يعمر ملكه ويجري فيه على أثر صاحب الأرض السابق في طرائقه الزراعية، ويدخل التحسين الذي يراه، ويتحملون الخسائر إذا طرأ عليها بعضَ السنين نقصٌ في ثمراتها وغلاتها، وما كانت تبور أرضها حقيقة إلا في الأدوار التي يحيق الظلم بأهلها. وعدل السلطان أنفع للرعية من خصب الزمان.

وكان الناس في معظم الأدوار إذا اشتدت بهم الحال يرفعون أصواتهم بالشكوى من العمال والأمراء والملوك، ولولا خوف الأمراء من العلماء، وما كانوا يتوقفون عن إسداء النصح لهم لكانت الويلات أعظم والبلاء أعم. قال رجل لأمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ـ وعصره خير العصور التي تجلى فيها العدل الإسلامي ـ يشكو إليه عماله:

إن الذين أمرتهم أن يعدلوا … نبذوا كتابك واستُحل المحْرَم
وأردت أن يلي الأمانة منهم … بَرٌّ وهيهات الأبرُّ الأسلم
طُلَس[1] الذئاب على منابر أرضنا … كل بنقص نصيبنا يتكلم

وأهم الأسباب في عمارة الغوطة في القرون الثلاثة الأولى خاصة أن العرب المسلمين دَوَّخوا هذا القطر كسائر ما فتحوه من الأقطار بعدلهم، أكثر مما دوخوه بسيوفهم. كانت سماحة الإسلام من أعظم ما أدهش السكان الأصليين، رأوا عدلًا لم يشهدوا مثله من الدولة الراحلة، وتلطف المسلمون مع النازحين ومن خلفوا وراءهم من أهلهم، فعاملوهم معاملة قلّ أن وصلت إلى مثلها أُمَّة متحضرة. ذكر ابن عساكر أن سبرة أو سمرة بن فاتك من الصحابة تولى بعد الفتح قسمة المنازل بين أهل دمشق فكان يترك الرومي في العلو ويترك المسلم في السُّفل لئلا يضر المسلم بالذمي.

---

(١) الطلس الذئب الأمعط.

الفصل الثاني عشر

الجباية والأموال

كان على الشاميين في العهد الروماني أن يؤدوا الجزية والعشر وأتاوة من المال عدا المكس والمناجم. وكانت الحكومات الرومانية المتعاقبة تؤجر الحقول الصالحة لزرع الحنطة والمراعي لشركات يسمون أربابها العشارين، يبتاعون من الحكومة حق جباية الخراج فيظلمون الأهالي ويرهقونهم، وإذا تأخروا عن الأداء باعوهم بيع العبيد، فانتقل النقد من هذه الأرض إلى رومية، وعزّ هنا وجود الذهب والفضة، وارتفعت فوائد القروض إلى اثني عشر في المئة وأحيانًا إلى أكثر.

كان صلح دمشق على المقاسمة ودينارًا على كل رأس، والجباية تجمع من الخراج والعشور والصدقات والجوالي(١). ثم صارت الجباية عشرة أصناف: الخراج والجزية والعشور والأجور والزكوات وأثمان المبيعات والمقاسمات والغنيمة والفيء والمعادن. والخراج ما يؤخذ من أرض الصلح، والعشر ما يؤخذ من زكاة الأرض التي أسلم أهلها عليها والتي أحياها المسلمون من الأرَضين، والصدقات زكاة السوائم من الإبل والبقر والغنم

(١) الجوالي جمع جالية يطلق على الذين جلوا عن أوطانهم ويسمى في بعض البلدان مال الجماجم أي الرؤوس.

دون العوامل والمعلوفة، والمكس ضريبة تؤخذ من التجار في المراصد وما يطلق عليه اليوم الكمارك.

وراعى الخليفة الثاني في كل أرض ما تحتمله، وكانت الجزية في بدء الأمر دينارًا في كل حول على كل جمجمة، ثم جعلت على الذهب أربعة دنانير وعلى الوَرِق[١] أربعين درهمًا، وُجعلوا طبقات لغنى الغني وإقلال المُقِلِّ وتوسط المتوسط. والجزية تؤخذ من غير المسلمين، والخراج يشترك فيه كل من يملك أرضًا.

وصالح أبو عبيدة بن الجراح نصارى الشام حيْن دخلها على أن يترك لهم كنائسهم وبِيَعَهم، وعليهم إرشاد الضال وبناء القناطر على الأنهار من أموالهم، وأَن يُضيفوا مَن مَرَّ بهم من المسلمين ثلاثة أيام مما يأكلون، ولا يكلفَهم ذبح شاة أو دجاجة وتبيت دوابهم على غير الشعير، وذلك على أهل السواد دون المدن.

ثم حملت الأموال على قدر قربها وبعدها، فجعل على كل مئة جريب زُرع مما قَرُب دينارًا، وعلى كل مِئتي جريب[٢] مما بَعُدَ دينارًا وجعلوا على كل ألفي أصل كرم مما قرب دينارًا وعلى كل ألفي أصل كرم مما بَعُدَ دينارًا، وعلى الزيتون على كل مئة شجرة مما قرب دينارًا، وعلى كل مئتي شجرة مما بعد دينارًا. وكان غاية البعد مسيرة اليوم أو اليومين وأكثر من ذلك، وما دون اليوم فهو في القرب.

وعدّل المنصور العباسي أرض الغوطة فجعل كل ثلاثين مُدًّا بدينار القاسمي، ومسحت الأرض الخراجية وحملت كل أرض ما تستحقه. وقد تعفى بعض الضياع من الخراج. وهناك نوع من الاستثمار يسمى اللجاء أي

---

(١) الورق مثلثة وككتف وجبل الدراهم المضروبة ج أوراق ووِراق (القاموس).

(٢) الجريب عشر قصبات في عشر قصبات والقصبة ستة أذرع فيكون الجريب ثلاثة آلاف وستمئة ذراع مكسرة.

أن يلجأ صاحب الأرض إلى بعض الكبراء وينزل له عن ضيعته تعززًا به من عمال الخراج، فتصبح الضيعة مع الزمن ملكًا لذاك الكبير.

كانت الجباية في أيام الأمويين معتدلة، وفي بعض أيام العباسيين والفاطميين جائرة. وفي أوائل حكم الأمويين كان بعض جباة الخراج يعذبون من يتلكأ في أدائها، ويجعلونه في الشمس عقوبة له، كما كان يفعل ذلك أيام الرومان، فنهى عن ذلك الفقهاء وبَطَلَ تعذيب المكلفين. وكانت الجباية غير مستقرة على عهد الفاطميين شأنها شأنهم في سياستهم وإدارتهم، حتى إذا كان السلجوقيون نَشِقَتِ الغوطة أَرَجَ الفَرَج، ولاسيما على عهد طغتكين فعمرت، وجاء بعده بقليل الملكان العادلان نور الدين وصلاح الدين فأبطلا ضرائب كثيرة مع بقاياها، اكتفاء بالخراج والجزية، وكانا لا يخرجان عن حد الشريعة ولا يخالفان رأي الفقهاء في الجباية. وأكثر نور الدين في السنة التي توفي فيها من الصدقات والأوقاف وعمارة المساجد والمدارس، وأسقط كل ما فيه شبهة حرام، وما أبقى سوى الجزية والخراج وما يحصُل من قَسْم الغلات. ولما عزم صلاح الدين على أداء فريضة الحج صرفه عنه مدير دولته القاضي الفاضل بقوله من كتاب له: إن كشف مظالم الخلق أهمّ من كل ما يتقرب به إلى الله، وما هي بواحدة في أعمال دمشق، وفيها من ظلم الفلاحين ما يُستغرب معه وقوع المطر، ومن تسلط المقتطِعين على المقتطَعين ما لا يُنادى وليده. ومن ذلك استنتجنا أن حالة الجباية لم تكن على ما يرام، لأن الأمة كانت تحارب الصليبيين منذ عشرات من السنين والحرب تتوقف قبل كل شيء على المال.

أما عهد المماليك فكان كعهد العثمانيين بعدهم سلسلَةً من المغارم والمظالم يُجَوِّزون أن يتقاضوا من الرعية أموالًا زائدة عن الجباية المتفق عليها. وكان الملك الظاهر بيبرس البندقداري أجرأ[١] ملك على مصادرة

(١) لما دهم التتر أرض الشام بعد وقعة بغداد ضاقت بالملك الظاهر وعساكره الأرض فاستشاروا =

الرعية بأخذ أموالها، يصرفها في تجاريده أو حملاته. وقد يجبي في السنة الواحدة جبايتين في آنٍ واحد، وهو مما دعوه بالعوارض وهي سنتان سنة جديدة وسنة عتيقة. والعوارض مظلمة سلطانية تؤخذ من البيوت في الشام في كل سنة، ويقال إنها من محدثات الظاهر بيبرس وقد أشار إليها الأكرمي بقوله:

لَحَى الله أيام العوارض إنها هموم، لرؤياها تشيب العوارض
يضيق لها صدري وإني لشاعر ضليع وبيتي ما عليه عوارض

وكان الظاهر على عُتُوِّه واستبداده يحاذر أن يجبي شيئًا لا يقره العلماء(١)

= الشيخ عز الدين بن عبد السلام فقال: أخرجوا ما عندكم من الأموال وأنا أضمن لكم على الله النصر، فقال له السلطان: إن المال في خزانتي قليل وأنا أريد أن اقترض من أموال التجار، فقال له الشيخ عز الدين: إذا أحضرت ما عندك وعند حرمك، وأحضر الأمراء ما عندهم من الحليّ الحرام، وضَرَبْتَه سكة ونقدًا، وفَرَّقْتَه في الجيش ولم يقم بكفايتهم، في ذلك الوقت اطلب القرض وأما قبل ذلك فلا. فأحضر السلطان والعسكر كلهم ما عندهم من ذلك بين يدي الشيخ، وكان للشيخ عندهم رهبة بحيث لا يستطيعون مخالفته، فامتثلوا أمره فانتصروا. ومما كان يزيد منزلة الشيخ عندهم أن الملك الظاهر بيبرس لم يبايع أحدًا من الخليفة المستنصر أو الخليفة الحاكم إلا بعد أن تقدمه الشيخ عز الدين للمبايعة ثم بعده السلطان ثم القضاة. ولما مرت جنازة الشيخ عز الدين تحت القلعة بالقاهرة وشاهد الملك الظاهر كثرة الخلق الذين معها قال لبعض خواصه: اليوم استقر أمري بالملك لأن هذا الشيخ لو كان يقول للناس اخرجوا عليه لانتزع الملك مني. كان الناس يخافون السلاطين وعز الدين يخافه السلاطين. ولما تملك الصالح إسماعيل دمشق وأعطى الإفرنج صفد والشقيف ذمه ابن عبد السلام هذا على المنبر وترك الدعاء له، وفي الأمثال: «ما أنت إلا من العوام ولو كنت ابن عبد السلام».

(١) أراد الظاهر أن يجبي ضريبة جديدة يصرفها في إحدى تجاريده على التتر فكتب علماء مصر والشام كتابًا يقرونه على ما طلب، وما استنكف منهم عن توقيعه إلا الإمام النووي، فاستدعاه الملك وسأله عن سبب امتناعه عما وافق عليه العلماء كافة فقال له: إن عند محظياتك وجواريك ومماليكك من الحلي والسيوف والخناجر وزينات الخيول وغيرها من =

وكذلك كان الملك المؤيد شيخ فإنه كان كثير المصادرات للرعية وهو الذي قطع دابر النواب العصاة الذي خربوا غالب البلاد الشامية وأحدث في أيامه أشياء كثيرة من أبواب المظالم لما كان يخرج إلى التجاريد. والخروج إلى التجاريد كان من جملة الأسباب التي تُهَيِّئ لملوك الشراكسة أن يسلبوا الناس أموالهم، ولا تكلف التجريدة أقل من نصف مليون دينار. وكانت الرعية إذا أحست بالخطر الداهم يهون عليهم إعطاء جانب عظيم من أموالهم للسلطان حتى يدفع عن البلاد عادية أعدائها، ولما وردت الأخبار بعودة التتر إلى الشام سنة ٧٠٠ استخرج من غالب الأغنياء بمصر والشام ثلث أموالهم لاستخدام المُقاتلة. وفي هذه السنة استخرجت الحكومة مالًا عظيمًا من جميع الأملاك والأوقاف بدمشق وظاهرها، وأخذوا من الغوطة من كل قرية تكثر أموالها ثلث ضمانها، وجَبَوا من القرى الخاصة بزراعة القمح والشعير والقطن والحبوب على نسبة مَغَلّ سنةِ ثمان وتسعين وستمئة، فعظم ذلك على الناس وهرب خلق كثير واستخفى جماعة والذين وقعوا بأيديهم قطعوا أشجار الباقين وباعوها حطبًا، القنطار الدمشقي بثلاثة دراهم، فخربت الغوطة بهذا السبب وبشدة الطلب وكثرة الظلم والجور.

وما خلا قرنٌ من علماء أتقياء يرفعون أصواتهم بالإنكار على ما يخالف الشرع ويظلم به الفلاح. قال التاج السبكي (٧٧١): ومن قبائح ديوان الجيش إلزامهم الفلاحين بالإقطاعات بالفلاحة، والفلاح حرّ لا يَدَ لآدميٍّ عليه، وهو أمير نفسه. وقد جرت عادة الشام بأن من نزح من دون ثلاث سنين يعاد إلى القرية قهرًا ويلزم بشد الفلاحة، والحال في غير الشام أشد منها، وكل ذلك

= الذهب شيئًا كثيرًا، فإذا بعته وصرفته في الجيش ولم يجزئك يحل لك عندئذٍ أن تفرض ضريبة، فغضب الظاهر وقال له لا تساكنني في بلد أنا فيه. فخرج النووي إلى بلده نوى في حوران ومات هناك.

لا يحل اعتماده، والبلاد تعمر بدون ذلك، بل إنما تخرب البلاد بذلك لأنهم يضيقون على الناس اهـ.

كانت خراجات ضياع الغوطة والمرج خاصة للسلطان في القرن الثامن، وكذلك الضياع التي هي منازل من دمشق إلى العريش، وذلك لأن خراجها كان يجبى بسهولة أي إن الجباية التي يسهل الحصول عليها يخص بها السلطان نفسه أما ما تتعذر جبايته فيتركه لنفقات الدولة.

قال الأسدي خلال كلامه على جباية هذه الديار وما يجب فيه الحق من الركاز والمواريث والغنائم والفيء مما يحمل إلى بيت المال من الأموال الواجبة والمباحة، وأما المال الحرام فهو ما استخرج بخلاف ذلك على غير وجه الحق حسبما وضعوه من الرسوم والخدم الموضوعة في كل ديوان، وما رتبوه وأجْرَوا به العوائد مثل الموجبات التي لا حق فيها، والمكوس التي هي محرمة على مستخرجيها وآكليها، وما يرتكب في أبواب الحكام من وجوه التبعات والمظالم وضروب الحوطات (الحجز) على أموال الناس التي لهم بالحق، وأخذها منهم بوجوه المغارم. قال وفي الظاهر أن هذه الأموال المحصلة بهذه الوجوه الخبيثة مصالحُ للسلطان ومعونةٌ للأعوان، وفي الباطن إنما هي فساد وظلم وتخريب.

أكثر الأتراك العثمانيون من أصناف الضرائب، وما كانوا في هذا المعنى لأول أمرهم أقل ظلمًا من المماليك في آخر أمرهم، ثم تفننوا في فرضها حتى بلغت كما قيل في بعض الأدوار سبعًا وتسعين ضريبة ورسمًا.

ولما فتح السلطان سليم الشام وضع مكسًا على الأحكام الشرعية ورسومًا على الحانات والمواخير والمومسات. وكانت الجبايات إلى هذا تجبى بالعسف والشدة، ولئن كانت الجبايات في آخر أيامهم مما يمكن احتماله لكن طريقة جبايتها كانت شديدة على الأهلين.

وأكثر ما كان يؤذي الفلاح ويُسَوِّد الدنيا في وجهه، طلب الأموال في غير

الأوقات التي يقتدر فيها على الأداء، وتَقاضي مظالمَ علاوةً على الضرائب والجبايات المقررة. قال ابن عابدين: إن غالب الغرامات الواردة على القرى في هذا الزمان (القرن الثالث عشر من الهجرة) ليست لحفظ أملاك ولا لحفظ أبدان، وإنما هي مجرد ظلم وعدوان، فإن غالب مصارف الوالي وأتباعه وعمارات منزله ومنزل عساكره وما يدفعه إلى رسل السلطان الواردين بأوامر ونواهٍ، وأمثال ذلك كله يأخذه من القرى، ويسمون ذلك بالذخيرة تؤخذ في بلادنا في السنة مرتين، ويزيد فيها دراهم كثيرة رشوة لأعوانه وحواشيه من أعيان البلدة.

وقد جرت العادة بقسمة ذلك كله على عدد فُدُن القرية، وتارة يقسمونه على مقدار حق الشرب بالساعات الرملية، فمن كان له فدان مثلًا يؤخذ منه ما يخصه، أو من كان له ساعة يؤخذ منه ما يخصه، سواء كان رجلًا أو امرأة أو صبيًا، وكذا يجعلون منها على رقاب الرجال الساكنين في القرية الذين لا ملك لهم فيها اهـ.

هذا ما قاله أفقه فقهاء دمشق في ذاك العصر المظلم، ووصْفُهُ هذا نسخة صحيحة عما كان يجري في ظاهر بلده. كتب هذا قبل احتلال جيش محمد علي الكبير الديار الشامية، وكانت الدولة تريد أن تضع مالًا قليلًا على الدور فشق ذلك فيما قيل على أهل دمشق، وقتلوا الوالي سليم باشا.

كتب قنصل إنكلترا في دمشق سنة ١٨٥٨ يقول إن الضرائب كانت باهظة على عهد الحكومة المصرية والأمن مستتب، والحكومة لا تبخل في إنفاق ما يعود على الشعب بالفائدة. وكان الدخل يدار بنزاهة واقتصاد أما حالتها اليوم (أي على العهد التركي) فهي على عكس ذلك من كل وجه، فالضرائب عبء ثقيل لا يطاق مع أنها أقل من قبل، والأمن مفقود، والدخل يقلُّ كل يوم، لإهمال القرويين حراثة الأرضين، وكل ما يتم جمعه ينفق بإسراف أو يسرقه الموظفون.

وأيد الوالي مدحت باشا كلام القنصل وقال إن كبار الموظفين وصغارهم لا يلتفتون إلى غير مصالحهم الخاصة، وبسوء تأثير ذلك فسدت أخلاق الناس وكَثُر القتل والنهب والغارة على الأموال والعروض في كل مكان.

قلَّتْ نفوس السكان لما حل بهم من النكبات الإدارية والآفات الطبيعية فاضطر بعض الميسورين أن يبتاعوا العبيد ليسخّروهم في أراضيهم. وكان أعراب البادية يأخذون الخُوَّة أو الضريبة السنوية من كل قرية وكل بستان يقرب من دمشق.

وكثرت أنواع الضرائب في آخر أيام العثمانيين وكان أكثر ما يشكو منه الغوطيون ضريبة الأعشار على الحاصلات كلها، وكثيرًا ما يزيد المال المَجْبِيّ من الفلاح على ضعفي ما يجب عليه أداؤه أو أكثر، وذلك عدا ما يضاف إلى الأعشار من الزوائد للسماسرة والملتزمين وأرباب النفوذ. ووقع في كثير من الأرجاء أن قطع الفلاحون أشجارهم تخلصًا من العشر لأن الدولة كانت تتقاضاهم الأعشار عنها، أثمرت أم لم تثمر، لا تعتبر الجوائح التي تصيبها.

وحدثنا الشيوخ بما كان أهل الغوطة يلقونه من العَنَت والإرهاق إذا دقت الطبلة وجاءت سرية من الجند لتحصيل المال المطلوب منهم، وربما أقام الخمسون جنديًا مع خيولهم في القرية بضعة أيام حتى يتيسر جمع مال الدولة، وبذلك كره الناس امتلاك الأرض فنزل ثمن الفدان إلى بضع مئات من القروش. وربما كان الحقل يباع أحيانًا بلوح من الصابون أو أوقية من التنباك ليقال إن الأرض بيعت وقبض البائع ثمنها.

أما أثمان الحاصلات فكانت من التدني على ما يضحك ويبكي.

وألغيت في عهد الانتداب بعض الضرائب وصارت الجباية تؤخذ برفق لأن الدولة كانت تتقاضى وارداتها من الضرائب غير المباشرة، وكان ما يؤديه المكلف مما يُحتَمَل إذا قيس بآخر أيام العثمانيين، ثم ألغي العشر وخراج

الأرض واستعيض عنها بضريبة سَمَّوْها ضريبة الإنتاج الزراعي، وقدرها سبعة في المئة من كل صنف من أصناف الزراعة يباع في السوق من محصولات الأشجار والأرض وغيرها، كما تؤخذ الكمارك في المواني والحدود. وهناك رسوم تؤخذ من بعض الأصناف ورسوم عن المواشي، وكل ذلك مما تحتمله الرعايا بالقياس إلى ما كان من ضروب الضرائب والمظالم. ولا شكوى للفلاح إلا من فساد طريقة جباية هذا الإنتاج فقط.

الفصل الثالث عشر

الحكم والإدارة

اختار العرب في القرون الأولى للإسلام أصول الحكم الذاتي أو اللامركزية في إدارة ملكهم العظيم. ينصبون العامل الأكبر ويطلقون له حريته في الحكم يتصرف بما يرى فيه المصلحة، ويوزع العدل على السكان من أيسر سبله، لا يراجع العاصمة أو حكومة الإمام أو السلطان إلا في المعضلات ويجعل للأهلين حظًّا من الاشتراك في الحكم.

وكان الرومان في هذه الديار من قبل يحاذرون أبدًا عادية الأعراب على المعمور من هذه الكور وما تاخمها، فأقاموا لذلك على سيف البادية مخافر ليأمن هذا الجزءُ من الديار الشامية عَيْثَ العائثين، وتأمنَ العاصمة اعتداء المعتدين، ذلك أن الأعراب من القديم ولاسيما عرب شمال الجزيرة إذا أحسوا بأن سماءهم شحّت، وأرضهم أقحطت لا يرون أمامهم غير أرجاء الشام يتسللون إليها للانتجاع، فيفسدون زروعها، ويحتطبون المثمر وغير المثمر من أشجارها، ويروون أنعامهم من مياه عزيزة جمعها أهلها لشربهم وإرواء ماشيتهم. وكان سلطان الأمويين والعباسيين بعد الرومانيين أعظم وقاية مما كانت عليه الحال زمن الرومانيين.

وسعدت الغوطة أيام الأمويين والعباسيين بمن قام فيها من رجال كانوا يغارون على مصلحتها وعلى تحقيق[١] ما يصلحها.

(١) روى ابن عساكر أن نهر يزيد كان صغيرًا يجري فيه شيء يسير يسقي ضيعتين في الغوطة لقوم يقال لهم بنو فوقا (قرفا؟) ولم يكن لأحد غيرهم فيه شيء فماتوا في خلافة معاوية بن أبي سفيان ولم يكن لهم وارث فأخذ معاوية ضياعهم وأموالهم، فلم يزل كذلك حتى مات معاوية في رجب سنة ستين وولي ابنه يزيد فنظر إلى أرض واسعة ليس لها ماء، وكان مهندسًا فنظر إلى النهر فإذا هو نهر صغير فأمر بحفره، فمنعه من ذلك أهل الغوطة ودافعوه فلطف بهم، على أن ضمن لهم خراج سنتهم من ماله فأجابوه إلى ذلك فاحتفر نهرًا سعة عرضه ستة أشبار في عمق ستة أشبار على أن له ملء جنبيه، وكان على ذلك كما شرط لهم. ومات يزيد سنة أربع وستين فلم يزل كذلك حتى استخلف سليمان بن عبد الملك سنة ست وتسعين فأقام عنده رجل من أهل الذمة يقال له جرجة بن قعرا شاهدين يشهدان أن له في النهر قناة تجري إلى حمام له بديره، فسجل له سليمان بذلك سجلًا وأشهد به شهودًا ونسخته: «بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب كتبه سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين لجرجه بن قعرا بثبات قناة في نهر يزيد لما قامت له البينة وفيه من الشهود عبد العزيز بن عبد الرحمن وعبد الله بن الحصين بن المبارك الهمداني ويزيد بن أسلم بن عبد الله القرشي وعبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الملك من أهل الغوطة ومحمد بن عبد الرحيم بن الفضل بن عباس الهاشمي وذلك يوم الخامس من شهر رمضان من سنة ثمان وتسعين. وكتب سليمان بن عبد الملك بخطه وأشهد على نفسه وكفى بالله شهيدًا».

قال الرشيد يومًا للحسين بن عمار وقد غضب عليه مما أتى من الأعمال: وليتك دمشق وهي جنة تحيط بها غُدُر تتكفأ أمواجها على رياض كالدراري فما برح بك التعدي لأرفاقهم حتى جعلتها أجرد من صخر وأوحش من القفر. قال: والله يا أمير المؤمنين ما قصدت لغير التوفيق من جهة ولكنني رأيت أقوامًا ثقل الحق على أعناقها فتفرقوا في ميادين التعدي، ورأوا المراغمة بترك العمارة أوقع بإضرار السلطان، وأرادوا بذلك المشقة على الولاة، وإنْ سخط أمير المؤمنين فقد أخذ بالحظ الأوفر من مساءتي، فقال الرشيد: هذا أجزل كلام سُمع من خائف ـ وفي القصة التي رواها صاحب الفرج بعد الشدة ما يستأنس به: أن بعض أملاك الغوطة ما برحت إلى أواخر القرن الثاني محفوظة من التقسيم ذلك أنه رُفع إلى الرشيد أن رجلًا بدمشق من بقايا بني أمية عظيم الجاه واسع الدنيا كثير المال والأملاك مطاعًا في البلد له جماعة وأولاد ومماليك وموالٍ يركبون الخيل ويحملون السلاح ويغزون =

ولقد قسمت العرب الشام إلى عدة أقاليم، والإقليم لفظة يونانية يراد بها كل ناحية مشتملة على عدة مدن وقرى، وسموا الغوطة إقليمًا تارة وكورة أخرى، والكورة كل صقع يشتمل على عدة قرى أيضًا، ولا بدّ لها من قصبة أو مدينة أو نهر يجمع اسمها. ونُسي على الأيام اسم الإقليم ولم يبق إلا في بعض أرجاء الشام مثل إقليم البلان وإقليم الخروب وإقليم التفاح في لبنان الشرقي والغربي، ويقلّ اسم الكورة. ولعل هذه التقاسيم كانت من وضع الرومان فأقرها العرب وعربوا الأسماء. وعرفنا من الأقاليم حتى القرن السادس والسابع إقليم خولان وإقليم باناس وإقليم داعية وإقليم بيت الآبار وإقليم حُردان، وإقليم بيت لهيا، ويدخل في إقليم خولان داريا وبلاس، وفي إقليم باناس يلدا وببيلا، وفي إقليم داعية كفر بطنا وحمورية، وفي إقليم بيت الآبار المنيحة وجرمانا، وفي إقليم حُردان سقبا وبُرتايا، وفي إقليم بيت لهيا جوبر وجَديا. ورأينا في القرن الثامن إقليم المزة وإقليم برزة وإقليم الزنار (كذا) وإقليم الجبهة، فاستدللنا بذلك أن الأقاليم قد تتبدل أسماؤها وقواعدها.

وكان في بعض قريات الغوطة قضاة ينظرون في شؤون أهلها، وإذا عرفنا أن القاضي في الإسلام كان إليه النظر في القضايا الدينية والمدنية، بل كانت له الحسبة أحيانًا أي الإشراف على ما يمتع الناس بالراحة والصحة والأمن في المدن والقرى ـ وقد يكون له الحكم في الأمور السياسية أيضًا ـ أدركنا مكانة القاضي من أداة الحكم يومئذٍ[1] ولا نعجب أن سمعنا أنه كان في

= الروم، وأنه سمح جواد كثير البذل والضيافة، وأنه لا يأمن منه. فأرسل إليه الخليفة رجلًا اسمه منارة ليأتيه به فلما حمله إليه مر به بظاهر دمشق حتى انتهيا إلى بستان حسن في الغوطة فقال الرجل: ترى هذا؟ قلت (أي منارة) نعم. قال: إنه لي ولي فيه غرائب من الأشجار كيت وكيت. ثم انتهى إلى بستان آخر فقال له مثل ذلك ثم انتهى إلى مزارع حسان وقرى سَرِيَّة.

(١) كان الولاة في بعض العصور يحاولون أن يفصلوا بين الشرع والسياسة فقد ذكر صاحب =

جسرين[(١)] في العصور الأولى قاض ينظر في مسائل الغوطة كما كان لبيت الآبار قاض ولداريا قاض ولعين ثرماء قاض ولزملكا قاض. وكثيرًا ما كانت الغوطتان تفردان بالحكم ويولى عليهما والٍ على نحو ما كان في القرن الخامس. كان واليها واليًا على جبل سنير وكانت في القرن السادس ولاية تضاف إلى المرج وعمالات أخرى مجاورة. وكان القائد بدر العطار سنة ٤٠١ واليًا على الغوطتين والشرطة وجبل سنير. وقد يكون والي الخراج غير والي الإدارة وممن ولي خراج الغوطة للمأمون محمد بن عائذ صاحب المغازي والفتوح.

وبعد عهد الدولتين النورية والصلاحية قسمت الغوطة تقسيمًا آخر وكذلك في عهد المماليك البرجية والبحرية ولم تصل إلينا تفاصيل ذلك. وفي العهد العثماني جعلت الغوطة قضاءين وقسمت إلى عدة نواح أو تبعت بعض القاصي من قرى وادي العجم، أو ضمت إلى دُومة بعض قرى قلمون والمرج كما هو الحال الآن وهناك ناحيتان الأولى مركزها عربيل ومركز الثانية داريا.

= الدارس أن شهاب الدين التلمساني قاضي قضاة المالكية في دمشق طلب غريمًا من الحاجب فامتنع من إرساله إليه فطلبه القاضي فلما حضر إليه أهانه وأخرق فيه، فتعصب الأمراء وكتبوا إلى مصر فورد المرسوم سنة (٨٥٢). بأن القضاة لا يطلبون أحدًا من عند حكام السياسة ولا يحكمون فيمن سبقت دعواه إليهم، وكذلك حكام السياسة لا يأخذون أحدًا من مجالس الشرع الشريف ولا يحكمون فيه ونودي بذلك بدمشق، ثم حضر من مصر القاضي ابن عامر المالكي عوضه وعلى يده مرسوم السلطان بأن حكام السياسة لا يأخذون من مجالس حكمه غريمًا وإنْ كان لأحد عنده محاكمة شرعية وخصمه عند السياسة يطلبه من عندهم ويعمل ما يقتضيه مذهبه الشريف.

(١) من هؤلاء القضاة أبو القاسم العذري الجسريني قاضي الغوطة كان يقضي بين أهلها (٣٣٩) وعبد العزيز بن هاشم قاضي جوبر وعبد الواحد بن محمد الهمداني قاضي عين ترماء (٤١٥) ومحمد بن خالد الحضرمي البتلهي قاضي بيت لهيا (٣٢٣) وخلف بن محمد العبسي الداراني قاضي داريا وأحمد بن هارون خال ابن حيوس الشاعر الدمشقي قاضي الغوطة.

ولقرب القرى من العاصمة العظمى، ولاختلاط بعض وجوهها بأهل الطبقة المثلى في دمشق، كان الظلم الذي يقع على أهل الغوطة قليلًا بالقياس إلى سائر الأقاليم. لذلك ظلت أمهات قراها عامرة بعض الشيء ونجت من الانحلال الكلي على نحو ما كان نصيب أكثر البلدان والقرى.

وجاء من الملوك من خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا كالظاهر ببيبرس البندقداري فإنه كان يرجع إلى أملاك الناس وخزائنهم إذا أحسّ بضائقة. ولما أراد أن يقرر القطيعة على البساتين بدمشق واحتاط عليها وعلى الأملاك والقرى قال له القاضي ابن عطاء الحنفي:

هذا ما لا يحلُّ ولا يجوز لأحد أن يتحدث فيه، وقام مغضبًا وتوقف الحال. ولما أراد السلطان التوجه إلى مصر أحضر العلماء وأخرج فتاوى الحنفية باستحقاق القطيعة بحكم أن دمشق فتحها عمر بن الخطاب ﵁ عنوة ثم قال من كان معه كتاب عتيق أجريناه وإلا فنحن فتحنا هذه البلاد بسيوفنا، ثم قرر عليهم ألف ألف درهم فسألوه أن يقسطها فأبى، وتمادى الحال فعجلوا له أربعمئة ألف درهم ثم أسقط الباقي عنهم.

ومن الأمور التي تجب معالجتها وهي تضر بالغوطة كثيرًا تجزئة أرضها أجزاء صغيرة لا ينتفع بها الانتفاع المطلوب، ذلك لأن قصبات قليلة أو مسكبة صغيرة لا تقوم بمعاش فرد ولا تحتمل انقطاعه إليها، ولا يتأتى لمالكها أن يجعل منها علة معاشه، فالأَوْلى عند ظهور التقسيم أن ينزل الورثة عن حصتهم لأعظم الشركاء في الأرض ويأخذوا منهم إرثهم ويصرفونه فيما يكون أعود عليهم، وبذلك يتأتى لصاحب الحصة العظيمة العناية بما يملك وينصرف هو وعياله إلى تعهدها. وبانحلال الوقف الأهلي أو الوقف الذُّرِّي وتقسيم الأرض قسمة عادلة، أي تحديد الملكية على أن لا يملك أكبر مالك أكثر من خمسين فدانًا ولا أقل من خمسة، وإذا أُتي لها بأخصائيين من المشهود لهم في العالم بمعالجة الأرض وتربية أشجارها وزروعها ومعرفة

أمراض الحيوان والدواجن وإبادة الحشرات، تدخل الغوطة في دور العمران العظيم.

أما بعد فإن حاجة الغوطة ماسة إلى رجال إدارة يصدقون خدمتها، ويصرفون وكدهم في إصلاح المختل من معوج إدارتها، يجرى اختيارهم من طبقة تفكر فيما يصلحها أكثر من تفكيرها في منافعها الشخصية، فالغوطة ينقصها الموظف الحازم الذي ينظر في مصلحة الفلاح قبل كل شيء، على أن معظم العمال لا يهتمون لغير قبض المشاهرة، والتهام ما يفتح الله به من الهدايا يستهدونها أرباب المصالح بِقِحَةٍ عجيبة، وهم من الصنف الذي لا مزية له إلا إرضاء العامل الأكبر يستميلون قلبه بجَرْبَزَةٍ ومكر. أما كبار رجال الدولة فلا يعرفون شيئًا من حال الغوطة أكثر مما يعرف العامة، ومنهم من لم يزرها حياتَهُ فضلًا عن أن تحدِّثه نفسه بجلب الخير إليها. وقد عهدتُ وزيرَ زراعةٍ ما كان يعرف ما هي الغوطة، أخصبُ إقليم وأعمرُ أرض في هذه الديار الشامية.

ومما يخشى منه على الغوطة زيادة نفوسها على الأيام وكثرة التبطل بعض فصول السنة، على حين نرى المرج الملاصق لها يشكو قلة اليد العاملة ويود لو نزله المتبطلون ينفعهم وينتفعون به. وهناك أقاليم كثيرة يتيسر لابن الغوطة أن يحييها إذا عاونته الحكومة بادئ بدء، وتخلص الغوطة من الإشباع والتضخم.

مسائل داخلة في اختصاص الصغار من العمال وهم لا يُنهونها إلى رؤسائهم، الصغار صغار بتدبيرهم وتقديرهم. ومن الواجب أن يكون مدير الناحية أرقى من القائم مقام، لأنه يصدر عن نفسه في معظم فروع الإدارة، فإذا كان قليل البضاعة ومن الفريق الذي لا يعرف غير حوالة الأوراق وإرضاء القائم مقام أو المحافظ، ولا يحب أن يتعب نفسه بالتعلم والعمل، فالأشغال تتراكم والإصلاح يطول ولسان حال الفلاح يجهر بقول حافظ إبراهيم:

أيشتكي الفقرَ غادينا ورائحُنا ونحن نمشي على أرض من الذهب؟

الفصل الرابع عشر

العلم والأدب

عنُي بنو أمية وخلفاؤهم بتربية أهل الغوطة، فكما برَّزوا في عمارة أرضها وإقامة القصور المنيفة فيها. لم يقصِّروا في حمل هَدي الدين إلى نفوس ساكنيها، وذلك مذ كتب أمير الشام يزيد بن أبي سفيان إلى عمر بن الخطاب ﵁ أن أهل الشام قد كثروا وربلوا وملؤوا المدائن واحتاجوا إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم، فأعنّي يا أمير المؤمنين برجال يعلمونهم. فأرسل إليهم ثلاثة من الصحابة، وكان أبو الدرداء معلم أهل دمشق وعمالاتها. ويعني بقوله أهل الشام العرب النازلين في الديار الشامية يومئذ سواء كانوا من العرب القدماء أو من العرب الفاتحين.

ولم يكن حظ الغوطة من العلم في الإسلام على ما يكون حظ القرى منه في العادة، ذلك لأن قراها وحدائقها أشبه بأحياء لا يبعد بعضها عن بعض مسافة طويلة وهي على مقربة من العاصمة الكبرى.

حلّ في هذا الإقليم الصحابة والتابعون وتابعوهم، وبعضهم كان على نصيب من العلم، وكان من انتشار بني أمية في أرجائها ما أعان على سرعة نشر اللغة والدين. ولم تَخْلُ قرية من قرى دمشق من رجل سكنها أو ولد فيها من رواة العلم. ومن الطبيعي أن يكون للرجل الممتاز مدرسة خاصة أي

طريقة في العلم اتخذها لنفسه، ولكل فرد جماعة وعشراء يأخذون عنه ما ينفعهم ويتفق ومشاربهم وعقولهم.

وبديهي أن تكون الفصاحة في بعض النازلين من العرب متأصلة وكان منهم من يقول الشعر بالسليقة، ومنهم من يرتجل الخطب ويوجز في إنشائه. فقد كان الحارث بن عبد الرحمن الجُرشي من وجوه أهل الغوطة وفصحائها، وفد على أبي جعفر المنصور مع جماعة من أهل الشام كانوا حاربوا المنصور ووالوا عبد الله بن علي، فقام عدة منهم فتكلموا ثم قام الحارث فتكلم فقال: يا أمير المؤمنين إنا لسنا وفد مباهاة ولكننا وفد توبة، ابتلينا بفتنة استفزت كريمنا واستخفت حليمنا، فنحن بما قدّمنا معترفون، وبما سلف منا معتذرون، فإن تعاقبنا فبما أجرمنا، وإنْ تَعْفُ وتُحْسِنْ فطالما أحسنتَ لمن أساء. فقال المنصور للوفد: خطيبكم الجُرَشي. وأمر برد ضياعه إليه في الغوطة.

ومن إيجازهم ما كتبه أبو الهيذام رئيس القيسية إلى أهل مزة كلب أيام فتنته المشهورة، وقد قطع أهل مزة الماء عن أهل دمشق وهو قوله: «إلى بني استها أهل مزة، ليمسيني الماء أو لتصبحنكم الخيل» فوافاهم الماء قبل أن يُعتموا.

كانت جمهرة المسلمين لأول الأمر تتأدب في الجوامع والمساجد، ولا تخلو قرية من مؤدب يؤدب أولادها الأدب الذي لا يستغني عنه مسلم، يعلمهم القراءة والكتابة ويحفِّظهم القرآن وبعض السنَّة، ويرويهم الشعر ويدربهم على الحساب، فينشأ منهم نابتةٌ يشاركون مشاركة لا بأس بها في الآداب، ومن آنس من نفسه مقدرة واستغنى أهله عنه في زراعتهم أكمل علمه على الشيوخ والعلماء. والناس في العادة يخفُّون لاستماع من ينزل عليهم من أرباب الذكر، وينقلون عنهم ما تهوى إليه قلوبهم من صنوف المعارف.

كان التلقي عن الرجال من أهم عوامل التعليم عند القدامى، دام ذلك إلى عهد قريب. وكان من الولع برواية الحديث(١) النبوي أعظم معوان على نشر الثقافة، وتتوقف رواية الحديث على تلقف شيءٍ من اللغة والنحو والصرف والشعر والأنساب وتقويم البلدان.

ولما نشأت المدارس بدمشق واقتفت أثرها سائر المدن الشامية، اكتفت قرى الغوطة بمدارس دمشق أو ما أُنشئ في ظاهرها، كمدارس الصالحية تبعث إليها ببعض أبنائها. وأعاظم المدرسين في الغالب ينزلون الحواضر والعواصم. وما كانت نسبة عدد طلاب المدارس من الغوطتين على ما يظهر أقل من نسبة غيرهم. وجاءت قرون والغوطة تغذو عاصمتَها برعيل من بنيها تكثِّر بهم سواد العارفين والعاملين. وكان من البيوت ما ترى البركة في أن يأخذ بعض أبنائها العلم عن شيخ عظيم، ويتخرج في مدرسة مشهورة لينفع أهل قريته في دينهم، ويكون له الظهور عليهم في الشؤون الدنيوية. ومن كتب له من رواة الحديث أن يصل سنده بسند محدث كبير عدّ ذلك من مفاخره وآية سعادته.

بلغت الغوطة من درجات العلم مكانة لا بأس بها، وما خلت في أكثر الأدوار قرية من قراها من رواة السنة وأرباب الفقه وممن يقرضون الشعر، وقد أخرجت رجالًا اشتهروا شهرة عالمية وخدموا الشريعة على اختلاف مظاهرها، ومنهم من انحصرت شهرتهم في صقعهم لم تتعدَّه إلى الأصقاع

---

(١) قال ابن الجوزي في صيد الخاطر: ينبغي للإنسان أن يقتصر من القراءات إذا حفظ القرآن على العشرة، ومن الحديث على الصحاح والمسند والمسانيد المصنفة، فإن علوم الحديث قد انبسطت زائدة في الحد وعلم الحديث يتعلق بعضه ببعض وهو مشتهى، والفقهاء يسمونه علم الكسالى لأنهم يتشاغلون بكتابته وسماعه ولا يكادون يعانون حفظه، ويفوتهم المهم وهو الفقه. وقد كان المحدثون قديمًا هم الفقهاء ثم صار الفقهاء لا يعرفون الحديث والمحدثون لا يعرفون الفقه فهو أعظم العلوم وأهمها.

الأخرى. وفي أكثر العصور كانت داريا حاضرة العلم والأدب في الغوطة. يقول السمعاني إنه كان في داريا جماعة كثيرة من العلماء المحدثين قديمًا وحديثًا وممن نبغ فيها من الصحابة عبد الرحمن بن يزيد الأزدي الداراني ويعدُّ في الطبقة الثانية من فقهاء الشام. ومن التابعين من أهلها سالم بن عبد الله المحاربي قاضي دمشق، وكان من حملة القرآن وممن يحضر الدراسة في جامع دمشق، ومنهم فقيه الشام وقاضيه أبو إدريس الخولاني (عائذ الله بن عبد الله ويقال عيذ الله) تولى القضاء بدمشق لمعاوية وابنه يزيد. ومنهم أبو سليمان الداراني الذي يقول فيه أبو حيان التوحيدي إنه جمع كتبه في تنور وسجرها بالنار ثم قال: والله ما أحرقتك حتى كدت أحترق بك. فعل ذلك مخافة أن يكون خطّ فيها ما يستحق عليه النار يوم القيامة، ومنهم سليمان بن حبيب الداراني قاضي دمشق لعمر بن عبد العزيز ويزيد وهشام ابني عبد الملك قضى لهم ثلاثين سنة. ومنهم عمير بن هانئ العنسي الداراني المحدث (١٢٧).

ومات فيها سنة أربع ومئة وقيل سنة سبع عبد الله بن زيد البصري الإمام وكان طُلب للقضاء فهرب ونزل داريا وكان رأسًا في العلم والعمل.

يقول العمادي في الروضة الريا: وممن سكن داريا بلال الحبشي مؤذن رسول الله مات سنة عشرين قال ابن كثير والظاهر أنه دفن بداريا وأن القبر الذي بباب الصغير الذي يقال له قبر بلال إنما هو قبر بلال بن أبي الدرداء لا قبر بلال بن حمامة مؤذن رسول الله.

وبلال بن أبي الدرداء كان وَلِيَ إمرة دمشق ثم ولي القضاء بها وكان حسن السيرة يكثر العبادة، وعزله عبد الملك بن مروان عن القضاء وولى أبا إدريس الخولاني وهو القاضي المشهور للأمويين. وممن سكن داريا أبو ثعلبة الخشني الصحابي وسكنها من التابعين ثابت بن سعيد المحاربي وأخوه عطية،

ومنهم الأسود بن بلال المحاربي التابعي وسعيد بن عكرمة الخولاني وكان على حرس عمر بن عبد العزيز، وعمر بن عبد الله الخولاني.

وسكن داريا خلائق من التابعين وجملة من العلماء والمحدثين. قال العمادي وقد رأيت مؤلفًا مفردًا في أسماء المحدثين بداريا، ورأيت جزءًا في الأحاديث التي رويت عند ضريح أبي مسلم الخولاني وفي تاريخ داريا لعبد الجبار الداراني. قال عبد الرحمن بن يزيد بن جابر: من أراد العلم فلينزل داريا بين عنس وخولان.

وذَكَرَ من الدارانيين أبا راشد الخولاني وأسود بن اصرم المحاربي وسليمان بن حبيب المحاربي قاضي الخلفاء، وهو ممن نزل داريا وله بها أوقاف تجري على ساكنيها، وكلثوم بن زياد المحاربي والأسود بن بلال المحاربي ومحمد بن الحجاج بن أبي قتلة المحاربي وعبد الله بن عبد الرحمن الأزدي وسليمان بن عتبة الغساني، وأبا سليمان الداراني واسمه عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي، وعمرو بن الأسود العنسي ويكنى أبا فياض وعمرو بن عُبُد الخولاني وأبا قِلابة الجَرمي وعمير بن هانئ العنسي وأبا كثير المحاربي وعثمان بن عبد الأعلى الأزدي وعبد الرحمن بن أبي كبيرة العنسي ومعاوية بن طُويع وعمر بن طُويع ويزيد بن يزيد بن جابر الأزدي وإدريس الخولاني وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر ويكنى أبا عتبة وسليمان بن داود الخولاني وكعب بن حامد العنسي وابن مرة الداراني ومسلمة العدل والنعمان بن المنذر الغساني والقاسم بن هزان الخولاني وعمرو بن شراحيل ويكنى أبا المغيرة وتميم بن عطية العنسي وعبد الرحمن بن سليمان بن أبي الجون العنسي وسالم بن عبد الله بن عصمة المحاربي وبكر بن زُرعة الخولاني وأم مسلم الخولانية زوجة أبي مسلم وعمرو بن جُز الخولاني وأبا إدريس الخولاني وسليمان بن أبي سليمان وعبد الرحيم بن صالح.

وخُتم الكتاب بذكرٍ بعض أهل داريا، وكان في آخرهم علي بن داود بن

عبد الله المُقري إمام المسجد الجامع بدمشق، وإليه انتهت الرياسة في القراءة توفي لِسِتٍّ خلون من جُمادى الأولى سنة اثنتين وأربعمئة، وكان من أعظم خطباء الإسلام، قالوا لما مات خطيب الجامع الأموي بدمشق لم ير أهلها من يخلفه أقدر من خطيب داريا هذا، فطلع كبراء دمشق إلى داريا وطلبوا إلى علي بن داود أن يكون خطيب جامعهم، فوثب أهل داريا وقالوا: لا نعطيكم خطيبنا، فقال رئيس الوفد: أما ترضون يا أهل داريا أن يسمع الناس في البلاد أن أهل دمشق احتاجوا إليكم في إمام. فتولى خطابة الجامع ولم يرض أن يأخذ معلومها وسكن في غرفة إحدى مآذن الجامع(١).

وحدث أيضًا في القرن السابع أن مات خطيب جامع بني أمية فلم ير أهل دمشق خلفًا له أحسن من خطيب جامع بيت الآبار يخطبهم ويعظهم فجاؤوا به كما جاؤوا في القرن الرابع من داريا بعلي بن داود يخطبهم.

وكانت داريا منذ القرن الأول مركزًا من مراكز القدرية الذين سُمُّوا بالمعتزلة بعد حين، ولا يعقل أن ينشر غيلان الدمشقي دعوته في الدانية والقاصية وتكون داريا بمعزل عنها، وغيلان قتله بعض خلفاء بني أمية بما دعا إليه، ثم انتشرت دعوته فانتحلها بعض المتأخرين منهم، وسرت في الآفاق سريان المذاهب الأخرى في القرون التالية. قال المسعودي وكان خروج يزيد بن الوليد بدمشق مع من شايعه من المعتزلة وغيرهم من أهل داريا والمزة من غوطة دمشق على الوليد بن يزيد.

---

(١) كان كثير من القضاة والأئمة والمدرسين لا يتناولون إدرارات من السلطان عن عملهم ويقومون به حسبة لله، ومنهم زرعة بن أيوب قاضي دمشق كان لا يأخذ على القضاء أجرًا وكتب في خاتمه: لكل عمل ثواب. وألح عليه الوليد حتى أعطاه مزرعة وبقرها وخدمها وآلتها وحلف له أنها من صلب ماله فقال: أقبلها منك وأشهدك أن ثلثًا منها في سبيل الله، والثلث الثاني ليتامى قومي ومساكينهم، والثلث الثالث لرجل صالح يقوم عليها ويؤدي الحق فيها ثم أنا أحب أن تأخذ مني ما أجريت عليّ من الرزق فإنه في كوة البيت فخذه فردّه في بيت المال فقال الوليد: ولم ذلك فقال لا أحب أن آخذ على ما علمني الله أجرًا.

كانت الدولة الإسلامية تُعْنَى بتخيُّر الخطباء والقصاص أو الوعاظ من أرقى الطبقات لأن لهم تأثيرًا في العامة، ويفضلون منهم من يدرك معنى السياسة أو يكون على الحياد يخدم المصلحة الدينية فقط. ولما ضاق الملك العادل أبو بكر بن أيوب ذرعًا بحرب الصليبيين، ورأى فتور الناس في جهادهم، تقدم إلى سبط ابن الجوزي الواعظ العظيم أن يحث المسلمين على قتال الصليبيين فدبّر هذا مع بعض أهل دمشق طريقة لطيفة لتحريك النفوس وذلك بأن جزّ نساء دمشق شعورهن وحمله ثلاثمئة رجل إلى المسجد الجامع وقت صلاة الجمعة والخطيب على المنبر، والحمالون ينادون أن نساء دمشق قدمن شعورهن لتعمل منها شكالات لخيل الجهاد، فضجَّ الناس بالبكاء وانقلبوا من ساعتهم إلى ساحات الوغى يدفعون الإفرنج عن أرضهم. قال المؤرخون إن قرية زملكا وحدها قدمت ألف فارس لهذه الغاية. ونجح الملك العادل بالتحريض على الجهاد من طريق الواعظ الكبير.

ومع أن عصر نور الدين محمود بن زنكي وعصر صلاح الدين يوسف بن أيوب كانا من أعظم العصور شدة على ديارنا تجيِّش فيهما أوربا عليها بمئات الألوف، كان عصراهما من أبرك العصور على العلم والأدب أيضًا، ذلك لأن الحدّ كان على أتمه في الدولتين النورية والصلاحية. جَدَّ مؤسساهما في الحرب وجَدَّا في العلم وجَدَّا في نشر كل فضيلة. وكان من برّ نور الدين وصلاح الدين للعلماء ما هو معروف ومشهور.

وبعد الدولة الصلاحية أهمل رجال السياسة العلوم الدينية حتى قال ابن طولون في زغل المناصب: ومن حق نائب السلطنة إقامة فقيه في كل قرية يعلم أهلها أمر دينهم، ومن العجيب أن أولياء الأمور يستخدمون في كل حصن طبيبًا ويستصحبونه في أسفارهم بمعلوم من بيت المال ولا يتخذون فقيهًا يعلم الدين.

أما العثمانيون فقد ارتكبوا ما هو أفظع من عمل من المماليك بإهمالهم

تعليم أهل القرى، فقضوا أن «يبقى أبناء الميت ولو كانوا صغارًا على وظائف آبائهم مطلقًا من إمامة وخطابة وغير ذلك، لأن فيه إحياء خلف العلماء ومساعدتهم على بذل الجهد في الاشتغال بالعلم. وقد أفتى بجواز ذلك طائفة من أكابر القضاة الذين يُعوَّل على إفتائهم ـ قاله البيري من فقهائهم» أي إن هذه الدولة قضت بأن تورَّث الوظائف الدينية كما يورث العقار أو الأرض فانحط الدين بانحطاط القائمين عليه، شوهد ذلك محسوسًا في المدن وعم القرى جهل مطبق.

نعم ما كانت أكثر قرى الغوطة في القديم تخلو من أفذاذ من العلماء نبغوا منها أو سكنوا فيها فقد أخرجت بيت لهيا في القرن الثاني يحيى بن حمزة الحضرمي البتلهي (١٨٣) قاضي دمشق ومحدثها، وكان يُرْمَى بالقدر، تولى القضاء ثلاثين سنة. ونَبُهَ من أبناء حرستا القاضي جمال الدين عبد الصمد الأنصاري في القرن السابع، ومن أعظم فقهاء عصره وكان ولي القضاء في كهولته ثم تركه، ووليه وقد تجاوز التسعين عامًا وذلك بإلزام الملك العادل، مات وهو قاضي القضاة سنة ٦١٤ عن ٩٤ عامًا، وكانت سيرته في العدل مضرب الأمثال[١]، والغالب أن العلم تسلسل في بيت القاضي عبد الصمد قال ابن العماد في حوادث سنة ٦٨٢ وفيها مات ابن الحرستاني خطيب دمشق محيي الدين أبو حامد محمد بن الخطيب عماد الدين عبد الكريم بن القاضي

(١) نقل صاحب الدارس عن سبط ابن الجوزي أن الملك العادل كتب لبعض خواصه كتابًا يوصي به القاضي جمال الدين عبد الصمد الأنصاري في حكومة بينه وبين آخر فجاء إليه الكتاب فقال: أي شيء فيه؟ قال: وصية بي، قال: أحضر خصمك فأحضره، والكتاب بيده لم يفتحه، وادعى على الرجل، فظهر الحق لغريمه فقضى عليه، ثم فتح الكتاب وقرأه ورمى الكتاب لحامله وقال: كتاب الله قد قضى وحكم على هذا الكتاب، فمضى الرجل إلى العادل فبكى بين يديه، وأخبره بما قال القاضي فقال العادل: صدق، كتاب الله أولى من كتابي.

أبي القاسم عبد الصمد ابن الحرستاني الأنصاري، درس وأفتى وكان قوي المشاركة في العلوم وعلى خطابته طلاوة وروح وكان شاعرًا مجيدًا. واشتهر في القرن السابع والثامن ثلة من رجال الحديث كانوا من أبناء الغوطة ومنهم الحافظ الزملكاني (٦٥١) والحافظ اليلداني (٦٥٦) والحافظ المزي (٧٤٢) وكان من أجداد الحافظ الزملكاني غير واحد من الأجلاء منهم خطيب زملكا كمال الدين بن عبد الواحد بن خلف (٦٥٠) كان متميزًا في علوم متعددة وولي القضاء، ومنهم خطيب زملكا عبد الكريم بن خلف الأنصاري (٦٣٣) وكأن العلم تسلسل في بيت الحافظ الزملكاني كما تسلسل في بيت القاضي عبد الصمد الحرستاني. وممن أخرجت جوبر من العلماء عبد الرحيم بن عمر الجوبري من أهل القرن السابع مؤلف المختار في كشف الأسرار، وله كتاب في التنجيم وعمل الرمل وغيره. واشتهر المؤرخ محمد بن زكريا الداراني (٧٦٤) كما اشتهر القطب العربيني والتقي اليلداني (٦٥٥) ولد في يلدا ودفن بها ودرس بالفاضلية. كما دفن في داريا خطيبها أبو عبد الله الوهراني الجزائري صاحب النكات البديعة الذي كتب «الجِدُّ في الهزل والهزل في الجِدّ» (٥٧٥) وممن اشتهر شهرة عالمية في الفلك والطبيعيات والجغرافيا والعلوم الغريبة محمد بن أبي طالب الأنصاري الملقب بشيخ الربوة (٧٢٧) كان شيخ ربوة دمشق وإمامها. واشتهر شهرة عظيمة في الآفاق الحافظ الذهبي صاحب المؤلفات الجليلة في التاريخ والحديث وهو ابن كفر بطنا[1] في بعض الروايات وكان يدرس فيها.

---

(١) مما يستدل به على اتصال الذهبي بكفر بطنا ما قاله في المشتبه من تأليفه من أن الفُرَيَرى بفاء فلاح بجسرين وبقاف مضمومة القُرَيْرَى الزاهد عثمان، له كشف وحال وأتباع يجمع الشباب على السماعات بكفر بطنا مات سنة ٦٨٠.
وقال الذهبي في تاريخ الإسلام: محمد بن عمر بن عبد الملك الخطيب خطيب كفر بطنا كان محببًا إلى أهلها وأقام في خطابة القرية بضعًا وعشرين سنة وولي الخطابة بعده ابنه عز الدين إبراهيم، فبقي المؤذن ينوب عنه إلى أن بلغ ثم عزل بكمال الدين ابن خلكان.

وكما كان يسمع في عصور الترقي اسم الصنعاني والداراني والأرزوني والقوفي واليلداني والسقباني والمنيحي والحجراوي والحرستاني (أو الحرستاوي) والدومي والكفر بطناني (أو الكفر بطنائي) والجسريني والبتلهي والجوبري، صرت تسمع في عصور التدني اسم العقرباني والببيلي والحموري والعربيلي. وكان محمد بن عمر الدينوري خطيب داريا، وكان ابن عروة الحنبلي صاحب الكواكب الدراري انقطع إلى مسجد القدم بآخر أرض القبيبات (٨٣٨) يعلم الأطفال احتسابًا ويعيش من نسج الأعبئة.

ومن البلدان ما غلب عليه الحديث أكثر من الفقه، ومنها ما غلبت عليه الرواية أكثر من الدراية ومنها ما جمع بينهما. ومن القرى ما كان حِفْظ القرآن شائعًا في أهلها، كما هو الحال اليوم في قرية عربيل فقد شاع حفظ القراءات بالسبع فيها. وكثيرًا ما نقرأ في الكتب اسم ابن خطيب داريا، ابن خطيب بيت الآبار، ابن خطيب المزة[١] مما دل على أن بعض البيوت كانت ألفت العلم فتخرج الأبناء بالآباء ومَشَوا على آثارهم.

قلنا أن أهل الغوطة مشوا على آثار العاصمة في تلقي العلم وكان لعلم الحديث أكبر قسط من عنايتهم، وليس أدل على ذلك من تأليف الحافظ ابن عساكر كتاب روايات ساكني داريا وكتاب من نزل المزة وكتاب أحاديث كفرسوسية وكتاب أحاديث صنعاء الشام وكتاب فضل الربوة والنيرب ومن

---

(١) اشتهر خطباء الغوطة في أيام الارتقاء ومن جملتهم عبد الوهاب بن سحنون الخطيب البارع خطيب النيرب وطبيب مارستان الجبل، وعبد الصمد الفقيه خطيب سقبا، وعبد الكافي الأنصاري خطيب زملكا، وشرف الدين التنوخي خطيب حرستا، وعمر بن عبد الله خطيب بيت الآبار وبكران الفقيه خطيب زملكا وشمس الدين العُرضي خطيب المزة، وبرهان الدين المقدسي الأباري خطيب ارزونا، وأحمد بن شمخ خطيب داريا، والفقيه أبو علي السنبسي العرضي ثم الداراني والمنيحي خطيب المزة، وإسرائيل بن عبد العزيز خطيب بيت الآبار وأخو خطيب ارزونا ومن خطباء بيت الآبار محمد بن أبي بكر بن يوسف وزين الدين أبو المؤيد خطيب عقربا إلى عشرات غيرهم.

حدث بهما وكتاب حديث الحميريين وقينية وحديث أهل فذايا وبيت ارانس وبيت قوفا وحديث أهل قرية البلاط وحديث أهل زبدين وجسرين وأهل بيت سوا ودوما ومسرابا والقصير، وحديث جماعة من أهل حرستا وأهل كفر بطنا ودقانية وحجيرة وعين ثرماء وجديا وطرميس، وجزء قرئ في قرية يعقوبا وحديث جماعة من أهل بيت لهيا وأهل برزة جزء. وكل هذه القرى من الغوطة، الداثر منها لعهدنا عشر قرى وهي صنعاء دمشق والحميريين وقينية وفذايا وبيت أرانس ودقانية وجديا وطرميس ويعقوبا وبيت لهيا.

ولما بدأ اضمحلال العلم في القرن التاسع والعاشر غدت الغوطة في المسائل العقلية اسمًا لا مسمى له، ورجعت القهقرى فأمسى أهلها فلاحين أكارين فقط، إذا عرف بعضهم فروض الصلاة وبعض العقائد عدوه رجلًا وربما أطلقوا عليه اسم العالم. أما العلوم الأخرى فلم يكن لأهلها فيها ورد ولا صدر. ولما مرّ الشيخ عبد الغني النابلسي عالم دمشق وأديبها سنة ١١٠١ بقرية داريا، حضر عنده جماعة من أهلها يحفظون القرآن وجماعة يطالعون في تفسير الجلالين، فعدّ ذلك من أنعام الله عليهم حيث جعل فيهم هذه المزية دون غيرهم من أهل القرى في مثل زمنه. قال ولعمري كم خرج من قرية داريا من عالم عامل وكذلك قرية المزة وغيرها من قرى دمشق، ولكن الاشتغال بأمور الفلايح أقعد همم أهل القرى عن تحصيل الكمالات لظلم الحكام. وإلى عهد قريب قلّ من ذاق من أهل الغوطة ولو قليلًا من العلوم المدنية، حتى لو جُمع العارفون من سكانها بالأمور الدينية في قريتين ما وفوا بحاجة أهلهما. ويزيد كل سنة عدد من تعلموا العلوم المدنية والعلوم الدينية، ومن شُبّانهم من يرحلون إلى مصر يطلبون العلم في الأزهر، ومنهم بعض المعلمين والأطباء والإداريين والشعراء والوعاظ.

ومن القرى ذات الألف والألفين من السكان ما ليس في أبنائها من تصحُّ صلاته ويَقْدِرُ أن يَؤُمَّهم ويكون طلق اللسان فيخطبهم، أو يجوّد آيات من

القرآن تمكنه من تعليم أولادهم، أو يعرف من الحساب الأعمال الأربعة لينظر في حساب مياههم ومشاكلهم مع التجار والمرابين والحكومة.

هذا في المسائل الدينية وهي أعلق الأشياء بقلوبهم، فما بالك بمسائل التعليم، فإن قرية متوسطة في الغوطة الوسطى وأهلها يربون على ألف نسمة ليس فيها مدرسة، وقلما أهمَّ أهلها التعليم بقدر ما يهمهم جمع المال والتدنيق في النفقة، وقد بنوا لهم مِئْذَنة في العهد الأخير والله أعلم متى يبنون المدرسة. ولا تزال بعض القرى خالية من مدرسة للذكور فضلًا عن مدارس إناث، والفرق ظاهر بين القرية التي أنشأت مدرسة منذ جيل، والقرية التي لم تبرح خالية من شيء اسمه مدرسة واكتفت بكُتَّاب يعلم الأطفال القرآن فقط على الطريقة القديمة.

أما القرية التي تهيأ لها من يفيدها فقد تجلت فيها النهضة على أجمل مظاهرها فقام من أهل عربيل الشيخ محمد عبده وعلّم أهلها على الطريقة التي ما كان يحسن غيرها وقد أفادت على ما حملت من تعصب.

حرَّج عليهم أكل الربا فلم يتبايعوا به، وكان ذلك من دواعي اغتنائهم وانتظام شؤونهم الاقتصادية. وتبعه قريبه الشيخ عبد القادر قويدر فتلقى القراءات على شيخ قراء دمشق صديقي الأستاذ عبد الله المنجد وعاد إلى عربيل يعلم أهلها القرآن ويفقههم في الدين، حتى أصبح فيها ما يزيد على مئة رجل يحفظون كتاب الله. وقام الأستاذ محمود العطار يصرف جهدًا محمودًا في قريتي القدم وكفرسوسية فعلَّم أهلهما وفقَّههم سنين طويلة بدافع من نفسه وباعث من دينه، وكان رحمه الله يسير إليهم على رجليه ولا يتخلف عن الميعاد الذي ضربه لتعليمهم، حتى أخرج ناشئة صالحة رفعت غشاوة الجهل عنها بما هداه إليه سعيه الفردي. وقد بذل في تعليم أهل قرية القدم صديقانا الأستاذان محمد بهجت البيطار ومحمد أحمد دهمان عناية لا بأس بها. ومتى كثر من أبناء الغوطة من يفكرون في خير قومهم تصبح حقيقة جنة غناء بطبيعتها وبما يدخل عقول أبنائها من نور.

الفصل الخامس عشر

المدارس والخوانق والربط والزوايا والجوامع

كان المسلمون في القرون الأربعة الأولى للإسلام يتخذون من الجوامع والمساجد محاكم يقضون فيها، كما كانت لهم مدارس لتلقين العلم على اختلاف ضروبه. وفي القرن الخامس أُنشئت المدارس يأخذ فيها الطلاب العلم، وتدر عليهم المعاليم والأرزاق، ويتولى العلماء تدريسهم ويتخرّج بهم الطلبة، ويجازون بما تعلموا إجازات ينالونها بعد إثبات كفاياتهم فيما تلقوه.

وقد أنشأ في دمشق أحد أبنائها رشأ بن نظيف بن ما شاء الله مدرسته المعروفة بالرشائية اتخذها دار قرآن سنة ٤٤٤.

وكثرت بعد ذلك المدارس في دمشق وضاحيتها ولاسيما في الصالحية. ونحن نذكر هنا ما كان في أرض الغوطة من كبريات المدارس.

١) دور القرآن:

دار القرآن الدلامية: بالقرب من الماردانية على الجسر الأبيض، بالجانب الشرقي من الشارع الآخذ إلى المدرسة الجهاركسية. أنشأها زين الدين بن دلامة سنة **٨٤٧**، وكان من أجل أعيان الخواجكية.

وخصص في صك وقفها مئة درهم لقراءة البخاري.

دار القرآن الصابونية: خارج باب الجابية قبالة مقبرة الباب الصغير أنشأها أحمد بن سليمان بن محمد البكري الصابوني سنة ٨٦٨.

وهاتان المدرستان شبه عامرتين. إلا أنهما خرجتا عن شروط الواقف.

٢) دور الحديث:

دار الحديث الأشرفية: بسفح قاسيون على ضفة نهر يزيد، تجاه تربة الوزير تقي الدين التكريتي، أمر ببنائها للحافظ عبد الله المقدسي الملك الأشرف موسى بن الملك العادل المتوفى سنة ٦٣٥ هـ. وقد تهدمت ولم يبق غير واجهتها.

دار الحديث القلانسية: غربي المدرسة العمرية بالصالحية.

إنشاء أبي يعلى حمزة بن أسد المعروف بابن القلانسي سنة **٧٢٩**. وهي رباط ودار حديث.

دار الحديث الناصرية: قبلي جامع الأفرم بسفح قاسيون. إنشاء الملك الناصر ابن الملك العزيز (٦٤٥). وقد دثرت.

٣) مدارس الشافعية:

الأتابكية: غربي المرشدية ودار الحديث الأشرفية. أنشأتها زوجة الملك الأشرف موسى المتوفاة سنة ٦٤٠هـ. وفيها تربتها.

الأسدية: كانت بالشرف القبلي مطلة على الميدان الأخضر. أنشأها أسد الدين شيركوه من قواد نور الدين.

الأسعردية: بالجسر الأبيض أنشأها إبراهيم بن مبارك شاه الأسعردي المتوفى سنة **٨٢٦**. قال ابن قاضي شهبة: كان الأسعردي هذا والشمس ابن المزلق أكبر تجار دمشق. وكان صاحب الأسعردية يقول عجائب الدنيا أربع وأحسنها غوطة دمشق، وأحسن الغوطة الصالحية، وأحسن الصالحية الجسر الأبيض.

الأمجدية: بالشرف الأعلى الشمالي مطلة على الميدان الأخضر، قرب مدرسة التجهيز. أنشأها ولد الملك الأمجد بهرام شاه بعد وفاة والده إحياءً لذكره. وكان من أشعر بني أيوب.

البهنسية: بسفح قاسيون. أنشأها أبو الأشبال البهنسي وزير الملك الأشرف مظفر الدين موسى (٦٢٨) وهي بجوار حاكورة العدس.

الظاهرية البرانية: كانت بالشرف القبلي مطلة على الميدان بين نهري باناس والقنوات. إنشاء الملك الظاهر غازي صاحب حلب.

٤) مدارس الحنفية:

قامت في أرض الغوطة مدارس كثيرة للحنفية منها:

الآمدية: بجوار بستان الميطور قرب حي الأكراد.

البدرية: قبالة الشبلية، بقي منها في أيامنا التربة. إنشاء بدر الدين المعروف بـ لالا ابن الداية، من أمراء نور الدين. مات في أواخر القرن السادس.

الجمالية: بسفح قاسيون. أنشأها جمال الدين يوسف وهي من الدوارس.

الحاجبية: غربي المدرسة العمرية. إنشاء الأمير الإينالي الحاجب (٨٦٧).

الخاتونية البرانية: في الشرف القبلي. وقفتها زمرد خاتون أخت الملك دقاق صاحب دمشق. توفيت سنة ٥٥٧. وخربت مدرستها في أواخر حكم المماليك.

الركنية البرانية: بالسفح عند حي الأكراد. إنشاء ركن الدين منكورس (٦٢٥) وعلى واجهتها كتابات كوفية.

الشبلية: بالسفح تجاه البدرية. إنشاء شبل الدولة كافور الحسامي طواشي حسام الدين ابن لاجين ولا تزال أطلالها باقية.

العِزِّية البرانية: بالشرف الأعلى شمالي ميدان القصر، مقابل معمل الكهرباء إنشاء عز الدين استادار الملك المعظم وصاحب صرخد. وما تزال تربته بها قائمة.

العَلَمِيَة: شرقي الصالحية وغربي الميطورية، إنشاء علم الدين سنجر المعظمي سنة ٦٢٨.

الفَرُّخشاهية: بالشرف الأعلى، لصيق الأمجدية، وشمالي حديقة الأمة وتطل عليها. أنشأتها خطلجة خاتون والدة عز الدين فرخشاه، وزوجة شاهنشاه سنة ٥٨٧.

القلانسية: المشهورة بالخانقاه وغربي العمرية مرّ ذكرها في دور الحديث.

المرشدية: على نهر يزيد بالصالحية جوار دار الحديث الأشرفية.

إنشاء خديجة خاتون بنت الملك المعظم سنة ٦٥٦ داخلها متهدم ومجموعها مختلس.

المعظمية: بسفح قاسيون الغربي جوار المدرسة العزيزية أُنشئت سنة ٦٢١ نسبة إلى الملك المعظم شرف الدين عيسى بن العادل وهي الآن مدفن.

الماردانية: على ضفة نهر ثورى لصيق الجسر الأبيض أنشأتها عزيزة الدين اخشا خاتون. وهي جامع عامر اتخذ منه بنو المؤيد مدفنًا لهم.

المقدمية البرانية: تجاه الركنية بالسفح شرقي الصالحية إنشاء شمس الدين بن المقدم.

المنجكية: وهي قبلي مقبرة الصوفية وغربيها، وفي الدارس إنها بالخلخال، ويدخل الخلخال في الثكنة الحميدية (الجامعة السورية) إنشاء سيف الدين منجك من مماليك الناصر محمد بن قلاوون أسست سنة ٧٧٦.

الميطورية: شرقي جبل الصالحية في حي الأكراد وبتعريف آخر بين الصالحية والقابون وقفتها فاطمة خاتون بنت السلار سنة ٦٢٩ خربت.

اليغمورية: بالصالحية إنشاء جمال الدين بن يغمور الباروقي نائب السلطان الصالح أيوب بالشام. اختلست.

٥) مدارس الحنابلة:

وكان فيها ست مدارس للحنابلة:

الجاموسية: غربي العقيبة خارج دمشق ابتلعها وأوقافها المتولون عليها.

الصاحبة: بالسفح شرقي الصالحية إنشاء ربيعة خاتون بنت نجم الدين أيوب أخت صلاح الدين وست الشام دفنت في فنائها وجعلت مدرسة للذكور.

الضيائية المحمدية: شرقي الجامع المظفري بجبل قاسيون إنشاء ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي سنة ٦٢٠ كان علامة عصره، درَّس بها أولًا ولا يعرف عنها شيء.

الضيائية المحاسنية: بسفح قاسيون شرقي الجامع المظفري وأمام جامع الحنابلة أنشأها ضياء الدين محاسن وهي في حكم الداثر.

العمرية الشيخية: وسط دير الحنابلة بسفح الجبل أنشأها أبو عمر بن أحمد ابن قدامة سنة ٥٥٠ وأحمد المذكور هو الذي نسبت الصالحية إليه لنزوله بمسجد أبي صالح بظاهر باب شرقي. وفي تاريخ الصالحية أنها أكبر المدارس بدمشق والصالحية، وكان فيها خزانة كتب ضمت بقاياها إلى مخطوطات دار الكتب الظاهرية ورُممت قليلًا ولكنها لم تعد كما كانت.

العالمة: مدرسة للحنابلة ودار حديث شرقي الرباط الناصري تحت جامع الأفرم غربي سفح قاسيون وقفتها الشيخة الصالحة العالمة أُمَّةُ اللطيف بنت الناصح الحنبلي سنة ٦٣٠.

ومن المدارس الحديثة التي تعد من الغوطة:

النقشبندية البرانية: في سويقة صاروجا بناها الشيخ مراد المرادي وهي الآن تكية ومنزل للبخاريين.

الحافظية: بصالحية دمشق القديمة درس بها حمزة بن محمد نقيب الشام المتوفي سنة ١٠٦٧ وهي بطريق عين الكرش.

ومن مدارس الطب:

اللبودية: إنشاء نجم الدين يحيى بن اللبودي المتوفى سنة (٦٧٠) ودفن في تربته بالقرب من تربة الحميريين وجعل تربته دار طب وهندسة وهي داثرة، واسم البستان بستان اللبودي (البودي) شرقي بستان الشموليات من أرض باب السريجة.

هذه مدارس الغوطة وهناك رباطات وخوانق وزوايا للصوفية منها:

الإسكافية: بجبل قاسيون إنشاء علي بن عبد الرحمن بن عبد الوهاب ابن الإسكاف (٦٧) كان قد عاهد الله تعالى مهما كسب أن يتصدق بثلثه، وقد وقف على هذا الرباط وقفًا كبيرًا وشرط أن يقيم فيه عشرة شيوخ، عُمر كل شيخ منهم فوق الخمسين، ولكل واحد في الشهر عشرة دراهم (قاله في الشذرات) لا يعلم محلها.

الباسطية: كانت بالجسر الأبيض غربي الأسعردية. شمالي العزية إنشاء عبد الباسط بن خليل ناظر الجيوش بعد الثمانمئة وهي خراب.

الحسامية الشبلية: شمالي الشبلية البرانية عند جسر كحيل منسوبة لأم حسام الدين عمر بن لاجين (داثرة).

الخاتونية: ظاهر باب النصر الذي كان معروفًا بباب دار السعادة أول الشرف القبلي على نهر باناس منسوبة إلى خاتون بنت معين الدين زوجة نور الدين محمود بن زنكي.

الشبلية: إنشاء شبل الدولة كافور المعظمي بإزاء الشبلية البرانية على نهر ثورى بسفح قاسيون.

خانقاه الطاحون(١): خارج البلد منسوبة لنور الدين (دثرت).

---

(١) الخوانق جمع الخانقاه تعريب خانكاه، والخانقاه بقعة يسكنها أهل الصلاح والخير والصوفية حدثت في الإسلام ـ كما قال المقريزي ـ في حدود الأربعمئة.

الطواويسية: منسوب للملك دقاق أو لابنه وهي المشهورة بجانب الكججانية والطريق الآخذ إلى المرجة والصالحية قامت مقامها سينما روكسي [سينما الأهرام الآن (المراجع)].

العزية: بالجسر الأبيض على نهر ثورى بالصالحية قبلي الباسطية وغربي الماردانية ومدرسة إبراهيم الأسعردي إنشاء عز الدين ايدمر الظاهري (٦٩٠).

الكججانية: بالشرف الأعلى بين الطواويسية والعزية أمام إدارة الكهرباء والتراموای إنشاء إبراهيم الكججاني لم يبق لها أثر.

المجاهدية: إنشاء مجاهد الدين إبراهيم على الشرف القبلي (٦٥٦) لا يعرف مكانها.

الناصرية: إنشاء صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز بجبل قاسيون على نهر يزيد تقدم ذكرها، صارت حاكورة صبار.

اليونسية: في أول الشرف الأعلى الشمالي شرقي الخانقاه الطواويسية إنشاء الأمير الشرقي يونس (٧٤٨) وتسمى بالطاووسية خطأ.

ومن رباطاتها أي تكاياها:

رباط التكريتي: بالقرب من الرباط الناصري بقاسيون إنشاء محمد بن علي بن سويد التكريتي التاجر المثري سنة ٦٧٠ (غير معروف).

رباط الشيخ محيي الدين بن عربي: بناه على قبره السلطان سليم الأول العثماني وجعله جامعًا وتكية لإطعام الفقراء (٩٢٢) وهو باقٍ عامر.

رباط الفقاعي: من رباطات السفح سفح قاسيون.

رباط المزة: كانت فاطمة بنت أحمد تسكن بالمزة وهي شيخة رباط هناك.

ومن زواياها:

الأرموية: بالسفح إنشاء عبد الله بن يونس الأرموي (٦٣١).

الأرموية الشرفية: بالسفح إنشاء شرف الدين بن عثمان الرملي.

الحريرية: بالشرف القبلي لعلي الحريري (٦٣٠).

الدينورية: بالسفح إنشاء عمر بن عبد الملك الدينوري (٦٢٩).

الدينورية الشيخية: بالسفح أيضًا إنشاء أبي بكر الدينوري باني الزاوية بالصالحية.

السيوفية: بالسفح عند نهر يزيد غربي دار الحديث الناصرية والعالمة إنشاء السيوفي نجم الدين بن عيسى بن شاه أرمن الرومي.

الداودية: بالسفح أيضًا تحت كهف جبرائيل إنشاء زين الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن داود.

العمادية المقدسية: عند كهف جبرائيل بالسفح إنشاء أحمد بن عماد الدين المقدسي (٦٨٨).

الغسولية: بالسفح أيضًا إنشاء أبي عبد الله محمد بن أبي الزهر الغسولي.

الفقاعية: بالسفح أيضًا إنشاء يوسف الفقاعي.

الفرنثية: بالسفح لصاحبها علي الفرنثي.

القوامية البالسية: غربي قاسيون والزاوية السيوفية ودار الحديث الناصرية على نهر يزيد لصاحبها أبي بكر بن قوام البالسي.

اليونسية: بالشرف الشمالي غربي الوراقة والعزية البرانية تنسب ليونس بن يوسف القنيي ٦١٩.

زاوية خضر العدوي: في الربوة بنى له الظاهر بيبرس هذه الزاوية وغيرها وكان يعتقد فيه.

دثر أكثر هذه الزوايا والتكايا ولم يبق اسمها إلا في كتب الخطط. ومن أهم ما قام في العصر العثماني من الزوايا أو التكايا تكية السلطان سليمان في المرج الأخضر، وإلى جانبها المدرسة السليمانية مدرسة السلطان سليمان القانوني، والتكية لا تزال عامرة وأخذت منها الجامعة السورية قطعًا كبيرة

وأصبحت مدفنًا لملوك بني عثمان إذا هلك في العهد الأخير أحدهم في بلد يحمل منه فيدفن في تكية جدهم، أما المدرسة فهي على وشك الانهيار.

ومن جوامعها: كانت الجوامع كما ظهر من بعض النصوص أنيقة البناء والفرش أكثر من اليوم والأعيان يتعهدونها ويرممونها، فجامع جسرين بني في أيام نور الدين، وعَمَّر الوزير بن شكر جامع المزة وجامع حرستا. وأكبر الجوامع في أيامنا جوامع القرى الأمهات كعربيل ودومة وداريا. وأجلُّ الجوامع فَرْشًا جامع راوية (قبر الست) وكان ذلك بفضل زواره من أحباب آل البيت من الإيرانيين وغيرهم. والست امرأة من آل البيت سميت بهذا الاسم ولم يحفظ نسبها. وكثيرًا ما كان أهل الخير ينشئون مساجد صغيرة منها ما يجعلونه مقبرة لهم كما فعل ابن عنين الشاعر الوزير (٦٣٠) فإنه أنشأ بأرض المزة مسجدًا ودفن فيه. وكان في المزة عدة مساجد وكذلك في النيرب والسهم الأعلى والربوة والصالحية ومنها مساجد جوامع يسمونها بالعمري أي من عهد عمر. ومن القرى، لعهدنا، ما خلا من مسجد، مثل دير بخدل والخيارة وبيت قوفا، وكانت ذات مساجد. وغالب مساجد الصالحية للحنابلة ومساجد دمشق للشافعية والحنفية وبعضها للحنابلة والمالكية.

الفصل السادس عشر

مدنية الغوطة

يمكن أن نعدَّ من آثار المدنية في الغوطة في القرون الأُولى المرصد الذي أنشأه أمير المؤمنين المأمون في جبل قاسيون لرصد الكواكب، وذلك سنة خمس عشرة وست عشرة وسبع عشرة، وبَطَلَ الأمر بموت المأمون في شهور سنة ثماني عشرة ومئتين. وبنى ألوغ بك التتري في دمشق مرصدًا لرصد الأجرام السماوية والأحداث الفلكية منذ نحو ستة قرون. ويعد ذلك في باب المدنية.

ولنا أن نعد في مدنيتها الأولى حفر أمير المؤمنين يزيد بن معاوية نهر يزيد فنسب إليه وقيل إن يزيد بن أبي سفيان عم يزيد بن معاوية هو الذي حفره. وفي سنة ١١٥ أمر هشام بن عبد الملك أمير المؤمنين القاسم بن زياد بحيز أنهار دمشق وممن حضره محمد بن يزيد من رجال عبد الملك بن مروان.

ومن مظاهر المدنية أيضًا تلك القناة التي جرها أمير المؤمنين المأمون من عين منين إلى معسكره بدير مران في سفح قاسيون، وتلك القبة التي شيدها في الجبل وصيّرها مرقبًا يوقد في أعلاها النار لكي ينظر إلى ما في عسكره، فإذا جن عليه الليل كان ضوءُها إلى ثنية العقاب[1] وإلى جبل الثلج، والمسافة

(١) ثنية العقاب هي الجبل الهرمي المطل على الغوطة والمرج يقال لها الثنايا لعهدنا، وكان يقال =

بين منين وجبل قاسيون لا تقل عن ساعتين للراكب يومئذ، ودامت هذه المراقب أو المناور إلى عهد قريب «وكانت تعرف بها اختلاف حالات رؤية العدو والمخبر به باختلاف حالاتها تارة في العدو وتارة في غير ذلك» وما هو ماثل في قمة قاسيون من قبة النصر أو النسر وقبة السيار هو على الأغلب مناور نار متصلة من أطراف دمشق. وكانت ترفع النار في القريتين فترى في العطنة، وترفع فيها فترى في ثنية العقاب، وترفع فيها فترى بمِئْذنة العروس، وترفع فيها لما حولها إنذارًا للرعايا وضَمًّا للأطراف، وترفع حول دمشق بالجبل المطل على برزة فترى بالمانع.

تبدلت مَعالم الغوطة مرات، ومازال القوم كلما حفروا في الحقول البعيدة عن مراكز القرى يعثرون على دمن تدل على عمران ضخم وعلى ثروة وحضارة، وربما كان بناؤهم بالحجر الصلب على بعد المقالع، ومعظم بنيانها الآن باللبن ويندر فيها البناء بالحجر. روى البدري أنه كان في كل شرف من الشرفين الأعلى والأدنى غربي دمشق عدة من المدارس والمساجد ولكل واحد ما يكفيه من الأوقاف، استولت عليها أيدي المتشبهين بالفقهاء فأظهروا فيها أنواع المفاسد. قال النواجي:

ألا إن وادي الشام أصبح آية … محاسنه ما بين أهل النهى تُتلى
وإن شَرُفَتْ بالنيل مِصرُ فلم تزل … دمشقُ لها بالغوطة الشرف الأعلى

وفي الشرف الأعلى قامت في أيامنا مدرسة تجهيز للذكور، وهي من المباني المحدثة البديعة، وبأسفله قامت حديقة الأمة والمشتل الزراعي، وفي الشرف الأدنى أقيمت الثكنة الحميدية والجامعة السورية ودار التوليد

= لها ثنية العقاب وقال المؤرخون إن خالد بن الوليد لما جاء من العراق مددًا لأهل الشام ركز رايته واسمها العقاب في رأس الثنية وحارب بني غسان في الغوطة يوم فصحهم فاستولى عليها. ومن جملة ما سميت به أعلام رسول الله «العقاب» وكانت هذه الراية هي التي رفعت في أعلى الثنية. وجبل الثلج هو جبل الشيخ.

والمستشفى الوطني وبأسفله قامت دار الآثار والتكية السليمانية والمدرسة السليمانية.

وذكر ابن عبد الهادي من المحاسن محلات الشرفين المطلين على الميدان الأخضر الذي يطلق عليه لعهدنا مرج الحشيش، وكان عامرًا كله وفيه خطب ومدارس ودور الأمراء وتدق نوباتهم كل ليلة، وفيه حوانيت وخانات ويوصل منه إلى النيرب ثم منه إلى الدهشة ومنها إلى الربوة. قال وكان جميع ما تقدم في تاريخ السبعمئة عامرًا آهلًا وتعدي عليه في عصر الثمانمئة وبطلت منه الخطب وإلى الآن. قال وتبدلت بقية الأماكن من الربوة إلى السهم والنيرب والشبلية ومحلة الطاحون الشنان ومحلة الميطور وقصر اللبان والشرفين بعد الأماكن بالجنان.

وفي الغوطة من آثار المدنية كيلومترات قليلة من الخطوط الحديدية تمر من الربوة إلى دمشق ومن دمشق إلى داريا وقد خلت سائر جهاتها من سكة حديدية، وفيها خط ترام كهربائي يربط دمشق بدومة وطوله أربعة عشر كيلومترًا يمر ببساتين العنابة وأرض جوبر وزملكا وعربيل وحرستا (حرستا الزيتون قديمًا وحرستا البصل حديثًا) وإذا امتد هذا الخط الكهربائي فوصل دومة بدمشق مارًا بأمهات قرى الغوطة الوسطى والجنوبية مثل حمورية وسقبا وكفر بطنا وجسرين والحديثة وزبدين والمنيحة وجرمانا وعقرباء ويلدا وببيلا والقدم وكفرسوسية والمزة، ربط الغوطتين القبلية بالشمالية.

وإذا تعلقت الهمم بتمديد قساطل ماء عين الفيجة إلى القرى كافة ـ وأكثر القوم يشربون إلى اليوم من آبار لهم ترشح من الأنهار الملوثة ـ تصبح قرى الغوطة محيطة بدمشق إحاطة الهالة بالقمر، وتغدو هذه المزارع والقريّات كأنها بعض أحياء الفيحاء، وتنقلب بعض تلك الدساكر مصايف ومشاتي، وكلما زاد عدد الجادات والطرق فيها وبنيت الفنادق والمقاهي تغدو الغوطة قبلة المتنزهين، وكلما كثرت البيوت والقصور استحالت الغوطة من أرض

زراعية إلى منازل تتسع بها دمشق حتى تصبح عاصمة كبرى كالقاهرة. ويتبين من الأحياء التي اقتطعت من أرض الصالحية في الشمال الغربي من العاصمة أنها آضت قصورًا ومنازل وضمت مؤخرًا قرى المزة وكفرسوسية والقدم إلى دمشق فعدت من أحيائها. وإذا زاد العمران يصدق على الغوطة ما ادعاه بعض المفسرين في تفسير قوله تعالى: ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ من أن ذات العماد هي دمشق حاضرة الغوطة العظمى، وكان فيها على ما قيل أربعمئة ألف عمود. وفي قوله تعالى: ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ من أنها أيضًا مدينة دمشق بأرض يقال لها الغوطة.

ومن أعظم المصانع التي قامت في أرض الغوطة خلال القرون الوسطى المستشفى القيمري في الصالحية بجوار جامع محيي الدين بن عربي نسبة لمنشئه أبي الحسن بن أبي الفوارس القيمري (٦٥٣) رممته إدارة الأوقاف في العهد الأخير. وقد أكل لصوص الأوقاف ما حبسه عليه القيمري من القرى والبساتين والحوانيت والطواحين. وفي صك وقفه صورة مجسمة من مدنية تلك القصور (راجع خطط الشام من تأليفنا ج٦ ص١٦٣).

وفي العهد الأخير قام بهمم أفراد من خيار التجار في أرض المزة من الغرب قرب المزة والربوة مستشفى عظيم سَمَّوه مستشفى المواساة يضم ستمئة سرير. وقام قبله مستشفى السل في سفح قاسيون بعد حي الأكراد من الشمال. وأنشأت وزارة الصحة في قصير دومة مستشفى المجاذيب والمجذّمين، كما أنشئ مأوى العجزة في شارع بغداد، وفي صدر الباز في طريق الربوة قام معمل الجوخ. وأنشئ في طريق دومة في مزرعة المرشدية معمل عظيم لصنع الثياب يعمل فيه أكثر من ألف عامل، وستقام إلى جانبه مدينة للعمال. وفي طريق دومة أيضًا قام معمل الزيوت والصابون، وبجانب مفرق القابون أُنشئ معمل شركة المغازل والمناسج وغيرها من معامل النسيج. وفي تلك الناحية شيد معمل لصنع الأقفال والمفاتيح، وفي أرض

جوبر بني معمل الجلود وعلى مقربة منه مصنع للجوخ أيضًا. وفي طريق شارع بغداد قام معمل الأثمار والبقول المحفوظة (كونسروا)، وفي جسر ثورى في القصاع قام معمل الكحول، وفي بلاس من الجنوب أُنشئ مصنع الخزف والزجاج. وفي طريق الربوة معمل لفائف التدخين، وقرب الباب الشرقي معمل رب السوس، وفي أرض الميدان معمل الثقاب (الكبريت) ومعمل مثله في أرض القابون إلى ما شاكل ذلك من المعامل والمصانع ودور المرضى والدباغات والمطاحن ومعامل إصلاح السيارات والمركبات.

وفي أرض المزة قرب داريا قام مطار المزة وفيه معامل اللاسلكي وميكانيك الطيران، وفي جبل المزة القلاع والحصون الجديدة. وفي أرض باب السريجة معمل التبريد، وفي آخر الشرف الأعلى إلى الشرق معامل الكهرباء، وستنتقل بإدارتها ومعاملها إلى محلها الجديد في طريق دومة. وفي أرض القصاع أو العنابة قام منذ القرن الماضي المستشفى الإنكليزي وأمامه المستشفى الإفرنسي، وفي محطة القدم بالميدان معامل السكة الحديدية الحجازية، وفي القنوات المحطة الكبرى البديعة لهذه السكة العظيمة. ولكل معمل من هذه المعامل حظ جزيل لأهل الغوطة يعملون فيها بأيديهم كما يعمل أهل دمشق بعقولهم وأموالهم، والمصلحة مشتركة والفائدة عامة.

كان من مظاهر مدنية الأمس مغالاة القوم في إنشاء الجوامع والمدارس والتكايا، وتقوم مدنية اليوم بالمعامل والمستشفيات والمصانع وكل ما يحفظ الثروة ويجلب الرخاء لطبقات الشعب. وما كان في القرن الماضي كيان للعمال، وأصبحنا بالمدنية الحديثة نحسب لهم حسابًا ونبذل الجهد في إرضائهم، خصوصًا وقد سرى إلى بعض عمال هذه الديار شيء من مبادئ الاشتراكية والشيوعية، ودعوى حماية حقوق الفقراء وتحسين مستوى المعيشة. تعلمنا ذلك من أهل الغرب ونسجنا على منوالهم في مدنيتهم. ولا يمضي علينا ربع قرن حتى تغدو الغوطة وعاصمتها جنة أرضية حقًّا، فيها

كل ما صنعه الصانع تعالى، وما تم على أيدي الخلق من إبداع وإيجاد فتغدو غُرَّة شادخة بين الأقطار.

وكلما استنارت العقول وأثرت المدنية الحديثة أثرها وكثرت الثروة في الأيدي، تنشأ في هذه الكورة من أعمال الحضارة مصانع زاهية تناسب مبلغ رخائها، على نحو ما رأينا تلك القصور العظيمة التي شيدت في ضواحي دمشق حتى كادت الأرض القريبة من العاصمة تستغرقها البيوت والمعامل ودور المرضى، وربما بلغ عدد القصور المحدثة نحو خمسة آلاف قصر. وقد دخلت دمشق في طور المدن الحديثة بما بني فيها من مرافق التمدن، ومنها هذه الجادات العظمى كشارع بغداد وشارع فاروق وشارع فؤاد وشارع بريطانيا وشارع النصر وغير ذلك. ومن أهم الجادات النطاق الذي أحيطت به العاصمة الكبرى من جهاتها الأربع وستقوم عليه مع الزمن أجمل الجواسق والقصور وذلك في البرزخ بين العاصمة وغوطتها.

هذا وينقص الغوطة كثير من أسباب المدنية، وقد أتت عليها قرون كانت الحكومة تأخذ خيراتها ولا تنفق عليها خمسة في المئة مما تأخذ، فتأخرت معارفها وتعطلت طرقها وجسورها ومدارسها وجوامعها، وكثرت مستنقعاتها بقلة مجاري صرف المياه، وليس فيها إلى هذا العهد غير بضع طرق معبدة في الجملة. وكانت طرقها القديمة عريضة فاستصفى أكثرها بعض من يستحلون كل شيء في جمع ثرواتهم، وباعت الحكومة أو وهبت الفضلات من جانبي الطرق فزادت ضيقًا وكانت من قبل عريضة بعرض أربعين وخمسين مترًا.

الفصل السابع عشر

الأخلاق والعادات

تبدلت أخلاق أهل الغوطة وعاداتهم في هذا القرن عن الذي قبله، فسرت إليهم عدوى الترقي الذي شمل فروع الحياة، ونفعهم تنقلهم في البلاد. وكان الغوطي لبدًا لا يفارق أرضه إلا في الخدمة العسكرية عند العثمانيين. والغوطيون أقل أهل الأقاليم حُبًّا للهجرة، وتعلموا بما يقرؤونه أو يقرأ عليهم في الصحف، وما يستمعون إليه من أحاديث المذياع، واستعاضوا من حيث يشعرون أو لا يشعرون، عن بعض عاداتهم القديمة بعادات يقبلها العقل وتقرب من أساليب المتحضرين.

تطور الشبان فأصبح بعضهم يلذه الاشتغال في أشق الأعمال لتحصيل قوته، ولا يسفّ على الأغلب لإطالة يده في أخذ ما ليس له. ومتى شح الرزق في الغوطة يركبون إلى العاصمة أو القاصية في طلبه، ويتخلون عن الزراعة ويذهبون إلى الصناعة والتجارة. أي إن ابن هذا الجيل أخذ يدرك معنى عزة النفس أكثر من أبناء الجيل السابق، ويحب الكسب من طرقه المحللة، وربما تجلى الشمم في الفقير أكثر من المتوسط والغني.

كان من تطبيق القوانين المدنية على من يرتكب الجرائم أو الجنح منذ إنشاء المحاكم النظامية أواخر القرن الماضي، أن نشأ جيل من أهل الغوطتين يكره السطو والاعتداء. وأدرك النابهون أنه من الصعب أن يُحترم إلا من يجدُّ

ويجتهد ويدخر ويقتصد، والتوفيق من الله. وتبدلت عقلية بعض ناشئتهم فعرفوا معنى الاجتماع، فألفوا جمعيات خيرية وتعاونية، منها المستقل ومنها ما جعل من فروع جمعيات دمشق، وتكثر هذه الجمعيات كلما كثر طلاب المدارس الثانوية من أبناء الغوطة.

والغوطيون كسائر الشعوب التي تملكتها التربية الاتكالية قرونًا، ينحون أبدًا باللائمة على كلِّ حكومة قامت، ويجهرون بأنها العلّة في تقهقرهم، زاعمين أنها لو أرادت تحسين حالتهم ما أعجزتها الحيلة وبيدها القوة والمال. وبعد أن تفتحت أمام كل إنسان أبواب المخافر والدواوين والمحاكم والمجالس خُوّل الغوطي الحق ليدفع عدوان بعض أرباب النفوذ، وكان من قبل لا يجرؤ أن يكلمهم، فضلًا عن أن يقاضيهم ويطلب منهم حقًّا. والفلاح يطمع فيمن يتخيل أن ليس له عند السلطان كلمة مسموعة.

ولما كان أكثر أرض الغوطة ملك أربابه تنتقل من طريق الإرث من الآباء والأجداد ومنها قسم لأهل دمشق، اعتقد الغوطيون أن أرباب الضياع يجورون عليهم ويقولون «الفلاحون غُبْر الوجوه إذا لم يُظلموا ظَلَموا». وفي الواقع أن بعض أرباب الأملاك كانوا يضغطون على الفلاح بعض الضغط ليصلوا إلى حقّهم ولو بالنزول عن شيءٍ منه، وأرباب الأملاك يشهدون فلاحيهم وعَمَلَتَهُم يسرقون رزقهم، ذلك لأن السارق يتعلم السرقة من أبيه وأمه منذ الصغر.

والفلاح يؤلمه ما يرى من ترفّع كبار المزارعين عنه، وهم يتعمدون هذا العزوف لئلا يطمع الفلاح فيهم ويتعدى طوره معهم. والمقصود بهذا الكلام الفلاح الذي يعمل بالمياومة أو المشاهرة أو المسانهة في أرض أرباب الحوانيت وكبار المزارعين.

كان بعض أهل الفلح إذا خبثت أنفسهم بادروا إلى الانتقام من معلميهم فيرتكبون ما يعود بالضرر على صاحبهم فَبَطَلَ أكثر هذا، لأن أرباب الاعتداء أدركوا مغبَّة فعلهم، وأنه لا ينجيهم إلا القيام بما فيه كسب عطف سادتهم،

وإلا فالمحاكم تعاقبهم والسجون ترحب بهم. ثم إن من عرف بالسرقة والتعدي يُستغنى عنه وهو لا يجد شغلًا مطردًا في الأكثر إلا في أرض من يحاول أن يعتدي عليهم.

كان الغوطي في القرن الماضي بعيدًا عن الغش في لبنه وقشدته وزيته ودبسه، يعتقد بأنه تعالى يعاقبه على ذلك في هذه الدار بفجيعته بابنه أو بهلاك بقرته أو عنزته أو نعجته، فأصبح في هذا القرن يغش كل ما يمكن غشه من حاصلاته، لا يبالي جزاء الدنيا ولا جزاء يوم الدين، غدا عبد المادة ويقول إن الله غفور رحيم.

ولطالما همس بعض فقراء الفلاحين بينهم أن أرباب الأملاك الكبيرة ما ملكوا أرضهم بطرق مشروعة، وأنهم غصبوهم إياها واغتنوا بفقرهم، وأدركوا بعد طول التجارب أن المالكين ابتاعوا أرضهم بأموالهم وعمروها بكدهم وحَمَوْها بنفوذهم، ولولاهم ما وجدت بعض اليد العاملة رزقًا، ولولا بعد نظرهم لبارت بعض المزارع وأَكْدَتِ الغلة، وأبطأ دخول طرق جديدة في استثمار الأرض والأشجار، ذلك أن صغار المالكين أو صغار الفلاحين كانوا من الضعف والجهل بحيث لا يعرفون كيف ينفعون وينتفعون. والزراعة محتاجة في كل حينٍ إلى من يقوم عليها ويقوِّيها ويمدها، وعند الملاك من الأساليب الناجعة لذلك ما ليس عند صعاليك الفلاحين بعضه.

ومن الجهل أن كان الفلاح أبدًا إلى جانب ابن حيّه إذا شجر خلاف بينه وبين الغريب، فينضم إلى جملته ولو كان مبطلًا، على حين يعتقد أن من ينكر الشهادة آثم قلبه، أي إن الفلاح يخجل من مُواطِنه لأن العين تقع على العين كل ساعة، فيبيع من أجل جاره ومساكنه دينَه لدنياه، أما الذي ضاع حقه بتعمد الفلاح إنكار الشهادة فإن هذا متى احتاجه يتضرع إليه ويقبل يده ورجله.

ويلتف الغوطيون في العادة حول من يحميهم بالحق والباطل من

مواطنيهم متى ثبت لهم إخلاصه في خدمتهم، وأنه على استعداد أبدًا لإنفاذ كل ما يلقى إليه من حقير أمرهم وجليله، وينضوون إلى من يطعمهم ولا تشحُّ يده عليهم. وللجهل الفاشي بينهم تجد أفكارهم لا ثبات لها ويغالون الخضوع للأمر الواقع، والذكاء قليل فيهم، والغباوة ظاهرة في السواد الأعظم وهم كسائر العوام إذا أملوا منفعة من شخص كان على شيء من الوجاهة يخدمونه ويتقربون إليه حتى إذا ظفروا بغرضهم يشيحون بوجوههم عنه. وهذا خلق متأصل في أكثر الخلق.

ويتمنى الغوطيون في العهد الدستوري أن يكون نوابهم من رجالهم الأكفياء ليطالبوا في المجلس بما ينشلهم ويرقى بهم. وفي الحق أن من أبنائهم من يليق أن يجلس على دكات مجلس النواب، إلا أن الغوطي يصعب عليه بذل وقته وماله في الاستعداد لأخذ الأسباب للنجاح في النيابة عن أمته. ذلك لأن من سكان العاصمة حتى من متوسطي القرائح من هم أقدر على الاضطلاع بهذا الشأن لأنهم أمهر بما تستلزمه النيابة من سعي وبذل، وفناء في كبير، أو الالتحاق بحزب قوي، أو حظوة عند الناخبين، والغوطي إذا أُكره على انتخاب من لا يعرف أو من كان بالأمس لا يرتضيه لا يلبث أن يتقرب ممن كتب له الظهور.

كان الغوطيون إلى عهد قريب يغالون في الظهور بالكرم في أتراحهم وأفراحهم وضيافاتهم ومآدبهم، فبَعُدُوا لعهدنا عن الإسراف قليلًا، اضطرهم إلى ذلك تبدل الحالة الاقتصادية، وأخذوا يتأففون من المتكلفين ويَنْعَوْن على المبذرين، وإلى ذلك ينكرون أيضًا على من يشحُّ على نفسه وعياله ويمدحون من لا يحتاج الناس ولا يعتدي على أحد.

والغوطي من الجنس الذي يجوع ويصبر ويعرى ولا يتذمر، ولا أثر للتسول في الغوطة، ومن عجز بالفعل عن الكسب تكفل به أهل قريته وتصدقوا عليه سِرًّا وجهرًا. واعتاد ابن الغوطة أن يجود على من يقصده أيام

المواسم فيعطيه من حبوبه وثماره، وطائفة النَّوَر (الغجر) تظفر بعطفه كثيرًا لأنها بائسة حقًّا، لا تملك أرضًا ولا عقارًا، وليس لها صناعة تكفيها العوز، وهي أبدًا متنقلة متشردة. ولما جاء عشرات الألوف من أهل فلسطين في الفتنة الصهيونية الأخيرة لقوا من إخوانهم أبناء الغوطة كل عطف ومعونة.

جِدُّ الغوطي أكثر من هزله، وشغله أطول من تبطله، يهون عليه التعب في تعهد حاصلاته وجمعها وبيعها، ويرضيه كل ثوب يلبسه في حقله مهما كان باليًا وسخًا، لأنه مَدْرَجَة إلى اكتسائه الثياب الطريفة في ساعات راحته. ويفرح بكل شجرة يغرسها في الحد بينه وبين جاره، تعرش أغصانها على غير أرضه وهو يقطف ثمرتها. ويعد بعضهم من المهارة تجاوزَ حَدِّ أرضه ولو ثلمًا، أو اقتطاع دقائق من العدّان يضيفها إلى حقه من ماء شريكه أو جاره أيام عزة المياه في الصيف. ويفوق الغوطي معظم الفلاحين في الأقاليم الأخرى بجهده وحرصه وملازمته أرضه طول السنة لا يغادرها إلا أيامًا قلائل في الجُمع والأعياد الدينية والمدنية.

ويقلّ تعدد الزوجات في الغوطة على الصورة الماثلة في بعض الكور الزراعية المتاخمة كالمرج وحوران، كما يقل الطلاق والفراق، والطبيعة هي التي هدت الغوطي إلى السير على هذه الطريقة، وما كان ذلك منه بتأثير مؤثر من دين ولا موعظة من واعظ. ويغلب التدين على ابن الغوطة في الجملة ويأتي من جهة أُخرى أمورًا في معاملاته ما جاء الشرع إلا لمحاربتها.

وأهل الغوطة على الجملة يقيمون الصلوات في مساجدهم وجوامعهم جماعة، يحافظون عليها محافظتهم على صيام رمضان، ويحج بعض الفقراء والمتوسطين منهم ويقلُّ حج الأغنياء، ويخرجون زكاة أموالهم بصورة متقطعة لا اطراد فيها. وكلما بعدت المزارع عن أمهات القرى لا تحس فيها أثرًا يذكر للتدين، إذ تكون مجموعة سكانها من العَمَلَة المتنقلين لا المقيمين يشتغلون في أرض أرباب الأملاك، وهؤلاء لا يهمُّهم تعليم فلاحيهم دينَهم

ولا فتح مدارس يتعلمون فيها ما يخرجهم من الأمية. وتكثر إقامة الشعائر في القرى الآهلة بالسكان فقط، كما لا تجد الحمامات إلا في القرى التي يتجاوز أهلها المئات. ولا تجد لعهدنا في قرية زبدين وبالا والحديثة ودير بحدل والخيارة والمحمدية والافتريس وغيرها شيئًا يقال له نظافة أو ديانة، والسواد الأعظم في الغوطة لا يحسنون قراءة سور الصلاة ولا يعرفون من الإسلام إلا ما لا بال له. أما النساء فهناك الجهل المركب. والسبب في كل ذلك أن خطباء الغوطة وأئمتها يقلُّ فيهم من يحسن تأدية عمله على الوجه الأكمل. ووجوه القرى الذين ينصبون الخطيب والإمام هم من العامة، والعامة لا يعرفون من أمور الدين إلا ما علق بأذهانهم من بيئتهم وحيّهم فقط، ويرون أن الإمام الرخيص الأجرة أي الجاهل لا فرق بينه وبين الإمام الصالح لعمله.

سُفور النساء على أتمه في الحقول، أما في أزقة القرى وبيادرها وفي المدينة فالمرأة السافرة قد تحجب وجهها. وقد أخذ من يتشددن في الحجاب منذ الثورة السورية يحجبن وجوههن وكان أكثرهن من قبل سافرات، وهذا مما لا يعقل ولا يحمد، وفيه شيء من الرجعية والتشدد الذي لا يثمر.

ويقتدي الغوطيات بأخواتهن الدمشقيات في زينتهن وأزيائهن. ولا يزال لأمهات القرى أزياء وطنية خاصة تحافظ عليها. فلباس ابنة داريا غير لباس ابنة كفرسوسية والقابون. ولباس الدومانية غير لباس العربيلية. والعِرْض محفوظ إجمالًا في هذه الكورة، وتقع حوادث من الفحش فتُسْتر، وإذا انفضحت قد تحمل الغيرة بعض محارم الخارجة على قواعد العفة فيقتلونها خشية العار، فتحكم المحاكم على القاتل بعقوبات خفيفة لا تتجاوز الحبس بضعة أشهر وهم ما برحوا يستسهلون قتل النفس. ومن أجل هذا كان عيش الأرملة والعانس مريرًا، ولكثرة البنات في بعض القريّات يندر طلاب الزواج من الأرامل، وتختار طبقة الفلاحين العروس الذي يملك أبوها بعض الفدادين ليصيبها منها حصة بعد وفاته. وكانوا في القرن الماضي يبتعدون عن الزواج

من البنات اللائي يملك آباؤهن الأرض لينجوا من مغارم الدولة، وكانت تقع على عاتق أصحاب الأراضي خاصة. ومن المشهور عن أهل بيت سوا أنهم لا يزوجون بناتهم إلا لمن شهد له أهل القرية بأنه لص يعرف كيف يسرق حتى يتيّسر له أن يقوم بحاجات امرأته، والقوم هناك يتندرون في هذا الشرط يقصدون به النكتة فيما أرى.

يتزوج الشبان في الغالب في الثامنة عشرة إلى الخامسة والعشرين والبنات في الخامسة عشرة إلى العشرين. وإلى اليوم لا يزال أهل الغوطة يستعملون التكنية على عادة العرب، وقد تغلب على الرجل منهم كنيته على اسمه ويشتهر بها أكثر من اسمه واسم أسرته وحين بَطَلَت هذه العادة في المدن بطلت في الغوطة إلا قليلًا. وسُمّي صبيان الغوطة وبناتها بالأسماء الجديدة التي اعتاد الدمشقيون إطلاقها على بنيهم وبناتهم في العهد الحديث.

تُعنى الغوطية بنظافة بيتها والتأنق في أثاثه عنايتها بنفسها وأولادها وزوجها أكثر مما كانت تُعنى أمها وجدتها. وغدا أكثر الرجال والنساء يعرفون قدر الصحة ويراجعون الأطباء حال وقوعهم في مرض، ويعتقدون بتأثير الطب أزيد من اعتقادهم بفعل التعاويذ والرُّقى، وكانوا حكرة للدجالين قبل أربعين أو خمسين سنة. وللعناية بصحة الأولاد نزل عدد من يموت من الأطفال نزولًا ظاهرًا.

غدا الغوطي يطلب الماء الطاهر للشرب وكان في الأيام الغابرة لا يعاف الماء القذر يستقيه من الأنهار والجداول، وما كان يفهم معنى الجراثيم الضارة، وهو في هذه الأيام يتوقى العدوى ويتقي البعوض والذباب، ويدرك أن البعوض ينقل إليه الوبالة والحميات.

مهما بلغ الغوطي من رقة الحال يفرح إذا ولد له، ويعتقد كثرة النسل بركة لأن المولى متكفل برزق من يرزق من الأولاد، ويسرّه أن تلد له امرأته الذكور ليستخدمهم في سن مبكرة في الأعمال الزراعية. وكان قبل بضعة عقود من

الأعوام يشق عليه أن يذهب ابنه إلى الكُتَّاب لأنه يفضل أن يعاونه على شقاء الحياة منذ سن السادسة. والغوطية أيضًا ترغب في الاستكثار من الأولاد وإذا تأخر حملها تُهرع إلى القابلات تستوصفهن دواءً للحَبَل حتى لا يسودّ وجهها أمام قريباتها وجاراتها بسبب العقم أو تأخر الحمل.

وإذا عرفنا أن عدد من خرجن من الأمية في هؤلاء الغوطيات لا يعدو الخمسة في الألف على أكبر تقدير يثبت لنا تأخر المرأة عندهم. وربما كانت نسبة من يقرأ ويكتب من النساء نسبة واحد في العشرين من الرجال. ولولا أن الغوطية تعلمت بالعمل أشياء كثيرة تذوقت بها قليلًا من المدنية لكانت نسخة صحيحة من المرأة في القرون الوسطى.

ومن القرى اليوم ما يحلم بإمتاع قريته بماء الفيجة الذي يسقي دمشق وبعض ضاحيتها، وأن تمدد إلى قريته الكهرباء والترام لتتم لها أسباب الراحة كما تمت لابن دمشق، إلا أن بعض الأهلين يتلكؤن عن الدفع عند الاقتضاء حتى فيما فيه فائدة لهم، والمماطلة في أداء الدين طبيعية عند كثيرين، وقد يخفق في هذه الربوع من يقوم بمشروع نافع إذا كان من أهل حزب معين ـ لأن أهل القرى في العادة حزبان متعاديان أبدًا ـ فيمتنع أهل الحزب الآخر من الاشتراك بالمشروع نكاية بمن يخالفونهم، وإذا كانت هناك يد غالبة يخضع الفريقان عندئذٍ للقوة أو لصاحب النفوذ الذي يخشى بأسه.

يخف تخريف أهل الغوطة إذا كتبت لهم السلامة من يد صاحب طريقة مشعبذ، وأهل حرستا من أكثر الغوطيين اعتقادًا في الدجالين، مع أن منهم الأذكياء، ومتى اعتقد الغوطي صلاحَ من يحاول استتباعه يستجيب له ويستخذي أمامه ويعطيه كل ما يسأل. وقد جرت في هذه الأيام أمور منكرة في قرية عربيل كان فيها المتهم شيخ طريقة دأب على العبث بعفاف الأبكار من بنات مريديه وحكم عليه الحكم العادل، وعسى أن يكون فيها وقع عبرة

للمتحمسين للطرق يتعظون بما حدث حتى لا يسقطوا بعدها في حبائل المخرفين الممخرقين.

ومن جميل خرافات الغوطة أن من أذكيائهم من يخلع ثوب القداسة على بعض الأشجار التي يحاولون الإبقاء عليها ليجعلوا ثمرها طعمة لأبناء السبيل فينسبون الشجرة المراد حفظها لأحد الأولياء أو الصحابة أو المشايخ، وبذلك أنقذوا من فؤوس المحتطبين كثيرًا من أشجار الزيتون والجوز والتين والتوت. وتشبه سائر خرافاتهم ما عند عامة أهل العاصمة منها. ويمكن أن يقال إن الأساطير والأوهام قليلة بالقياس إلى الأصقاع الأخرى. ويقل في المتعلمين والمنوّرين منهم الاعتقاد بالمُغَيَّبات والجن والعين ويعتقدون برداءة الإنسان والحيوان.

هم عمليون يتخذون الأسباب فيما يعود على زروعهم وأشجارهم بالنماء ويؤمنون بأن سعة الرزق مناط تجويد العمل، ويدركون أن الله لا يجري المياه إلى حقولهم وحدائقهم إن لم يتعهدوا قنواتها ويكروا مجاريها وينقوا أدغالها ويرفعوا أوحالها ويحفظوها في جريتها من اعتداء المعتدين.

وعدل القول في الغوطيين أنهم مثال من شعب كان إلى عهد حديث منحطًا في معظم أحواله وهو يتقدم الآن إلى ساحة التمدن بخطى متزنة. وقد يكون بعض سكان قرى الغوطة أرقى بمدنيتهم من أهالي بعض أحياء جنوبي دمشق. ابن الغوطة يتخلق بأخلاق زمانه ببطء، وكذلك هو في نزع عاداته القديمة لا يعجل ولا يدهش ويتبع سنة النشوء والارتقاء.

وقد تنفرد قرية بشيء لا تشاركها فيها القرية المجاورة، فكما تختلف لهجة ابن دومة عن ابن داريا ولهجة عربيل عن كفرسوسية مثلًا، تختلف العادات والأخلاق فلا يصح الكلام عليها إلا على وجه التقريب، فقد رأينا ابن دومة تغلب عليه النكتة والتنادر، وابن حرستا سريع التصديق، وابن عربيل وجوبر تغلب عليهما التجارة، وابن برزة والقابون يحبب إليهما الطرب،

ويغلب الجِدُّ على ابن داريا، والإمساك على ابن حزة، والتلوُّن على ابن جسرين، والتعقل على ابن مسرابا، والحيلة على ابن سقبا والأناقة على ابن المنيحة والنظام على ابن كفر بطنا والتضامن على ابن جرمانا والكرم على ابن حمورية وببيلا ويلدا. وكل قرية تتهم جارتها أنواعًا من التهم لتقول بلسان الحال أنها أعرق في المدنية والمعرفة وحسن الأخلاق من جارتها. وسكان الغوطة يشتركون في معظم الأحداث السياسية إذا انبعثت من دمشق على ما عرف في العرب من النجدة والأريحية. ويصهر بعض الدمشقيين من أهل الطبقة الثالثة إلى الغوطيين ويتزوج بعض الغوطيات من سكان دمشق من أهل تلك الطبقة أيضًا.

بنينا هذا على ما شاهدناه وعرفناه من حال سكان الغوطة في السنين الطويلة.

الفصل الثامن عشر
عوامل الخراب

كانت الأوبئة والمجاعات والزلازل من أهم العوامل في خراب الغوطة، وأشد منها وأنكى جور الإنسان على الإنسان. وكان من أهم أدوات الدمار نحو ألف سنة قيس ويَمَن، وهم الذين دعوا بالعشران واحدها عشير، أحيوا في ربوع الشام سنة سيئة قضى عليها الإسلام، وهي التحزب بالعصبية فكان من تلاتلهم قتل الأنفس وخراب العامر، ولم ينج القطر من فتنهم الهوجاء إلا بعد أن أفنى القيسيون اليمانيين في وقعة عين دارة في لبنان سنة **١١٢٢**هـ - **١٧١١**م، ويومئذ سكنت نغمة قيس ويمن إلى يوم الناس هذا.

ونسب ابن عساكر الخراب إلى أمورٍ أخرى قال: إن ظاهر دمشق كان مساكن القبائل، وكان قرى متصلة وأبنية متقاربة، فخرب ذلك كله في الفتن والحروب والحصارات، وباد أهلوه وتمادى عليه الخراب، وقلّ موضعٌ حُفِر إلا وُجد فيه أثر العمارة من الجهات الأربع من البلد، وكان كل مكان معمورًا بالمساكن والسكان فباد وبادوا، فسبحان من لا يبيد ملكه.

هذا ما كان إلى القرن السادس وارتأى الأسدي في القرن الثامن أن سبب الخراب كان من انتشار الشرور بين قيس ويَمَن، والتسلط على الفلاحين بالظلم وطلب العاجل، فتشرد كثير من أهل الزرع والضرع، وتسلطت العربان

والعشران، فنهبت الأموال وقتلت الرجال، وجلا الفلاحون فصارت القرى دِمَنًا، يشهد لذلك أسماء القرى التي صارت مزارع وتسمى بالخراب الداثر.

وبعد هذه الحقبة من الزمن ألحت المصائب على هذه الكورة، واشتد ظلم المماليك ثم العثمانيين فاختل الأمن ورخصت قيم الأرواح في البر، وصار الناس يتحارسون لعجز الحكومات عن حمايتهم، فلا يسيرون في الحقول والمزارع إلا مجتمعين، وأصبح الحكم للصوص وقطاع السابلة والمتسلطين في القرى، يقتلون فلا يعاقبون وينهبون فلا يؤاخذون، وولاة الأمر لا يحركون لهم ساكنًا لئلا تسري عدواهم إلى غيرهم ويزيد الشرّ تفاقمًا.

وإذا حمل هذا الخراب على الفتن والحروب والحصارات وعلى صيال قيس ويمن، وإرهاق الفلاحين بالمظالم وطلب العاجل، وعلى المصادرات وأخْذِ الجندِ قوتَ الفلاحين، وعلى الحوطة على الأملاك أي حجزها لتجعل ملكًا للولاة والسلاطين، وإلى غير ذلك من العوامل، فلا يفوتنا أن نذكر من عوامل الخراب أيضًا عبثَ أهل البادية في القرى العامرة وغزوهم لها فرادى وجماعات كلما عنَّ لهم أن يستلبوا من رزق الفلاحين ما يَسُدُّون به فاقتهم. ومن العوامل أيضًا تعدي الحامية والدرك والشحنة على الفلاحين والمدنيين في العهد العثماني، فكانت الأرواح والأموال والأعراض خلال ثلاثمئة سنة نهبًا بأيدي رجالهم وأعوانهم الجَوَرة.

وإذا وقع أن استتب الأمن حقبة من الدهر بعض الشيء لا تلبث أطراف دمشق أن تعمر إلى مسافات بعيدة، فتزهو الغوطة وتكثر قصورها ومرافقها، وقلما كان يجري ذلك، لأنه من النادر أن يذوق القوم طعم الطمأنينة، والفاتحون والولاة والعمال ومن هم تحت أيديهم ممن ينفذون لهم سلطانهم يستضعفون الفلاحين ويتعمدون إذلالهم ويستبيحون أذاهم.

ولما انتشر الأمن قليلًا أواخر أيام العثمانيين، وانتظم في عهد الانتداب

وعهد الاستقلال، عمّ الرخاء أرباب الأملاك والفلاحين، فظهرت مظاهر السعة في الجهات الأربع من هذا الوادي. وكان العمران كالمد والجزر إذا أمن السكان امتدوا إلى أقصى حدود قراهم وعمروا مصايف لهم في حقولهم، وإذا خافوا العدوان انضم بعضهم إلى بعض وتخلّوا عن المزارع الصغيرة، ورحلوا عن الأرجاء البعيدة، وتكتلوا داخل السور وفي القرى الكبيرة التي يستطيع أهلها حماية أنفسهم وبيوتهم من اعتداء المعتدين ومن همجية أعراب البادية.

وقد قال أحد علماء القرن التاسع من أهل هذه الديار: كان العلم والجور غالبًا في المدن، والرزق والجهل على الأغلب كان في البر، فبعلم علماء المدن يسوق الله تعالى إليهم الرزق من البر، وبجهل جهال أهل البر يسوق إليهم الجور من المدن. وفي هذا الكلام مسحة من الحق وإن كان البر والمدن في الظلم سواء، والناس ما خرجوا في كل العصور عن ظالم ومظلوم.

وفي الأمر الأكثر إذا وقعت فتنة في دمشق لا تعتم الغوطة أن تصبح ساحة حرب، إذا لم تخرب القرى تخرب أراضيها، كالساعة الزمنية في اليد إذا اختل منها جانب تناول الخلل جوانبها وعطبت لا تسير إبرتها سيرًا منتظمًا. ففي خلاف عمرو بن سعيد الأشدق مع عبد الملك بن مروان سنة **٦٩** وفي وقعة مرج راهط بين مروان ابن الحكم وبعض الخوارج عليه قتل من أهل الشام مقتلة عظيمة وقتلت قيس مقتلة لم تقتل مثلها في موطن قط، فلا يعقل إلا أن تخرب بعض أرجاء الغوطة، خصوصًا وبعض المقاتلة ممن ينزلها ويعيش بفلحها وزرعها، ولهم فيها أموال ومصالح.

خالف أهل الغوطة في سنة **١٢٧** وولوا عليهم يزيد بن خالد القسري وحصروا دمشق فأرسل عليهم مروان بن محمد آخر خلفاء الأمويين أبا

الورد بن الكوثر فاستباح عسكرهم وأحرقوا المزة وقرى اليمانية. وربما كان هذا أول خلاف لأهل الغوطة، وأول سنّةٍ سُنت في تخريب العدو قرى عدوه.

قويت العصبية بين اليمانية والمضرية يوم فتح العباسيون مدينة دمشق (١٣٢) فقتل بعضهم بعضًا. وفي ذلك اليوم أمر عبد الله بن علي العباسي بقلع حجارة سور المدينة فقلعت حجرًا حجرًا بعد أن أثخن في القتل وأباحها الجيش ثلاث ساعات لا يرفع عنهم السيف.

وفي ١٧٦ ثارت الفتنة بين القيسية واليمانية وعلى رأس القيسية زعيمهم أبو الهيذام عامر بن عمارة. وكان فارس زمانه ومن فصحاء العرب. واختلف في سبب هذه الفتنة فقال قائل أن أبا الهيذام نزل وأخاه سجستان، فقتل عاملُ الرشيد عليها أخا أبي الهيذام، فأتى الشام وجمع جمعًا عظيمًا ثم غلظ أمره واشتدت شوكته وأعيت الرشيد الحيل فيه، فاحتال عليه بأخ له كتب إليه فأرغبه فشَدّ على أبي الهيذام فقيده وحمله إلى الرشيد بالرقة، فلما دخل عليه أنشده أبياتًا منها:

فأحْسِنْ أميرَ المؤمنين فإنه ... أبىٰ الله إلا أن يكون لك الفضل

فمنَّ عليه الرشيد وأطلقه وفي هذه الفتنة وجَّه أبو الهيذام حمدون السلمي فأحرق قرى اليمن في الغوطة: داعية، بيت سوا، حمورية، حجيرا، زملكا، حوارة، عربيل، أرزونا، دقانية، بيت قوفا، بيت أبيات. وخربوا داريا أعظم قرى اليمانيين، وأخربوا قرى أمير دمشق ابن معيوف وقصوره، وكان يسكن في قرية أرزونا. وكانت أيامه كما قال ابن عساكر أيام بؤس وجدب وغلاء فقال فيه أهل دمشق الأشعار ومما قيل فيه:

ما كنت أحسب أن الخبز فاكهة ... حتى تربع في الخضراء[1] معيوف

---

(١) الخضراء قصر أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان حرق في فتنة الفاطميين مع العباسيين سنة ٤٦١.

نجت هذه المرة بعض قرى قيس ككفر بطنا وبلاس وراوية من التخريب. قال صاحب تاريخ دمشق وكان اليمانيون في الغوطة أجمع دارًا من قيس، وادعى اليمانيون في فتنة أبي الهيذام أنهم أهل الثروة والعدد والعزّ.

قال قيس الهلالي في يوم داريا:

كـــأنـــا يـــوم داريـــا أُســـود تـدافـع عـن مـسـاكـنـهـا أسـودا
تـركـنـا أهـل داريـا رمـيـمًـا حـطـامًـا فـي مـنـازلـهـم هـمـودا
قـتـلـنـا فـيـهـم حـتـى رثـيـنـا لـهـم ورأيـت جـمـعـهـم شـريـدا
إذا غـضـب الإلـه عـلـى أنـاس دعـا قـيـسًـا فـصـيـرهـم جـنـودا
وذلــك أن قــيــسًــا غــيــر شــك مـن الـصـوّان بـل خـلـقـت حـديـدا

وفي هذه الفتنة تفاخر القيسيون واليمانيون ومما قاله أبو الهيذام:

لـولا تـطـوُّلُ هـيـذام عـلـى يـمـن أمست نـسـاء بـنـي قـحـطـان أنفالا
أنا ابن خير بني ذبيان قد علموا وحامل الثقل عنهم بعدما مالا
لولا الخليفةُ والإسلام ما تركت خيلي بأرض بني قحطان جوالا

ومن شعر شدقم الكلبي يحرض قومه على حرب أبي الهيذام والمضرية:

لــيــت لــي قــيــسًــا بــكــلــب إن كــــلــــبًــــا أهــــل خــــب
تــــأنــــف الــــذلــــة قــــيــــس إذ ونــــت أنــــفــــس كــــلــــب
لا يــــنــــامــــون عــــن الــــوتــــ ــر ولا عــــن أهــــل ذنــــب
خــــلــــقــــت قــــيــــس حــــديــــدًا وخــــلــــقــــنــــا طــــيــــن تــــرب
قــــتــــلــــونــــا كــــكــــلاب قــــتــــلــــت فــــي جــــوف درب
إن رضــــيــــتــــم قــــوْمِ هــــذا فــــاســــمــــعــــوا أقــــبــــح ســــب

وفي فتنة السفياني الملقب بأبي العميطر (١٩٥)، وكان حاول استرجاع الشام من العباسيين، واعتمد على كلب وتعصب له اليمانية وقاومه القيسية،

قتل من القيسية خلق كثير، وذَلُّوا في دمشق وما إليها من الأرجاء ذُلًّا عظيمًا، وفي هذه الفتنة أيضًا أصبحت الغوطة ميدان قتال.

وثارت القيسية بدمشق وعلى رأسهم ابن بيهس الكلابي فعاثوا وأفسدوا وحصروا أميرهم، فبعث الواثق لهم رجاء بن أيوب وكانوا معسكرين بمرج راهط فنزل بدير مران ودعاهم إلى الطاعة فلم يرجعوا، فواعدهم الحرب بدومة فقاتلهم فهزمهم، وقتل منهم نحوًا من ألف وخمسمئة، وضرب مقدَّمهم ابن بيهس. قال ابن عساكر إن الذين ثاروا هم أهل الغوطة والمرج، ومن قرى الغوطة الثائرة كفر بطنا وجسرين وسقبا وقرى جُرشَ[(١)]، وقاتلهم العامل في مجمع عسكرهم بكفر بطنا، وثار الناس من النواحي وقتلوا الأطفال وجرحوا النساء. وعبارة العبر في هذه الوقعة أصرح، قال في حوادث سنة (٢٢٧): قدم على إمرة دمشق أبو المغيث الرافقي فخرجت عليه قيس لكونه صَلَبَ منهم خمسة عشر رجلًا، وأخذوا خيل الدولة من المرج، فوجّه أبو المغيث إليهم جيشًا فهزموه، ثم استفحل أمرهم وعظم جمعهم وزحفوا على

---

(١) جُرَش بالضم ثم الفتح وشين معجمة من مخاليف اليمن من جهة مكة، وقيل إن جُرَش مدينة عظيمة باليمن وولاية واسعة قاله ياقوت. وفي كتاب الاشتقاق أن جرش بطن من حمير. وبذلك تبين أن قرى جرش من قرى اليمانيين في الغوطة. وفي فتنة أبي الهيذام أن اليمن لما رأت ما حَلَّ بها من إحراق قراها أتاه ابن خارجة الجُرشي وأبو عزرة الخشني فسألاه أمانًا لقرى جُرَش فكتب أمانًا لبيت البلاط وبيت قوفا والحديثة وجسرين وأتاه الأوزاع والأوصاب ومقرى وكفرسوسية وساجد والحرجية والحميريون وصنعاء فسألوهُ الأمان فأمن نَيِّفًا وثلاثين قرية. والقرى الأربع الأولى قرى يمانية على ما يظهر. واسم الحديثة اليوم حديثة جُرَش لكنهم يفتحون جيمها. وقوله الأوزاع هم من قبائل شتى والأوصاب قبيلة من حمير وهم يمانيون أي إن الوفد كان مؤلفًا من اليمانيين وغيرهم من أبناء القبائل وأرباب العصبيات. وهذه صورة الأمان: «من عامر بن عمارة إلى قرية كذا وكذا أن عليكم العتاق والطلاق إن غششتم معديًا في سرٍّ أو علانية وأن توالوا من والاهم وتعادوا من عاداهم وتقاتلوا معهم من ناوأهم، فإن نكثتم أو غيرتم أو نقضتم فقد وجبت عليكم الأيمان، وسفك الله دماءكم ولا عهدَ لرجل منكم ولا ذمة عندي».

دمشق وحاصروها، فجاء رجاء الحضاري الأمير في جيش من العراق ونزل بدير مران والقيسية بالمرج، فوجه إليهم يناشدهم الطاعة فأبوا إلا أن يُعزل أبو المغيث، فأنذرهم القتال يوم الاثنين ثم كبسهم يوم الأحد بكفر بطنا وكان جمهور القيسية بدومة فوضع السيف في كفر بطنا وسقبا وجسرين حتى قتل ألفًا وخمسمئة وقتلوا الصبيان ووقع النهب.

كانت الغوطة أوائلَ حكم العباسيين يعود إليها أمنها بعد الفتن التي تنشب في أرجائها أو على أطرافها. ودامت تتخبط في أقدارها بين هناء وشقاء حتى استولى الفاطميون على الشام، واشتد ظلم عمال المستنصر الفاطمي على الغوطة ودمشق حتى جلا السكان وهان عليهم مفارقة أملاكهم، وابتعادهم عن أوطانهم، بما عانوا من ظلمه وظلم عماله «وخلت الأماكن من قاطنيها والغوطة من فلاحيها» ولما ولي نيابة دمشق للفاطميين رجل اسمه جيش وكان سفّاكًا للدماء، عمّ الناس البلاء في ولايته من القتل وأخذ الأموال حتى لم يبق بيت في دمشق وظاهرها إلا امتلأ من جوره، خلا من كان ظالمًا يعينه على ظلمه. وامتد أصحاب ظالم ابن موهوب الفاطمي في الغوطة **(٣٦٣)** فانتهبوا الفلاحين وقطعوا الطرقات فتحول أهل الغوطة إلى البلد من كثرة النهب، وعاث الأعراب في الغوطة والمرج واستولوا عليهما، فجرد الفاطميون عليهم جيشًا بقيادة واليهم فقتل من أحداث الغوطة والمرج كثيرون.

وحاول محمد بن أبي يعلى الهاشمي أن يعيد دمشق إلى العباسيين ويسترجعها من العبيديين فقام معه أهل الغوطة والشباب، واستفحل أمره سنة تسع وخمسين وثلاثمئة وطرد من دمشق متوليها ولبس السواد وأعاد الخطبة لبني العباس.

وفي القرن الرابع خرب أهل العيث والفساد دمشق وضواحيها، وانتقل القرويون إلى العاصمة الكبرى. ولما استولى حيدرة الكتامي خربت أعمال

دمشق وجلا كثير من أهلها عن أراضيهم. وفي فتنة القرامطة (٣٦٣) خربت محلة الفراديس في ربض دمشق ولما إشتدت شوكة القرامطة (٣٨٩) في الشام تقرمط أكثرُ مَن حول دمشق من أهل الغوطة وغيرها وعاضدوا القرمطي. وفي سنة ٣٧٦ غلب على دمشق مدةً رجلٌ اسمه قسّام الحارثي من أهل تلفيتا في جبل سنير، وكان في أول عمره ينقل التراب على الدواب. وخرب العرب وأهل العيث والفساد البلد مدة تحكم قسام، وانتقل أهله إلى أعمال حمص فعمرت وكثر أهلها والغلات فيها ووقع الغلاء والقحط بدمشق. وما كان ذلك إلا من سوء إدارة الفاطميين. وكان عمالهم أقبح عمالٍ استبدادًا وسوء إدارة واستهانة بالأرواح والأموال. وفي سنة ٤١٦ حاصر سنان ابن عليان من أمراء العرب مدينة دمشق وجرت بينه وبين أهلها حرب شديدة وخَرَّب داريا وأعمالها.

وفي سنة ٤٦٧ كان الطاعون الجارف في دمشق فحل بها ما لم ينزل بها مثله فيما عرف من تاريخها، ونزل عدد سكانها من خمسمئة ألف وفي رواية ثلاثمئة ألف إلى ثلاثة آلاف، أفناهم الوباء والغلاء والجلاء. وخربت دمشق، وبيع القصر العظيم الذي يساوي ألف دينار بعشرة دنانير، يبتاع بها صاحبه فارة يأكلها، وأكلوا الآدميين والموتى والجيف، وكانت حالة الغوطة أتعس وأنحس.

ولما أُعيدت دمشق للعباسيين (٤٦٨) ورفع عنها سلطان الفاطميين نظروا إليها بما يعود بصلاح أعمالها، وأطلقوا لفلاحي المرج والغوطة الغلات للزراعات فصلحت الأحوال ورخصت الأسعار بعد أن بيعت غرارة القمح بمئتي دينار[١] وفي الغلاء المفرط في دمشق سنة ٦٤٣ بيعت غرارة الحنطة بألف وستمئة درهم وأُكلت الجيف.

---

(١) لم تكن الأسعار على صورة مطردة معقولة في هذا الإقليم وعاصمته، والأسعار هنا تَبَعٌ لقلة الأمطار وكثرتها، وما يصدَّر من الحاصلات وما لا يصدر، وكانت البلاد مهددة بالهلاك إذا =

= قحطت وأجدبت، وليس في المُكْنَة نقل الحبوب بين الأقطار لصعوبة المواصلات. ففي غلاء سنة ٥٧٣ انقطعت الأمطار في الديار الشامية فبيعت غرارة الحنطة بدمشق بعشرين دينارًا صورية، والغرارة ثمانون مُدًّا.
وفي غلاء ٧٤٨ وصلت غرارة القمح في دمشق إلى ثلاثمئة درهم، وبيع البيض كل خمس بيضات بدرهم ورطل اللحم بخمسة وأكثر ورطل الزيت بستة أو سبعة، وفي سنة ١٠٨٥ كان الرخاء والخصب حتى بيعت غرارة الحنطة بستين قطعة وغرارة الشعير بثلاثين قطعة.
وفي رواية أخرى أن غرارة القمح بيعت بخمسة قروش وغرارة الشعير بقرشين ونصف، وقنطار الحطب بسبعة قروش ونصف. قال المحاسني في كناشه أن الغلال قلَّت في الشام في محصول سنة ١٠٨٧ لقلة الأمطار، ثم حصلت الأمطار فتراجعت الأسعار وكان وصلت غرارة الحنطة إلى ٣٢ قرشًا والخبز الأسمر كل ثمانية أرطال بقرش، والخبز الشعير أحد عشر رطلًا بقرش ووصلت غرارة الشعير إلى ١٧ قرشًا والذرة ١٥ والزيت القنطار ٤٠ والدبس ١٥ والعسل ٤٠ والسمن ٩٠ والجبن ٣٠ والشيرج ٥٥ والطحينة ٤٥ والشمع الدهني ٥٠ والأرز ١٧ والعدس الغرارة ٢٥ والملح بقرش ستة أمداد، والحمص الغرارة ٣٠ والسكر سنة ٢٠ واللوبياء ٢٠ والجلبانة ٣٠ والحلبة ٣٠ والبيقية ٢٧ والثوم خمسة أرطال بقرش والسماق ثلاثة أرطال بقرش والحليب عشرة أرطال بقرش والقطن القنطار ٥٠ وقشر القنب ٢٠ وغرارة الفول ٢٠ والتين حمل البغل بقرش ومنّ الدخن بربع قرش وثلث قرش والبصل عشرة أرطال بقرش. هذا في دمشق وأما في غيرها فأغلى من ذلك.
وكانت الأسعار تَتَقَلَّب في العصر الواحد أشكالًا تبعًا لأسعار النقود ولاسيما الفضة، فقد كان سعر الذهب سنة أربعين وسبعمئة كل مثقال بعشرين درهمًا. ذكر صاحب تاريخ بيروت أن العشرة آلاف درهم كانت تساوي بدراهم ذلك الوقت سبعمئة دينار. وفي سنة ١١٤٥ كان الغلاء بدمشق ونواحيها، وعدُّوا من الغلاء أن تباع غرارة القمح بثلاثة وخمسين قرشًا ورطل الخبز بثلاثة قروش ورطل اللحم بزلطة والسمن نصف رطل بقرش والدبس أربعة أرطال بقرش والجبن رطلان بقرش والبيضة بخمس قطع.
وفي كناش المحاسني أيضًا صورة عَقْدين جريا بدمشق أحدهما سنة ١٠٨٥ وكان الصداق فيه ثلاثمئة قرش فضة أسدية وزوج أساور ذهب زنة ذلك أحد وثلاثون مثقالًا وثوب «طرفنده» المعجل منها مئتا قرش وزوج الأساور والثوب الطرفندة والباقي مؤجلة. وحضر هذا العقد علماء المدينة وأعيانها وهو عقد ابن الشيخ سليمان المحاسني الشاعر خطيب جامع بني أمية ومن أعيان البلد، أي إن العروس من أكابر القوم وأرباب السعة. والعقد =

وفي سنة ٦٥٦ قويت وطأة الوباء في الشام وخصوصًا في عاصمتها حتى لم يوجد مغسِّل للموتى، وكثيرًا ما يدوم الطاعون الشهرين والثلاثة فيموت من دمشق كل يوم ألف إنسان. وفي وباء سنة ٨٩٧ كان يموت كل يوم في دمشق ثلاثة آلاف، وكانت الحالة شديدة في الغوطة على ما يظهر. وفي كانون سنة ٨١٤ مات من أهل دمشق خمسون ألفاً وخَلَتْ عدة من القرى وبقيت الزروع قائمة لا تجد من يحصدها. وفي طاعون سنة ٨٩٧ مات ربع أهل الأرض كما في الشذرات، وكان نصيب دمشق وغوطتها من هذا البلاء كثيرًا. وانتشر الغلاء المهلك والطاعون الجارف والوباء القاشر سنة ١١٨٣ حتى صار يخرج كل يوم ألف جنازة من كل باب من أبواب مدينة دمشق، وكان حظ الغوطة من هذا الوباء كحظها من كل وباءٍ ينتشر في العاصمة، وفي طاعون ١٢٢٨ و١٢٢٩ هلك ربع سكان دمشق، وكذلك كانت الحال فيما عقب ذلك من الأوبئة ولاسيما وباء ١٢٤٦ وغلاء سنة ١٢٠١ وصار الناس يأكلون الميتات والقطط من شدة الجوع.

وفي ولاية طغتكين من أمراء السلجوقيين الذي كان نِعم المبشر بظهور نور الدين وصلاح الدين، انبسطت الرعية في العمارة في باطن دمشق وظاهرها فعمرت عدة ضياع وأجريت عيون، فصلحت بإيالته دمشق وأعمالها. وفي سنة ٥٢٩ سار أتابك زنكي إلى دمشق فنازلها وأجفل أهل السواد إليها، وسواد كل مدينة قراها، وأجمعوا على محاربته فنزل أولًا ميدان الحصا وزحف وقاتل. وفي سنة ٥٣٤ حضر زنكي هذا إلى شماليها ثم انتقل إلى دمشق مرتين ونزل على داريا، فالتقت الطلائع واقتتلوا وكان الظفر لزنكي، ثم

= الآخر جرى سنة ١٠٧٥ وهو عقد عبد الباقي المبارك على صداق قدره ثلاثمئة قرش ومعه قفتانان طرفنده مذهبان بأزرار من الفضة وقفتان ثالث أطلس وردي ومن الصداق مئة قرش مؤجلة.

هكذا كان الغنى، أما الفقر فلا تَسَلْ، فسبحان مُبدِّل الأيام ومبدل الدول.

تقدم فلقيه جمع كثير من جند دمشق وأحداثها ورجالة الغوطة فقاتلوه، فانهزم الدمشقيون وأخذهم السيف وأسر منهم من أسر.

ساد السلام في الدولتين النُّوْرية والصلاحية، ثم نشب الخلاف بين أبناء صلاح الدين، وفي الحرب بين الملكين الكامل والناصر من بني أيوب وقع النهب والحريق في باب توما، وأحرقت بعض الطواحين ونهبت الدور، وخربوا بعض قريات من الغوطة وأخرجوا منها أهلها، مثل جوبر وجديا وزملكا وسقبا وغيرها، وخربوا في هذا الحصار مدارس ودورًا وخانات وبساتين وحمامات.

ولما اعتضد صاحب دمشق بالصليبيين على مالٍ يُحمل إليهم ليدفعوا عادية عماد الدين زنكي عنه، سار هذا ونزل بمرج عذراء وحرق عدة ضياع من المرج والغوطة إلى حرستا التين، ولما جاء الصليبيون ليفتحوا دمشق (٥٤٣) حرقوا الربوة والقبة المهدوية وقطعوا الأشجار للتحصن بها. وفي سنة ٥٩٦ أُحرق في حصار دمشق جميع ما هو خارج باب الجابية من الفنادق والحوانيت، وأُحرق النيرب وأبواب الطواحين. ولما سار الأفضل يريد الاستيلاء على دمشق من عمه العادل أحرق هذه الحواضر[(١)] والنيرب ووقع الحصار.

ويصيب الخراب على الغالب الأقرب فالأقرب من القرى إلى دمشق، أو ما كان على طريق الفاتحين كالمزة في الغرب والقابون في الشمال فقد خربتا غير مرة. وأصاب بيت لهيا في الشرق، والنيرب والربوة في الغرب ما أصاب جارتيهما من الخراب. وقد خرَّب التتر بعد وقعة مرج المروج دمشقَ ونهبوا ضياعها وسبوا أهلها فخربت الصالحية والحواضر البرانية من العقيبة والشاغور وقصر حجاج وحكر السماق من أرباض البلد.

---

(١) الحواضر: القرى والريف.

وكان أهل الغوطة في فتن التتر المتعددة ينجفلون أمامهم وكانوا، كما حدث في القرن السابع والقرن الثامن وبعده وقبله، يغادرون قراهم إلى دمشق. وفي وقعة غازان عاثت عساكره في الغوطة تنهب وتفسد. وقتل التتار في سنة ٦٩٩ أكثر رجال داريا لكونهم امتنعوا بالجامع، وممن قُتلوا خطيبُها. ومن طبيعة التتر التخريب في كل بلد نزلوه، فما نجت الغوطة من تعديهم وإن جابوها سراعًا. والجند على الجملة ما مرَّ بأرض إلا خرَّب فيها وألقى الهلع والفزع في قلوب ساكنيها، هذا إذا كان منظمًا، فما بالك بجيوش التتر الذين اشتهروا حيث حلوا بالإضرار بالمطمئن والآمن، والشدة على المقاتل والمحارب. وفي وقعة غازان ووقعة تيمورلنك ناب أهل الغوطة من الظلم والمصادرة والقتل مثل ما نال أهل دمشق. وفي سنة ٩٠٠ كانت وقعة بين أهل داريا وبعض قرى الغوطة فخرج العسكر من دمشق، وقتل ما يربو على مئتي قتيل، ووقع الاختلاف بين القيسية واليمانية.

وفي سنة ٦٣٥ أخرب السلطان العقيبة وما فيها من خانات وأسواق، وفي القرن السابع أمر الأشرف قلاوون بهدم الأماكن المجاورة للميدان بدمشق وفي الاعتذار عنه يقول الوداعي:

إن أَمر السلطان في جلق　　بهدم ما جاور ميدانه
فإنه قد غار لما رأى　　غير بيوت الله جيرانه

وكان السلطان إذا غضب على أهل قرية يأمر بحرق أشجارها وتدمير عمارها، وهذا قلما كانوا يفعلونه في الغوطة. وقد يخرب جانب من قرية فيأتي الناس يخربون منها ما سلم. وكثيرًا ما كان الفاتحون ينزلون الويلات بالغوطة ويحرقون ما في ضاحية دمشق إذا أرادوا حصارها، ومن ذلك أن العقيبة والخوانق خارج دمشق وقصر حجاج والشاغور وغيرها قد خربت أكثر من مرة.

وقد يخرب الجند القرى وينقلون أنقاضها إلى العاصمة، وقد يجيء أهل

القرى بأثاثهم وحاصلاتهم وأنقاضهم وحيواناتهم إلى الحاضرة أيام الفتن، كما حصل في الثورة السورية (١٩٢٥ ـ ١٩٢٦) وفي هذه الثورة نسفت السلطة الفرنسية كثيرًا من قرى دمشق على ما يرد في فصل الداثر من القصور.

وكانت الغوطة تبنى في أكثر العصور من اللبن والطين والخشب، والحجارةُ خاصةٌ بالجوامع وبعض المزارات والقباب. وما ندري إن كانوا يفضلون الطين والخشب في البناء على الحجر والآجر لأسباب اقتصادية أو اتقاء عادية الزلازل، فإن بيوت الخشب يوم الزلازل أقل خطرًا على الأرواح من بيوت الحجر. وكانت البيوت إذا خربت في زلزال يعيدها الغوطيون بما خُصُّوا به من همم إلى سالف حالاتها في حقبة قصيرة من الزمن، فقد امتدت الزلازل في سنة ٢٣٣ إلى الغوطة فذهبت داريا والمزة وبيت لهيا وغيرها ومات تحت الردم معظم أهل دمشق وهرب النساء والصبيان. ورأى بعض أهل دير مران مدينة دمشق ترتفع وتنخفض مرارًا. قال المؤرخون وانكفأت قرية بالغوطة على أهلها فلم ينج إلا رجل واحد. ولم يشبه هذه المصيبة إلا وباء القرن الخامس (٤٦٧) الذي كاد يبيد سكان دمشق عن آخرهم.

ومن الزلازل زلزال سنة ٥٥٢ وسنة ٥٦٥ وكان زلزال سنة ١١٧١ من أشد الرجفات، مات فيه تحت الردم خلق كثير وأعقبه وباء جارف. وفي زلزال سنة ١١٧٣ لم يسلم إلا النادر من بيوت دمشق ومناراتها وقبابها ومساجدها وتهدمت القرى حولها، وخرج أهلها جميعًا بأموالهم وأنفسهم وعيالهم إلى خارج ونصبوا الخيام وبقوا مقدار ثلاثة أشهر في الخارج (قاله في التذكرة الكمالية) وقال النجار من أهل القرن الثاني عشر إن زلزال دمشق ونواحيها هدم كثيرًا من المساجد والمعابد والمنارات، ودام خمسة وأربعين يومًا وقتل تحت الردم خلق كثير، وخرج غالب الناس من منازلهم وتركوها خالية وتوطنوا البساتين والجبّانات.

ومن أخبار التخريب ما وقع سنة ١٢٠٢ في فتنة جهجاه الحرفوش

وتخريب القرى وهلاك الفقراء، وفيها حرقت القبيبات وحارة التركمان من ضواحي دمشق، وفي سنة ١٢٣٥ حرقت المزة، وفي هذا القرن والذي قبله وقعت حوادث من هذا القبيل قد يتخطى المؤرخون ذكرها لأنها مما لا يستنكرون حدوثه. وكان أكثر ما يضر بأهل القرى في هذين القرنين جند الدولة العثمانية، فإنها كانت ترسل منهم ألوفًا يشتون في عاصمتها وغوطتها، وطعامهم من الأهلين، لأن الدولة لا تعطيهم ما يكفيهم ويقوم بأودهم(*) وأود عيالهم، وكانوا إذا قضوا بضعة أشهر في هذه الضيافة الجبرية يطلبون «الترحيلة» عند عودتهم. والترحيلة مالٌ يسلبونه من الأهلين ليستعينوا به على الرحيل. وفي سنة ١٠٤١ نهب جند هذه الدولة قرى دمشق طول الشتاء ونهب الجند الدالاتية جميع القرى وأكلوا مغلها وأحرقوا بيوتها وقتلوا دوابها وسلبوا عروضها.

ولم تذق الغوطة طعم الراحة إلا على عهد حكومة إبراهيم باشا المصري أي حكومة والده محمد علي الكبير، فإن أكثر القرى استعادت عمرانها في ظل حكومته المنظمة، فأصلح الجباية وساوى بين الرعايا، وكان الأغنياء لا يؤدون شيئًا للدولة والعبءُ كله على عاتق الفقراء، ولذلك استثقل الأمراء وأرباب النفوذ ظلّ الدولة المصرية، وقد أبطلت هذه الحكومة المصادرات وقررت حق التملك ووطدت الأمن وأحيت الزراعة.

ولما جلا إبراهيم باشا عن الشام عادت الحال إلى أتعس مما كانت عليه عهد العثمانيين، حتى كتب قنصل إنكلترا في دمشق إلى واليها كتابًا (١٢٥٥هـ ـ ١٨٤١م) يقول فيه: إذا كانت الحكومة ترغب حقيقة في استتباب الأمن ففي وسعها أن تبدأ بإظهار حسن نيتها فتمنع تخريب القرى وتدمير أماكن العبادة الكائنة على بضع خطوات من دمشق.

(*) يريد: ويقوم بإعالتهم، لأن «الأَوَدَ» هو العِوَج! (المراجع).

وبعد فقد علمنا من مجموع الكوائن أنه ما خلا عقدان أو ثلاثةُ عقود من السنين من مظالم أضيفت إلى مصائبها السماوية، وكان القضاء على بيوت برمتها بالزلازل والأوبئة والقحط من الأمور التي لا يستغرب وقوعها. ولم يكن في تلك الأيام إحصاء يركن إليه، فكانوا يقدرون أبدًا عدد الهالكين بالتخمين، وإذا ضبط ذلك في العاصمة فمن الصعب ضبطه في القرى.

اكتفينا من عوامل الخراب بنموذجات مما وقع والاستقصاء متعذر أو مستحيل.

الفصل التاسع عشر

القرى الداثرة

لم يقم علماء الآثار بحفريات في الغوطة على الطرق الحديثة كما بحثوا في كل مكان كان مظنة أبنية أزلية، وصرفوا وكدهم إلى نبش الآثار اليونانية الرومانية وغيرها في الكور الشامية. ولو تعلقت الهمم ببحث بعض أرض الغوطة عما يعرفه المولعون بالآثار، أو ينبه إليه سكان الجوار لكشفوا أشياء مهمة من عهد الإسلام وما قبله. ومازال أهل القرى يعثرون أثناء الحرث وفتح الآبار والأسس الجديدة ونبش الخرائب على عاديّات تدل على مدنية زاهرة.

ولم تتغير معالم الغوطة، أو بعبارة أصح لم تتبدل أسماء قراها كما تبدلت معالم دمشق، فإن أكثر أسواقنا وشوارعنا تغيرت تغيرًا عظيمًا، وقد تتبدل في القرن الواحد مرة أو مرتين. وحدث أن دثرت في الغوطة قرى كثيرة كانت في القرون الخالية قائمة عامرة، ولم يبق منها إلا أسماؤها، وقد تدل أطلالها على مواضعها. واستغرقت القرى الكبرى أراضي القرى الداثرة؛ ففي أرض جوبر مثلًا دخلت بيت لهيا وقلبين وسريبتين وجديا والمأمونية وطرميس والمصيصة والداودية والعمادية والصفوانية وغيرها، وكلها قرى داثرة. وفي

أرض عربيل دخلت أرزونا ودقانية وبرتايا وسلطايا وزينون وحوارة وغيرها وهكذا.

فمن القرى الداثرة:

١ ـ **الأرجام**: خرائب عظيمة شمالي حرستا البصل، على بعد ساعة منها على السائر على قدميه نحو الشمال أي الجبل. ولا يزال الأهلون يستخرجون منها بعض الخزف والأواني والأساور والخواتيم والدمالج وغيرها.

والرجم القبر كالرجمة بالفتح والضم وجمع الرجم رجام. والغالب أن الأرجام كانت مقبرة أو مقابر قرية كبيرة كانت إلى جانبها فدثرت. والشائع على ألسنة الحرستانيين أن سكان الأرجام كانوا نصارى، يستدلون على ذلك من بناء قبورهم.

٢ ـ **أرزة**: كانت مكان حي الشهداء في طريق الصالحية. متصلة بسويقة صاروجا تمتد إلى عقبة جوزة الحدباء. رأى خرائبها ابن طولون، وكانت عامرة بعض الشيء في القرن العاشر.

٣ ـ **أرزونا**: قرية كانت تحت القابون التحتاني على نهر ثورة ولها جامع ومأذنة. وكان فيها قصور معيوف أمير دمشق. وقد ضمت أرضها إلى عربيل.

٤ ـ **أرض أبان**: تنسب إلى أبان بن مروان أخي عبد الملك بن مروان وهي بحذاء الداودية شمالي الأرزة من بيت لهيا. ويقول المنجد إنها كانت خلف السفليين موضع المسجد القديم جنوب ميدان الحصا، وإن أرض أبان محل آخر شآم الأرزة من بيت لهيا وهي المقصود هنا.

٥ ـ **أرض التل**: في عين ترماء، ربما كانت قرية. والمعقول أن كل قرية تبدأ بتل أو تلة أو تلول كانت قرية ويشاهد ذلك بكثرة في بعض القرى التي تنادي بأنه كان في جوارها قرية عامرة، وليس في الغوطة تلال طبيعية بل فيها تلال صناعية.

٦ ـ **أرض التلول**: في أرض حزة، كان محلها قرية فأطلق على خرائبها التلول.

٧ ـ **أرض التلة**: في زبدين تبعد عنها ربع ساعة.

٨ ـ **أرض الخرّامة**: تبعد عن الجنوب الغربي من داريا نحو ثلث ساعة على من يسير على قدميه، وفيها بقايا أحجار كبيرة جدًا، ويظن أنها كانت ديرًا.

٩ ـ **أرض داريا**: من توابع أرض حزة.

١٠ ـ **أرض الطاقة**: من مزارع داريا، لا يزال يعثر فيها على آثار عمران من أوانٍ وأثاث وأدوات وغيرها. وفيها أحجار تدل على أنها من المباني العادية.

١١ ـ **أرض عثيق**: فوق أرزة من بيت لهيا.

١٢ ـ **أرض المزرعة**: وتعرف قديمًا بالخواجكي الزيني بقرية عقرباء.

١٣ ـ **المزرعة الكبرى**: وتعرف قديمًا بجاني بك الحلبي بقرية البلاط.

١٤ ـ **المزرعة الصغرى**: عرفت بالسيفي جاني بك.

وهذه المزارع الثلاث الأخيرة ورد ذكرها في صك وقف قجماس الإسحاقي المحفوظ في خزانة دار الآثار بدمشق.

١٥ ـ **اشفانية**: لم يعرف محلها، وفي أول قرى المرج قرية اسمها شفونية، ولعلها هي أصابها التحريف.

١٦ ـ **الأكواخ**: في المنتظم أنها من أرض دمشق.

١٧ ـ **انا كاس**: (راجع بيت ماراس).

١٨ ـ **الأوزاع**: كان موضعًا مشهورًا بريف دمشق، وسكنته في صدر الإسلام قبائل شتى. وإليه ينسب الإمام الأوزاعي دفين بيروت. ويقول ابن خلكان إنها على طريق باب الفراديس. ومن رأي ابن العماد أنها حي العقيبة. ومعنى الأوزاع الجماعة المتفرقون. وهي اسم قبيلة أيضًا.

ويقول ابن عساكر: وأما ما كان شمالي البلد فسطرا، والفراديس والأوزاع، والصّدف، ومُقرى، وشعبان، ومرج الأشعريين، وجميع هذه القرى دثرت. ويقول دهمان إن الصدف قرب مقبرة الدحداح وراء الدور.

١٩ ـ **بج حوران**: قرية كانت على باب دمشق قبلي الشاغور، من إقليم باناس، ويقال لها القطائع.

٢٠ ـ **برتايا**: عند محافر حزة إلى الغرب من أراضي حزة، لم تبرح آثار مقبرتها ظاهرة. وقد ضمت أرضها إلى عربيل وتعد من مزارعها. وآخر من ذكرها ابن طولون الصالحي. ومعنى برتايا بالسريانية الأبلق المخطط، وذكر النعيمي أنها كانت وقفًا على دار الحديث الفاضلية، وأنها لصيق أرض حمورية يفصل بينهما نهر. وقد أُنشئت طاحون على أنقاضها.

٢١ ـ **البرج**: في معجم البلدان البرج موضع بدمشق، هكذا قال خليفة ابن قاسم وليس يعرف الآن، ولعله كان ودَرَسَ، ينسب إليه أبو محمد عبد الله بن سلمة البرجي.

ولا يبعد أنه كان في الغوطة عدة أبراج، والأبراج الحصون، وفي أخبار فتنة أبي الهيذام (١٧٦هـ) أن اليمانيين انهزموا فصاروا إلى حصون أربعة في خولان ففتح خزيم حصنًا في يومه.

٢٢ ـ **بستان الناعمة**: من بيت لهيا وهو قسيم بستان الجرن بينهما الجادة على ما قال أحد فلاحي ذاك الجوار.

٢٣ ـ **بسطرا**: مقسم ماء بحرستا، يظهر أنه سمي باسم قرية اسمها بسطرا دثرت. وقد ورد اسم بسطرا وباقطايا في محضر كتب سنة ٦٤٨ في عدادين ماء نهر ثورا وذكر أن هذه المزارع تابعة حرستا الزيتون.

٢٤ ـ **بيت الآبار**: بُليدة خربت. وكانت حاضرة الإقليم، وسمي باسمها. ويؤخذ من كلام ابن عبد الهادي في القرن العاشر أنها كانت موجودة في عصره.

ومن عملها المنيحة وجرمانا ودير هند وبيت سابا أو سابر. والغالب أنها التل الكبير الماثل للعيان شرقي جرمانا، وقد خربت غير مرة. ويقال لخرائبها الآن تل أم الإبر، وهي على نهر العقرباني بين المقسمين في طريق المنيحة غربي دير خليل. وبين التل والدير طريق ماء. وورد ذكرها في أخبار أبي الهيذام، فقد سار إليها فوجد فيها اليمانيين فهزمهم وأحرق ما حولها.

٢٥ ـ **بيت أبيات**: ذكرها ابن عساكر. وقال ابن طولون هي غربي الصالحية، كان ينزلها سعيد بن تميم والد بلال بن سعد من الصحابة. وفي تاريخ دمشق:

سعد بن تميم أبو بلال السكوني والد بلال بن سعد صحب النبي ﷺ وروى عنه وعن معاوية ونزل بيت أبيات من قرى دمشق.

روى ابن عساكر في ترجمة عبد الله بن الحر العنسي أنه أدرك النبي وشهد فتح دمشق وبلغ عمر أنه زرع أرضًا بالشام هو وجماعة من بني عنس كان عمر أقطعهم إياها مرابط لخيولهم فأخذها منهم وغرمهم لما زرعوه.

ولم يبق في القرن العاشر من هذه القرية إلا مسجدها والطاحون، وهي محل طاحون الأشنان في طريق حي الأكراد من جهة مقبرة الدحداح.

٢٦ ـ **بيت البلاط**: هذا الاسم كان يطلق على قرية البلاط بجوار المنيحة وفي رواية أخرى قرية البلاطة.

٢٧ ـ **بيت رانس أو أرانس**: كانت عامرة في القرن التاسع ذكر ابن عبد الهادي مسجدها. وقالوا أن كنازًا الغنوي الصحابي دفن في طريق عقرباء قبلي فذايا وقريب بيت رانس وثقات المؤرخين على أن كنازًا مات في خلافة أبي بكر ولم تكن الشام فتحت.

٢٨ ـ **بيت سابا أو سابر**: قرية من إقليم بيت الآبار عند جرمانا. وفي التمهيد أنها من إقليم داريا.

٢٩ - بيت قوفا: قبلي جرمانا، اشترى أرضها أحد الدمشقيين في العهد الأخير.

وقسم من بيت قوفا بستان في أرض جرمانا ملك آل الصواف والقسم الآخر ملك رجل من أبناء شبيب والنسبة إليها قوفي.

٣٠ - بيت لهيا: وتسمى بيت الاهية: هي قرية السكون والسكاسك، أي إنها قرية يمانية. وكانت من أعمر القرى أشبه ببلدة، وإليها ينسب الإقليم. وهي على طريق بغداد القديم بين البساتين حوالي جسر ثورى في البقعة التي يقوم عليها المستشفى الإنكليزي في القصاع.

وكان فيها كنيسة أصبحت في عهد ابن جُبير مسجدًا جامعًا مزينًا بفصوص الرخام الملونة المنظمة بأعجب نظام. وكانت هذه القرية قد أخليت لابن الصمصامة عندما قصد دمشق ليكون نزوله بها كما طلب. ومازال الأهلون إذا حفروا في أرضها يعثرون على قنوات وآثار بناء ضخم كما هو الحال في العنابة المجاورة لها.

٣١ - بيت ماراس: في متحف دمشق حجر من الجير الصلب رقمت عليه كتابة يونانية هذه ترجمتها: عهد ذيوقلطيانوس ومكسيمانوس اغسطس وقسطيطينوس. بوضع حجر تحدد به قرية بيت ماراس وقرية اناكاس. وقد وجد هذا الحجر بقرب نهر جسرين.

٣٢ - بيت والي: مزرعة إلى الشرق الجنوبي من دومة.

٣٣ - بيت وانة: جنوبي دومة وتعد من مزارعها.

وكان في الغوطة عدة قرى تبدأ ببيت ولعلهم كانوا يعنون بالبيت القصر، ومنها هذه البيوت الداثرة: بيت أبيات، بيت الآبار، بيت لهيا، بيت أرانس، بيت وانه الخ. ومن القرى الباقية المبدوءة ببيت بيت سوا، بيت سحم.

٣٤ - تلفياثا: ذكرها ياقوت، ووردت في شعر أبي المحاسن الشوا. وقد أخطأ دوسو في قوله أنها ليست من الغوطة، وأنها في سفوح جبل الشيخ،

زاعمًا أن أحد الصليبيين ذكر اسم محطة بهذا الاسم. على أن اشتراك تلفياثا باسم قرية أخرى من إقليم آخر أو كورة أخرى لا ينفي أن تكون تلفياثا من الغوطة. وقد أخطأ أيضًا في قوله: من الواجب تحقيق موقع سقبا وحوش خرابو وحوش الخياط، وهذه القرى معروفة مشهورة، فسقبا حاضرة الغوطة الوسطى أشبه ببلدة، وكانت عامرة منذ الفتح. أما حوش خرابو وحوش الخياط من قرى المرج فعامرتان إلى عهدنا. وتلفياثا قرب قبر الست على الأرجح. وعلى مقربة من جرمانا مقسم ماء يقال له تلفياثا.

٣٥ ـ **التل**: بأرض القدم.

٣٦ ـ **التل الأحمر**: بأرض القدم وسماه ابن طولون: الكثيب الأحمر.

٣٧ ـ **تل الحفارة**: في قرية الحديثة على نحو ثلث ساعة منها.

٣٨ ـ **تل سوجق**: بأرض القدم.

٣٩ ـ **تل القرود**: في أقصى حدود الشرق من أرض المحمدية. كانت عامرة كما ظهر من أنقاضها نبشت لعهدنا فصلحت للزراعة.

٤٠ ـ **تل هجون**: ذكرها القاضي ابن المنجا في صك وقفه. وقال إنها من الضياع الغوطية من إقليم الكسوة، وإقليم الكسوة ليس من الغوطة.

٤١ ـ **تلة الباب الشرقي**: على قيد غلوة من هذا الباب. وكانت خراب قرية على ما يظهر، فرفعت منذ نحو خمسين سنة أنقاضها وقاذوراتها وأصبحت حديقة ومعامل وحوانيت.

٤٢ ـ **تلة البيرة**: في أرض المنيحة. واسم البيرة يطلق على عدة قرى في الديار الشامية.

٤٣ ـ **توماء**: بالهمز يمكن أن تكون قرية دثرت. ينسب إليها على قول، أحدُ أبواب العاصمة. قال جرير:

لا ورد للقوم أن لم يغرفوا بردى إذا تجول[١] عن أعناقها[٢] السدف[٣]
صبحن توماء والناقوس يضربه قس النصارى حراجيج[٤] بنا تجف

ونسب بعضهم باب توماء إلى رجل اسمه توما كان من قواد الروم أو رهبانهم. ونسبه دوسو إلى قرية دومة أو دوما، وهو بعيد. وقد وردت في الشعر لما نزل يزيد بن أبي سفيان بباب توما في فتح دمشق، فقال عبد الرحمن بن أبي سرح وكان معه أصحابه:

ألا أبلغ أبا سفيان عنا بأننا على خير حال كان جيش يكونها
وأنا على باب لتوماء نرتمي وقد حان من باب لتوما حيونها

٤٤ ـ **الثغور**: الغالب أنها اسم قرية أو متنزه وردت في شعر عرقلة:

وكم بين أكناف الثغور متيم كئيب غزته أعين وثغور

٤٥ ـ **الثمودية**: قرب حرستا كان بها مصنع.

٤٦ ـ **جديا**: (بفتح الجيم والدال أو بإسكان الدال) وتلفظ اليوم بكسر الجيم. قرية بين جوبر وزملكا. وبيادر جديا في أرض جوبر. وفيها قبران عظيمان.

٤٧ ـ **الجسورة**: موضع بظاهر دمشق (من تعليقات النجوم الزاهرة).

٤٨ ـ **الجورتان**: مما وُقِف على المدرسة الريحانية الجورتان البرانية والجوانية بأرض الخامس وبستان الخامس معروف.

٤٩ ـ **جورة عطاء**: من إقليم بيت أبيات. وهي أرض فيها أخشاب كبار

---

(١) تجول: انكشف.
(٢) عن أعناقها: أي أعناق الإبل. ولعله آفاقها.
(٣) السدف: ج سدفة وهي الظلمة.
(٤) الحرجوج: الناقة الجسيمة الطويلة، وقيل الشديدة أو الضامرة، وتجف تضطرب، والوجف والوجيف ضرب من سير الإبل.

من الحور تبرى أوتارًا لجامع دمشق، وهي وقف عليه. وعطاء هو صاحب المسجد خارج الباب الشرقي. ذكر ذلك المنجّد في بحثه عن ولاة دمشق في العهد السلجوقي.

٥٠ ـ **الحارثية**: كانت عامرة حتى القرن العاشر ولم يعرف موضعها كما يفهم من كلام ابن عبد الهادي.

٥١ ـ **حجرا**: الغالب أنها محرفة عن حجيرا، والنسبة إلى حجرا (بالكسر والقصر) الحجرائي. والأولى أن تكون النسبة إليها الحجيري، وحجيرا فقدت الياء بالنسْخ فنسبوا إليها على ما ظهر فقالوا الحجرائي، ولا نعتقد أن قرية سميت بهذا الاسم إلا حجيرا. وحجيرا معروفة.

وفي الوافي سَلم بن عيسى بن عبد الحميد أبو سعيد الطائي الحجراوي من أهل حجرا قرية بدمشق. وفي كتاب مساجد دمشق نقلًا عن ياقوت أن حجرا بكسر ثم السكون والراء والألف المقصورة من قرى دمشق.

٥٢ ـ **حجور**: قرية يمانية وفي تاريخ دمشق أن أبا الهيذام في فتنة دمشق خرج حتى قرية حجور من همدان التي تدعى عين ثرماء وفيها ولد معيوف بن يحيى وغيرهم من قبائل اليمن فاقتتلوا قتالًا شديدًا.

وفي الجزء العاشر من الإكليل للهمداني ص٩٩ ما نصه: وكان من أشراف حجور بالشام يحيى بن معيوف. ومعيوف بن يحيى ابنه. وأن ابنه معيوف بن يحيى كان سيد أهل الشام دهره كله.

٥٣ ـ **الحرجية**: نظنها محرفة عن حرجلة. وحرجلة ليست من الغوطة، وهي متاخمة لها من الجنوب.

٥٤ ـ **حُردان**: بضم الحاء قرية شمالي سقبا للشرق وشرقي حمورية للقبلة خربت منذ قرون. واسم نهرها حردان مازال على الألسن يسقي بعض أراضي سقبا وافتريس. وأهل الجوار يلفظون اسمها لعهدنا بفتح الحاء. وفي دار الكتب الظاهرية بدمشق جزء فيه حديث من حديث أهل حُردان. وفيه أنها قرية

كانت عامرة إلى جنب سقبا من إقليم داعية، ولما جرت مساحة الغوطة في العهد الأخير ضم بيدر حردان إلى الأرض المجاورة.

٥٥ ـ **حرلان**: بفتح الحاء. قال ياقوت إنها ناحية بالغوطة فيها عدة قرى، بها قوم من الأشراف من بني أمية، وكذلك ورد اسمها في تاريخ ابن عساكر، وهي مما يلي الصفوانية، شرقي باب توما.

٥٦ ـ **حكم**: قرية لليمانيين على الأرجح لم يعرف محلها.

٥٧ ـ **الحلاج**: هو أحد ثلاثة مواضع من أرض داريا لا يزال الباحثون يجدون فيه بعض آثار وعاديّات.

٥٨ ـ **حلفبلتا**: قرية لقيس كانت قرب قبر الست.

٥٩ ـ **حمتا**: هكذا وردت في بعض المصادر وقالوا أنها قرية لتغلب. وربما كانت مقنا فحرفت. يقال أرض مقناة موافقة لكل من نزلها.

٦٠ ـ **الحميريون**: نسبة لحمير، قرية يمانية ذكروا أنها كانت محلة بظاهر دمشق على القنوات على طريق كفرسوسية. وقال بعضهم أنه قام عليها حي الشويكة وهناك مقبرة لا تزال تدعى مقبرة الحميريين. يقول ابن عبد الهادي إن مسجد قرية الحميريين كبير كانت تقام فيه الجمعة قبل أن تخرب القرية. ويأتي ذكر الحميريين والسكاسك في كتب التاريخ القديمة. والسكاسك والسكون قبيلتان عظيمتان. والسكون من سكن في الموضع، والسكاسك من تسكسك الرجل تضرّع، ومن جملة الأنهار المشتقة من بردى في القديم نهر اسمه نهر السّكون ذكره ابن عساكر.

٦١ ـ **حوارة**: كانت قرية معروفة، خربت في فتن القيسيين واليمانيين، وهي الآن من مزارع عربيل في المحل الذي يُقال له كروم حوارة. وتقع إلى الشرق الشمالي من برتايا وقد ضم إلى أرض عربيل غير هذه القرية مثل سلطايا وبرتايا ودقانية وغيرها، وضم إليها من المزارع السيلون، وأرض الدير، وزينون (وهذه عند محافر حزّة) والرحيليات والرشيدية.

٦٢ ـ **حور تعلا**: هكذا يلفظها الأهلون لعهدنا. وفي ابن عساكر حر تعلة وهي بستان معروف مجاور لقصر اللباد (اللبان)، وكانت قرية لها مسجد شمالي سطرا.

٦٣ ـ **الخربة**: من أرض سبينة، يظن أنها كانت قرية.

٦٤ ـ **الخزرج**: من مزارع كفرسوسية كانت قرية.

٦٥ ـ **خولان**: قرية لغسان بها قبر أبي مسلم الخولاني. وكان بها آثار بقيت إلى القرن السابع. سماها النازلون فيها عند الفتح باسم مخلاف من مخاليف اليمن، كما سموا غيرها من القرى التي نزلوها. وإقليم خولان يدخل فيه داريا كما قلنا.

٦٦ ـ **الدارة**: كل أرض واسعة بين الجبال. ودويرة تصغيرها.

٦٧ ـ **داريا الصغرى**: مزرعة قرب دومة.

٦٨ ـ **داعية**: قرية كانت عامرة دثرت ونُسب إليها الإقليم إقليم داعية، والنهر نهر الداعياني الذي ما يزال مشهورًا بهذا الاسم وكانت داعية عامرة إلى القرن العاشر على ما يُفهم من كلام ابن عبد الهادي، ثم ضُمت أرضها إلى حمّورية.

٦٩ ـ **الداودية**: قال ابن عساكر إنها منسوبة إلى داود بن مروان بن الحكم وقالوا إنها في شآم الأرزة من بيت لهيا، وهي قبلي نهر الداعياني وبين طاحوني العبد والإحدىٰ عشرية. وفي أيامنا رفعوا أنقاضها فأصبحت تروى من نهر الداعياني.

٧٠ ـ **الدراجية**: أو برج الدراجية على باب توماء، نسبة لعبد الرحمن أو لعبد الله بن دراج مولى معاوية بن أبي سفيان وكان على الرسائل في خلافته.

٧١ ـ **دف الحجر**: دمنة قرية بأرض القدم.

٧٢ ـ **دقانية**: قرية صغيرة تحت أرزونا، والنسبة إليها الدقاني. خربت

بعد القرن الحادي عشر ذكرها ابن طولون، ويلفظونها تقانية. وجدت آثار جامعها وحمامها.

٧٣ ـ **الدَّكة**: موضع بظاهر دمشق فوق نهر يزيد، وتسمى في أيامنا الدوّاسة. وكان الفاطميون جعلوا في هذه الحدائق بيت الإمارة، وكان فيها قصر خمارويه. وفي الدواسه بقايا آثار قديمة وعمران عظيم.

٧٤ ـ **الدوير**: تصغير دار من مزارع دومة ويقال لها حوش الدوير.

٧٥ ـ **الدويلعة**: قرية بجانب مقبرة النصارى وتتجدد عمارتها لعهدنا.

٧٦ ـ **الديلميات**: في شمالي كفرسوسية بستان اسمه الديلميات. تغزل به ابن عنين لما كان في اليمن.

٧٧ ـ **الديوانية**: مزرعة في ربض دمشق قامت عليها المدرسة العلمانية في أول شارع بغداد الحديث.

٧٨ ـ **الراهب**: محلة كانت قبلي المصلى لسعيد بن عبد الملك.

٧٩ ـ **راوية**: كانت لفزارة، وهي المعروفة بقرية الست. ويُقال إن مدرك بن زياد الفزاري مدفون بين حجيرا وراوية. والقبر معروف وُيزار.

٨٠ ـ **الربوة**: معروفة. كان لها شأن في الأيام الخالية. وكانت مع مفترجات دمشق. ووصفها البدري في القرن التاسع كما وصفها ابن طولون في القرن العاشر. فكان الوصفان متشابهين إلا قليلًا: عمران ممتد الرواق، ومدنية فاشية باهرة، ونضرة وغضارة، وطبيعة ساحرة، ومياه متدفقة. ثم خرب ما فيها، ودثرت قصورها، وتهدمت مساجدها، وعادت مؤخرًا إلى الحياة قليلًا.

جاء في الدرر الكامنة لابن حجر ما يلي:

محمد بن علي بن عمر المازني الدهان شمس الدين الدمشقي، كان فاضلًا أديبًا عارفًا بالغناء، ويجيد اللعب بالقانون، وعمّر مكانًا بالربوة

وزخرفه، فكان يجتمع فيه عنده الظرفاء، ويأخذ عنه أهل الملاهي الألحان. مات في شهر رجب سنة ٧٢١.

٨١ ـ **زراعة الضحاك**: الزراعة المزرعة، ولا يعرف من هذا الضحاك. وقد ترجم ابن عساكر لكثير ممن اسمهم الضحاك، منهم الضحاك بن رمل السكسكي المحدث من أهل بيت لهيا، والضحاك بن يزيد السكسكي المحدث أيضًا. وهذه المزرعة شرقي جوبر قال عمرو بن مخلاة الكلبي يخاطب بني أمية ويذكر مقامات قومه في حروبهم:

ضربنا لكم عن منبر الملك أهله … بجيرون إذ لا تستطيعون منبرا
وأيام صدق كلها قد علمتم … نصرنا ويوم المرج نصرًا مؤزرا
فلا تنكروا حُسنى مضت من بلائنا[1] … ولا تمنحونا بعد لين تجبرا
فكم من أمير قبل مروان وابنه … كشفنا غباء الجهل[2] عنه فأبصرا
ومستلئم نَفَّسْنَ عنه وقد بدت … نواجذه حتى أهلّ وكبّرا
إذا افتخر القيسي فاذكر بلاءه … بزراعة الضحاك شرقي جوبرا
فما كان في قيس من ابن خليفة … يعدُّ ولكن كلهم نهب اشقرا

٨٢ ـ **الزعيزعية**: قرية ضُمت إلى أرض زبدين.

٨٣ ـ **الزعفرانية**: شمال برزة، يستخرج الباحثون من أرضها بعض آثار تنبئ بأنها كانت عامرة.

٨٤ ـ **زلوبية**: في التمهيد أن نور الدين وقف على مستشفاه بدمشق ضيعة من الضياع القبلية من إقليم باناس من كور غوطة دمشق تعرف بزلوبية ولعله تحريف راوية.

٨٥ ـ **زملكان**: من إقليم بيت لهيا، وهي زملكا المعروفة.

---

(١) في معجم الشعراء: فلا تنكروا نعمى مضت من بلائنا.

(٢) في رواية الحماسة: كشفنا غطاء الغم عنه فأبصرا.

٨٦ ـ **زينون**: من القرى الداثرة، ويقال لها بزينون وهي غربي سلطايا يفصل بينهما نهر الداعياني مارًّا إلى بيت سوا أضيفت أرضها إلى عربيل كما سبق.

٨٧ ـ **ساجد**: لعلها ساجر، والساجر السيل والساكن. وفي القاموس: الساجر الموضع الذي يأتي عليه السيل فيملؤُه. غير معروفة.

٨٨ ـ **سام**: من إقليم خولان، وقيل إن سام ودير هند من إقليم بيت الآبار، والنسبة إليها سامي.

٨٩ ـ **سبعين**: ورد اسمها في بعض وقائع الصليبيين سنة **٥٤٣** والأرجح أنها من الغوطة.

٩٠ ـ **سريبتين**: تحت نهر ثورا قرب مزرعة العمادية.

٩١ ـ **سلطايا**: نرجح أنها كانت على مقربة من المقبرة التي بني عليها الآن طاحون في مفرق الطريق العام بين حزة وكفر بطنا. واسم الموقع سلطايا. وقد ضمّت أرض سلطايا، إلى عربيل ولعل السلطي التي ترد في كتب الأنساب نسبة إلى سلطايا ولو كانت النسبة إلى الصلت لكانت بالصاد والتاء، خصوصًا وقد يضاف إلى السلطي الدمشقي. ومعنى سلطايا بالسريانية الصوان نسبة إلى سلطا.

٩٢ ـ **السطح**: كانت من إقليم بيت لهيا خارج باب توما. وكان يسكنها عبد الرحمن بن أبي سفيان.

٩٣ ـ **سطرا**: ورد ذكرها كثيرًا في الشعر. وخربت من زمن وكانت قرب بيت لهيا شمالي البلد، قال دهمان إنها كانت في الطريق المقابل لباب جامع القصب. ويعرف هذا الطريق بجادة عاصم. ويخترقه شارع بغداد، ثم يقابله بالجهة الشمالية جادة الخطيب وكل ذلك من سطرا. وأطلق عليها ابن المنجا وابن طولون اسم سطرا العرب.

٩٤ ـ **السفليُّون**: ذكرها ياقوت وغيره. كانت محلة عند المسجد الجديد جنوب ميدان الحصا.

٩٥ ـ **السموقية**: في الدارس أن من الموقوف على مدرسة الإقبالية الضيعة المعروفة بالسموقية.

٩٦ ـ **سوسية**: اسم جدول ماء بين سقبا وحمورية ولا يبعد أن يكون جدولًا يسقي قرية بعينها.

٩٧ ـ **السيلون**: هناك ماصية اسمها ماصية السيلون كانت تسقي المزرعة التي سميت باسمها. والسيلون موقع من أرض المزة قام عليها مستشفى المؤاساة.

٩٨ ـ **الشقيرى**: بالتصغير، مزرعة غربي جسر الغيضة أو جسر جسرين على ضفة بردى من القبلة. يظن أنها كانت منفردةً عن القرى المجاورة. وهي من المزارع الحديثة. مساحتها **٢٢** فدانًا.

٩٩ ـ **الشماسيات**: غربي كفر بطنا. يظن أنها كانت قرية.

١٠٠ ـ **الشماسية**: عند مسجد القدم. كان المأمون العباسي أقام بها مرصدًا فلكيًا، **وفي ياقوت**: أنها محلة من دمشق. وقد حفر أهل القدم تل الشماسية فعثروا فيها على مقبرة وبعض أسس قديمة.

١٠١ ـ **شمس**: من إقليم بيت الآبار، داثرة. كان يسكنها سعيد بن أبي سفيان بن حرب بن خالد بن يزيد، وكانت لجده خالد بن يزيد.

١٠٢ ـ **الصَّدِف**: غربي مقبرة الدحداح.

١٠٣ ـ **الصفوانية**: خارج باب توماء من إقليم حرلان. وحُرِّف اسمها فيُقال لها اليوم الصوفانية.

١٠٤ ـ **صنعاء دمشق**: قرية كانت بين المزة ودمشق محاذية لما كان يُقال له تل الثعالب، الذي بني في موضعه مسجد خاتون المشرف على باناس والمرج الأخضر. وهي من القرى التي نزلها اليمانيون وسموها باسم عاصمة

قطرهم. ويقول دهمان: إن صنعاء دمشق كانت غربي اللؤلؤة الكبرى والصغرى وشمالي قينية. ومنذ القرن السادس أصبحت صنعاء دمشق مزرعة وهي لعهدنا بساتين.

قال الصفدي إن زمرد خاتون أم شمس الملوك هي بانية المسجد الكبير الذي في صنعاء دمشق ووقفته مدرسة للحنفية وهو من كبار مدارسهم وأجودها معلومًا.

١٠٥ ـ **الصويطي**: أنقاض قرية تعد من المواضع الأثرية الثلاثة التي دخلت في أرض داريا.

١٠٦ ـ **طرْميس**: قرية في أرض جوبر، بين الشيخ حرملة وقبر عكاشة بقي اسم جسرها محرفًا من طاء إلى تاء، فيقال: جسر ترميس، وقد كانت قائمة في القرن الرابع كما يستدل من تاريخ ابن عساكر، وقال إن الحسن بن يعقوب الطرميسي مولى الحسن بن علي المحدث (٣٢٤) توفي في قرية طرميس.

١٠٧ ـ **الطِّيْرَة**: بكسر أوله وسكون ثانية وراء. من قوله عليه السلام: «لا عدوى ولا طيرة». والأصل التحريك. قال زين الأمناء بن عباد: بدمشق عدة قرى يُقال لكل واحدة منها طيرة بني فلان، والنسبة إليها طيري. ولم نعثر على شيء من هذه الطيرات. وقد أتى الذهبي على ذكرة طيرة واحدة فقط.

١٠٨ ـ **عالية وعويلية**: كانت عند القطائع ذكرها ابن جبير في رحلته بالعين المعجمة. وهي موضع قرب مسجد القدم على ميلين من دمشق، كما يقول ابن عساكر. وعالية في أرض قرية القدم بقي اسمها فقط.

١٠٩ ـ **العبُّ**: من مزارع دومة.

١١٠ ـ **العبّادية**: بتشديد الباء. قال ياقوت إنها قرية من قرى المرج، وإن العبادية قرية أخرى في ظاهر دمشق. والظاهر أن الأولى هي قرية العبادة المعروفة لعهدنا في مرج الغوطة. ولعلها كانت ترسم العباديه (بالهاء) فقرأها

المؤلف أو الناسخ العبّادية بتشديد الباء. أما عبادية الغوطة ففي تحقيقات المنجد أنها من إقليم بيت الآبار، سكنها عبد العزيز بن عبد الملك.

١١١ ـ **العصرونية**: ربما كانت قرية مجاورة للبلد بقي اسم قناتها التي تنبع من أرض الميدان وتجتاز أرض الشاغور وتسقي بعض أرض يلدا.

١١٢ ـ **العطارة**: شرقي برزة، ما يزال النباشون يسقطون في خرائبها على عاديّات وآثار خزفية وحديدية ونحاسية وغيرها.

١١٣ ـ **عليّة**: موقع من مواقع حرستا البصل ربما كانت قرية.

١١٤ ـ **العنابة**: مجموع بساتين من دون جسر تورا الآخذ إلى طريق دوما. تحتوي على دور وقصور. وعادت في القرن الماضي إلى النهوض وعمرت فيها بعض الدور والقصور. فدمرتها السلطة المحتلة في الثورة السورية لأسباب حربية. وهي لصيق بيت لهيا. وتعرف اليوم بجنائن الورد.

١١٥ ـ **العوينة**: تصغير عين من أرض حرستا، ويظن أنها بقايا قرية، وهناك عوينة القصارين ولعلها التي عرفت مؤخرًا بعين القصارين تحت مدرسة التجهيز في الشرف الأعلى ثم طمت ودخلت في حدائق ذاك الشرف.

ومن العوينات عوينة الحمى يحتمل أن تكون بكسر الحاء، وهي المنزل وإذا كانت بضم الحاء وتشديد الميم فمعناها أن ماءها يشفي من الحُمّى.

١١٦ ـ **فتريس**: من إقليم داعية، وتسمى «الأفتريس» لعهدنا وهي قرية ما برحت عامرة. سكنها زياد بن عنبسة الأموي.

١١٧ ـ **فذايا**: جنوبي مقبرة اليهود. قال ابن عساكر إنها كانت قرية فخربت وفي ابن القلانسي: وحلفبلتا والخامس كانت مصاقبة للبلد وفذايا تحريف بذايا، وهي الهراوة أو نصاب الفأس بالسريانية. وإذا حرفت تحريفًا آخر، كان معناها صانع الصدرات والجبب والمدرعات.

روى ابن عساكر عن مضر بن العلاء أنه كان يعرف من زقاق فذايا إلى قرية تعرف بواسط في الغوطة حوانيت ومنازل. وحكى عن شيوخهم أنهم

قالوا: إن العمران كان يتصل حتى يصير سوق القمح في قرحتا. وقرحتا على بضعة كيلومترات من دمشق.

١١٨ ـ **فطم التلة**: هي تل عظيم في أراضي حوش الريحانية فيه حجارة وأنقاض وفي هذه القرية تلال لا اسم لها، والفَطْم باصطلاح الغوطة الأرض التي يجيء دور زراعتها في السنة بعد السنة.

١١٩ ـ **الفُنَيْدق**: بالتصغير أو خربة الفنيدق تابعة لصحنايا.

وكان في الغوطة قرى يبدأ اسمها بفندق، كما كان فيها قرى تبدأ بكفر وأخرى بطيرة وغيرها ببيت. والفندق كقنفد كما في التاج بلغة أهل الشام الخان، السبيل من هذه الخانات التي ينزلها الناس مما يكون في الطريق أو المدائن. وكان أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز من أول الخلفاء الذين اتخذوا الخانات للمسافرين كما اتخذوا دور الضيافة للواردين. ومن فنادق الغوطة فندق الفارقي وفندق الراهب أو بني الراهب كان قبلي المصلى على يسار المار بالمسجد الجديد مسجد أبي الفلوس في ميدان الحصا، وفندق بني عبد المطلب خارج باب الجابية. وورد في كتب التاريخ الفندقي نسبة للفندق أو صاحبه أو مديره، ونُسي مع الزمان اسم الفندق واستعيض عنه بالخان ثم غلب اسم النُّزُل والجمع أنزال (تعريب أوتيل أو هوتيل).

١٢٠ ـ **القابون التحتاني**: هي أرض مزرعة العمادية فيها بيوت قليلة. والقابون الفوقاني هي القرية الأصلية، وهي عامرة.

١٢١ ـ **القابون الفوقاني**: قال في الدارس إنها قرية كبيرة بها جامع وعدة مساجد وحمام وسوق وبها خلق من التركمان والحوارنة وغيرهم.

١٢٢ ـ **القدم**: هذه القرية من الأمهات جنوبي دمشق، مكانها جديد والقديمة كانت على مقربة منها إلى الغرب. ومن قصيدة لابن القيسراني وهو الذي خلد بشعره انتصارات المسلمين على الصليبيين:

وحاولوا (المسجد الأدنى) فما عبرت ... عن مسجد القدم الأقصى لهم قدم

ومسجد القدم مشهور.

١٢٣ ـ **قردى**: والنسبة إليها القَرَديّ قال لسترانج إنها من الغوطة.

١٢٤ ـ **قرية سيدي مدرك**: بالقرب من راوية المعروفة بقبر الست.

١٢٥ ـ **قصر بني عمر**: ذكر ابن عساكر أنها قرية في الغوطة وذكر من خرج منها من المحدِّثين.

١٢٦ ـ **قصيبان**: المظنون أنها قرية واسم قناتها مازال على الألسن وهي تخرج من تحت بيوت ببيلا.

١٢٧ ـ **القصير**: بلدة غربي كفرسوسية قال ابن طولون وقد خربت الآن وهي خراب. أما قصير دومة فسماها قصير القوافل لأنها على طريق القوافل.

١٢٨ ـ **القطيعة**: ظاهر دمشق ورد ذكرها في أخبار فتنة أبي الهيذام ولكن بالفاء لا بالعين، والمظنون أن الفاء تحريف، وهي عند السفليين سكنها الحكم بن عبد الله بن روح بن الوليد كما ورد في ابن عساكر.

١٢٩ ـ **قُلْبِين**: يقول ياقوت إن قلبين بالقاف وكسر الباء كانت عند طرميس وذكر أيضًا قلتين بالتاء، والأرجح أن الثانية محرفة عن الأولى والأولى بكسر الباء وردت في الشعر في قافية مع جسرين. ولقلبين قناة ماء حُرفت قافها فصارت ألفًا فيقال لها اليوم قناة أُلبين بكسر الباء وهي تسقي بعض مزارع جوبر.

١٣٠ ـ **القوينصة**: سكن الوليد بن أبان الأموي هذه القرية في ظاهر دمشق.

١٣١ ـ **قينية**: كانت مقابل الباب الصغير وصارت بساتين في القرن السادس (ياقوت) ويقول صاحب القاموس إنها صارت في عهده بساتين والغالب أنها خربت في القرن السادس وربما قبله. وفي ذيل تاريخ دمشق أن المحاربين كمنوا في خراب قينية وكان ذلك في القرن السادس. يقول دهمان إنها مكان الطريق الذي يُذهب منه إلى المزة من جهة باب السريجة وهو حذاء

باب السريجة تمامًا. وفي تلك الجهة بنيت مدرسة الطب المعروفة باللبودية وهناك بستان لايزال يعرف ببستان البودي.

١٣٢ ـ **كثار**: يقول ابن عبد الهادي إنها قبلي فذايا خربت ولم يبق منها غير مسجدها.

١٣٣ ـ **كفر مدير**: هكذا وردت في محضر ماء ثورا وكان تاريخه الأخير سنة ٩٠١. والغالب أن كفر مدير هي قرية مَدْيرة أو مديرى بعينها.

١٣٤ ـ **كمشتكين**: وفي رواية (كشملين) بالشين وهو تحريف، كان عبد الواحد بن سليمان يسكن كشملين خارج باب السلامة وفي كتاب المساجد: عين كمشتكين والوراقة القديمة.

١٣٥ ـ **كوكب**: ذكرها صاحب نزهة المشتاق بأنها من الغوطة وهي مجاورة لداريا، وفي بعض المظان أنها كوكبا بألف في آخرها.

١٣٦ ـ **اللؤلؤة الكبرى**: يقول دهمان إنها حارة الحلبوني. وأن لؤلؤة الصغرى هي قبلي حارة الحلبوني من بساتين باب السريجة، وتعرف تلك الجهة بزقاق الجنّ. واللؤلؤتان الكبرى والصغرى في أرض كفرسوسية بينها وبين المزة. ظاهر أثرهما إلى الآن. وقد وصف ابن شاكر اللؤلؤتين فقال منظرتان كانتا ظاهر دمشق فيما يلي باب الحديد غربًا وكانتا من أعجب البناء أحرقهما الفاطميون لما حاصروا دمشق.

١٣٧ ـ **ماذنة**: من خرائب قرية القدم.

١٣٨ ـ **المأمونية**: على خطوات قليلة من معمل الجلد في طريق جوبر فوق مزرعة آل مردم بك. ولابن الخياط الدمشقي قصيدة في وصف المأمونية وبركتها والأنابيب والفوارة والشاذروانات وما ينبت فيها من الخشخاش.

١٣٩ ـ **مجريد**: يظن أنها كانت قرية غربي كفر بطنا واسم نهرها مازال معروفًا.

١٤٠ ـ **المحمديات**: في مخطط دهمان أنها بستان فيه طاحون العثمانية.

١٤١ ـ **المرج**: عدة أماكن: المرج قرب داريا غربي خولان، وفي وقائع الحروب الصليبية قال الشاعر من قصيدة مطلعها:

بشطي نهر داريا أُمور ما تؤاتينا
وجازوا المرج والتعديـ ـل أيضًا والميادينا

وربما كان هذا المرج غير المرج الأول، والتعديل اليوم محلة على القنوات، والميادين لابد أن يكون أحد الميادين الأربعة التي كانت في دمشق ومنها ميدان الحصا ويطلق عليه اليوم الميدان وفي هذه القصيدة أيضًا:

فولوا يطلبون المر ج من شرقي جسرينا

وهذا المرج هو مرج الغوطة وهو أوسع المروج وإقليم بذاته.

١٤٢ ـ **مرج الأشعريين**: كان مكان خانقاه الطواحين من أرباض دمشق ويقول دهمان إنه كان شمالي قلعة دمشق، وهو يشمل سوق التبن وخان البطيخ وخان الباشا إلى سويقة صاروجا المشرفة على مرج الأشعريين.

١٤٣ ـ **مرج الشيخ رسلان**: قال البدري إنه من محاسن الشام وذكر الوادي التحتاني وهو شرقي مرج الشيخ، ويشتمل على غياض ورياض فالرياض هي رياض السفرجل وفيه يقول القيراطي:

فؤادي إلى بانات (جلّق) مائل ودمعي على أنهارها يتحدر
غياض يفيض الماء في عرصاتها فتزهو جمالًا عند ذاك وتزهر
فوافِ إلى زهر السفرجل شيقًا إذا ما بدا مثل الدراهم ينثر
ترى (بردى) فيها يجول كأنه وحصباؤه سيف صقيل مجوهر

١٤٤ ـ **مزرعة بيت حمادة**: في آخر أرض كفر بطنا من الشرق وفي أول أرض جسرين، عثر فيها على دمن وأنقاض وأوان بيتية ويظن أنها كانت قرية.

١٤٥ ـ **مزرعة حاروش**: من توابع زبدين، وحاروش عين جيدة الماء

تسقي بعض قرى المرج، وفي الغوطة **تكثر هذه الصيغة**: حاروش ساروط طاروق قاشوش جارور ساطور الخ.

١٤٦ ـ **المزة**: بُنيت القرية الحالية فوق قناة، أما القرية القديمة فهي تحت قناتها الراكبة على مقسم نهر الداراني المعروف بمقسم النفلة، وما برحت آثارها ظاهرة إلى اليوم ينزعون أحجارها ويبنون بها.

١٤٧ ـ **مسنون**: قرية ورد اسمها في الدارس.

١٤٨ ـ **مصطبة السلطان**: في القابون أو في أرض برزة، بنيت في عصر المماليك، وكان أهل الدولة في ذهابهم وإيابهم إلى فروق عاصمة الملك يجلسون فيها، خربت كلها.

١٤٩ ـ **المصيصة**: بالتخفيف لا بالتشديد، قرية شرقي بيت لهيا، كانت عامرة فخربت، قال **القرماني**: إنها قرب بيت لهيا، وكان يسكنها عبد العزيز بن عبد الرحمن الأموي.

١٥٠ ـ **مطيرة**: ضيعة من ضياع دمشق، منها الحسن بن علي بن الحسين أبو القاسم المريّ المعروف بالمطيري (ابن عساكر).

١٥١ ـ **مقرى**: بضم الميم ومنهم من يفتحها، والنسبة إليها المقراوي، كانت غربي طاحونة الأشنان من أرض الصالحية. وكان في جادة مقرى دور كبار عليها آثار النعم، منها السبع قاعات، هدمت في القرن العاشر. وقد ذكرت في الشعر كثيرًا ومما قاله فيها ابن الفراش:

إذا ما طفتَ حول ديار مقرى فعرج بي إلى دير الحكيم

وحقق دهمان موقعها فقال: هي غربي طاحون الأشنان (بيت أبيات) على ضفة نهر ثورى، وهناك طاحون ما فتئت تعرف بطاحون مُقرى. والسبع قاعات كانت في أرض مقرى وتذكر على الألسن إلى اليوم.

١٥٢ ـ **منازل بني رعين**: غربي البلد، لم يمكن تعيين موقعها.

١٥٣ ـ **ميدعا**: قرية من إقليم حرلان داثرة.

١٥٤ ـ **الميطور**: قال ابن شداد والميطور كان مزرعة ليحيى بن أحمد بن يزيد بن الحكم وكان يسكن أرزونا وهو الميطور الشرقي.

١٥٥ ـ **الميطور**: في أرض الصالحية آخر حدودها تحت نهر يزيد. ويقول دهمان: إن الميطور شمالي حور تعلة، ولا يزال في تلك الجهة بستان يدعى بستان النيطور بالنون.

١٥٦ ـ **النحاسية**: قرية في أرض حوش الريحانية.

١٥٧ ـ **نصيب**: من متنزهات دمشق وللراعي المعروف بابن خداويردي (١١٩٥):

وفي (نصيب) جحفل الأطيار ... ومجمع الأزهار والأنهار
ومجمع الأمواه (جسر الغيضه) ... وحيثما يممت تلقى روضه

وجسر الغيضة معروف يجمع بين قرى شمالي الغوطة وجنوبها، ومنه انبعثت الجذوة الأولى من الثورة السورية.

١٥٨ ـ **النمرانية**: قرية من ناحية الوادي، كان معاوية بن أبي سفيان أقطعها نمران بن يزيد بن عبيد المذحجي.

١٥٩ ـ **النيرب**: كانت مدينة ذات تسعة مساجد، وفي بعض الروايات قرية في سفح جبل قاسيون، وربما قيل للنيرب: النيربان. قال البدري: إن محلة النيربين تعلو البهنسية وجسر ابن شواش وإنها من أعظم المحلات، وبها مساكن الرؤساء والأعيان، وكانت عامرة في القرن الثامن ثم أخذت بالخراب، ولابن لؤلؤ الذهبي:

ويوم لنا بالنيربين رقيقة ... حواشيه، خال من رقيب يشينه
وقفنا وسلمنا على الدوح بكرة ... فردت علينا بالرؤوس غصونه

وقال ابن عنين:

أشاقك من عليا دمشق قصورها ... وولدان روض (النيربين) وحورها

ومنبجس في ظل أحوى كأنه ثياب عروس فاح منها عبيرها
منازل أنس ما أَمَحَّتْ ولا امَّحت بمرِّ الغوادي والسواري سطورها
كأن عليها عبقريَّ مطارف من الوشي يسديها الحيا وينيرها
تزيد على الأيام نورًا وبهجةً وتذوي الليالي وهي غض حبيرها
إذا الريح مرت في رباها كريهة حباها بطيب النشر فيها مرورها

ووصف النيرب ابن حبوس بقوله:

بأذيال دَوْح نَيْربيّ كأنه سماء دجى أبدت من النور أنجما
إذا قابلت شمس الأصائل ما علا تَدنَّر، أو بدرُ الظلام تدرهما

ولبعضهم:

وصبا صَبَتْ من (قاسيون) فسكنت بهبوبها وَصَبَ الفؤاد البالي
خاضت مياه (النيربين) عشية وأتتك وهي بليلة الأذيال

وقاسيون جبل دمشق يحد الغوطة من شمالها.

١٦٠ ـ **الهلالية**: مزرعة دخلت في أرض حمورية تقع إلى الشرق منها وإلى غربي حوش الأشعري، ومساحتها ستون فدانًا.

١٦١ ـ **وادي مكرم**: بين الربوة إلى تحت صخرة المزة في أرباض دمشق كانت تخرج منه القراصيا البلدية المشهورة، وليس من أثر لاسم الوادي ولا لزراعته.

١٦٢ ـ **الواديان**: ذكر القدماء من علماء تقويم البلدان أن دمشق تفاخر بالواديين، وفي رواية أخرى بالزاربين. والواديان على الأرجح وادي بردى ووادي معربا، ويرى دهمان أن المراد بالواديين: وادي بردى الغربي ووادي بردى الشرقي حينما يقطع الصفوانية متجهًا إلى الغوطة، وورد ذكر الواديين في شعر ابن الساعاتي في قوله:

سقى الله (برزة) و(الواديين) غير البكاء وغير الوشلْ

منازل لهو كساها الزمان أعلى الحليّ وأغلى الحللْ

وقال أيضًا:

سُقيتْ دمشق وجارتا (جيرونها) بمُلِثٍّ أخلاف القطار هتونها
صِنعٌ يعيد على البطاح بصبغه ما حال عام المحلِ من تلوينها
وكسا حياء البرق كل خميلة جنات (نيربها) إلى (قابونها)
فعراص (مزتها) إلى (قنواتها) (فالواديين) إلى شعاب (منَينها)

١٦٣ ـ **واسط**: في جنوبي دمشق بعد قرية فذايا.

١٦٤ ـ **يروى**: قرية داثرة لا يعرف محلها.

١٦٥ ـ **يعقوبا**: غربي حزة بينها وبين عين ثرماء، بقي اسمها وأنقاض قليلة منها تتألف منها أكمة صغيرة وهي داخلة في أرض حزّة. وكان فيها مزرعة وقفت على المدرسة الظبيانية.

١٦٦ ـ **يلدان**: من إقليم باناس. وهي يلدا على الأكثر كما قالوا: زملكا وزملكان.

١٦٧ ـ **اليهودية**: مزرعة من مزرعة بيت سوا، يظن أنها كانت قرية مستقلة، وفيها مقبرة ظاهرة قديمة وأنقاض بناء قديم.

الفصل العشرون

القصـــور الداثرة

قال ابن شاكر: في قرى الغوطة والمرج القصور والديورة(*) والمنازل المعروفة مما عفا رسمها وبقي ذكر اسمها. وقد بنى كثير من الأمويين في أرض الغوطة قصورًا ودورًا لم تصلنا صورتها. وكذلك أقام بعض عمال المصريين ـ أي الفاطميون ـ بعض القصور في دمشق لسكناهم ونعيمهم. وبنى الأيوبيون القصور والجواسق فيها، وتبعهم نفر من سلاطين المماليك ونوابهم. وأقام بعض ولاة الأتراك وأعيان دمشق في العهد العثماني قصورًا. فما حفظته لنا الكتب من أسمائها.

١ ـ **الصُّفَّة**: هي ما نسميه بالمصطبة أو «فيللا». قال الصفدي: كان تاج الدين بن شقير (٦٦٧) يلقب بالهدهد، فأعطاه الملك الناصر صفّة على نهر ثورى فحسده جماعة وسعوا إلى إخراجها من يده، فكتب إلى الملك الناصر:

ما قدر داري في البناء فسعيهم ... في هدمها قد زاد في مقدارها

هب أنها إيوان كسرى رفعة ... أَوَ مَا بجودك كان أصل قرارها

إلى أن قال:

فالنص جاء عن النبي محمد الـ ... ـهادي: أقِرُّوا الطير في أوكارها

(*) يُجمع الدَّيْرُ على أَدْيار ودُيُوْرَة ودِيَرَة (المراجع).

٢ ـ **القصور**: غربي كفرسوسية، قال ابن طولون وقد خربت، وهي إلى الآن خراب.

٣ ـ **القُصير**: تصغير قصر، من مزارع دومة. وفي أرضه قام لعهدنا مستشفى المجاذيب والجذامى (ابن سينا والوليد)، وكان فيه خان عظيم لنزول القوافل.

٤ ـ **القصر الأبلق**: قصر عظيم بني من أسفله إلى أعلاه بالحجر الأسود والأصفر، لذلك سمي الأبلق، بناه الملك الظاهر بيبرس البندقداري صاحب مصر والشام.

وعلى مثاله بنى الناصر محمد بن قلاوون القصر الأبلق بقلعة الجبل بمصر. قال ابن فضل الله: وأمام القصر الأبلق بدمشق دركاه(١) يدخل منها إلى دهيلز القصر، وهو دهليز فسيح يشتمل على قاعات ملوكية مفروشة بالرخام الملون البديع الحسن، المؤزر بالرخام، المفصّل بالصدف والفص المذهَّب إلى سجف السقف، وبالدار الكبرى إيوانان متقابلان، تطل شبابيك شرقيهما على الميدان الأخضر، وغربيهما على شاطئ واد أخضر يجري فيه النهر ـ بردى ـ وله رفارف عالية تناغي السحب، تشرف من جهاتها الأربع على جميع المدينة والغوطة. وذكر ابن تغري بردي أن القصر الأبلق بقي عامرًا تنزله الملوك إلى أن هدمه تيمورلنك في سنة ٨٠٣ عند حريق دمشق وخرابها. والأرجح أنه بقي عامرًا إلى عهد العثمانيين رآه ابن طولون الصالحي وقرأ تاريخه (٦٦٨) وقال: إن أسكفته ضرب من رخام أبيض وسطه مكتوب: عمل إبراهيم بن غنائم المهندس.

وما يزال اسم ابن غنائم هذا محفورًا على الحجر في مدخل المدرسة الظاهرية الجوانية التي جُعلت دار كتب وعرفت بدار الكتب الظاهرية. وعلى

---

(١) الدركاه: بيت مستطيل أمام الدار يرتفق به.

أنقاض القصر الأبلق قامت التكية السليمانية أعظم تكايا الترك العثمانيين في الديار الشامية.

٥ ـ **قصر بني يعفر**: هكذا ذكره الصلاح الصفدي في ترجمة الوزير ابن شُكر من وزراء الملك العادل، قال: هو الذي عمره ولا يعرف محله، وقلّ أن ذكر في كتب الخطط. وكان هذا الوزير غنيًا جدًا بلغ مجموع مغله مئة ألف وعشرين ألف دينار، وعمر مباني كثيرة في الشام ومصر.

٦ ـ **قصر تنكز**: ذكر ابن كثير أنه كان في طريق داريا.

٧ ـ **قصر حجاج**: يقول ابن عساكر: إنها محلة كبيرة في ظاهر باب الجابية. والقصر منسوب إلى حجاج بن عبد الملك بن مروان.

قال ابن شاكر: وكان قبله أيضًا معروفًا بالحجاجية، وكان ملكًا للحجاج بن يوسف الثقفي. فلما ولد لعبد الملك بن مروان ابنه الحجاج المذكور، وكانت أمه بنت محمد بن يوسف أخي الحجاج بن يوسف، سَمَّتْه باسم عمها الحجاج، فنحله الأرض المذكورة وبنى له القصر، فعرف به ونسب إليه. وما برحت محلة قصر حجاج عامرةً معروفةً باسم صاحبها الأول.

٨ ـ **قصر الدهشة**: في البداية والنهاية في حوادث سنة ٦٠٨: وفيها اشترى الملك الأشرف جوسق الرئيس في النيرب من ابن عمه الظاهر خضر بن صلاح الدين وبناه بناءً حسنًا، وهو المسمى في زماننا بالدهشة.

وإياه عنى فتيان الشاغوري من قصيدة في مدح الملك الأشرف:

هُنِّئت بالجوسق العالي الذي عجزت ... عن وصفه فصحاء العجم والعرب

كالقصر في الجنة الفيحاء يحسده ... إيوان كسرى على ما فيه من نخب

يشقّه نَهَرٌ ناهيك من نَهَرٍ ... كأنه الكوثر المُعطاه خير نبي

أبدى المهندس خط الاستواء به ... فالماء يركض بالتقريب والخبب

كأنما قصره في دسته ملك كل القصور لديه لاثم العتب

وفي الشذرات: وكان للأشرف في بستانه الذي بالنيرب أماكن هناك مشهورة مزخرفة مثل صفة بقراط وغيرها يخلو بها، وأباح لأهل دمشق الفرجة بها تطييبًا لقلوب الرعية. وفي الدهشة ألف تاج الدين السبكي كتابه الشهير (جمع الجوامع) وفي الدارس عن ابن قاضي شهبة في حوادث سنة **٨١٦** أنه خرب فيها ثلاثة مساكن، وهي أحسن مساكن بساتين دمشق: الدهشة، وبستان ابن النشو على حافة ثورى بالقرب من الربوة، وبستان ابن جماعة في المزة. وهذا الثالث نقلت آلته إلى مدرسة الخواجا إبراهيم بن الأسعردي.

٩ ـ قصور الربوة: وكان من جهتي وادي الربوة قصور وجواسق وأبنية رآها ابن طولون وقال: لم يبق منها إلّا القليل.

١٠ ـ قصور السكسكي: وهي قصور محمد بن عمرو السكسكي في بيت لهيا. قال ابن عساكر: وكان له في هذا الإقليم عدة قصور مبنية بالحجارة وخشب الصنوبر والعرعر. في كل قصر منها بستان ونهر يسقيه. وكان كل جليل يقدم من الحضرة (بغداد) أو من مصر يريدها ينزل عنده وفي قصوره. وكان ذلك في القرن الثالث. والسكسكي من اليمانيين جماعة بني أمية.

١١ ـ قصور الشرفين: اشتهرت قصور الشرفين الأعلى والأدنى، وكانت مما يُفاخر به.

١٢ ـ قصر صاري بك: أنشأ حسين صاري بك (**١٠٩٤**) أحد ولاة دمشق قصرًا في طرف الشرف بالميدان الأخضر، وكان مكانه يعرف بالخاتونية. وذكر المؤرخون في العهد العثماني أنه تأنق في وضعه وغرس فيه أنواع الأشجار من كل صنف، وعزّ عليه بدمشق بعض أنواع الفاكهة فجلبها من أماكن بعيدة.

١٣ ـ قصر الصفوري: كان لأبي البقاء الصفوري المتوفى سنة **١٠٣٥**.

وكان يسمى صاحبَ القصر لقصرٍ كان له في الصالحية. وكان في القرن الحادي عشر من أحسن المتنزهات، وفيه يقول الأمير المنجكي:

أقسمتُ بالبيت العتيق وما حوت بطحاؤه من حجره وحجونه
ما ضمّت الدنيا كقصرك منزلًا كلا ولا سمحت بمثل قطينه

١٤ ـ **قصر عاتكة**: قال ياقوت في أرض عاتكة خارج باب الجابية. منسوب إلى عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب أم البنين. وهي زوجة عبد الملك بن مروان. وأم يزيد بن عبد الملك، وبهذا القصر مات عبد الملك بن مروان. قال ابن حبيب: كانت عاتكة بنت يزيد بن معاوية تضع خمارها بين يدي اثني عشر خليفة كلهم لها محرم: أبوها يزيد بن معاوية، وأخوها معاوية بن يزيد، وجدها معاوية بن أبي سفيان، وزوجها عبد الملك بن مروان، وأبو زوجها مروان بن الحكم، وابنها يزيد بن عبد الملك، وبنو زوجها الوليد وسليمان وهشام، وابن ابنها الوليد بن يزيد، وابن ابن زوجها يزيد بن الوليد بن عبد الملك وإبراهيم بن الوليد المخلوع، وهو ابن ابن زوجها أيضًا. وعاشت إلى أن أدركت مقتل ابن ابنها الوليد بن يزيد. ويطلق لعهدنا على قصر عاتكة أو أرض عاتكة قبر عاتكة، وهي من أحياء دمشق خارج السور ظاهر باب الجابية.

١٥ ـ **قصر خُمارويه**: ذكر ابن تغري بردي أن خمارويه بنى قصرًا بسفح قاسيون أسفل دير مران يشرب فيه الخمر، وفيه ذُبح سنة **٢٨٢** هـ وحمل في تابوت من دمشق إلى مصر (راجع الدّكة والدرّاسة في فصل القرى الداثرة).

١٦ ـ **جوسق العادل**: جوسق كان للملك العادل الأيوبي على الشرف. ذكره ابن تغري بردي.

١٧ ـ **قصر الفقراء**: بناه نور الدين في الربوة ووقف عليه قرية داريا. لتكون قصور الفقراء إلى جانب قصور الأغنياء، ذلك أن قصور هؤلاء كانت

عظيمة في تلك البقعة فأحب سيد الشام ألا يحرم الفقراء من قصر يصطافون فيه ويرتبعون، كما يصطاف أرباب اليسار ويرتبعون فقال التاج الكندي:

إن نور الدين لما أن رأى في البساتين قصور الأغنياء
عمَّر الربوة قصرًا شاهقًا نزهة مطلقة للفقراء

ويقول ابن عبد الرزاق إن الملك نور الدين محمود بن زنكي خرج يومًا إلى جهة الربوة فقيل له هذا بستان فلان، وهذا قصر فلان، فقال: وما للفقراء شيء؟ قالوا: لا. فبنى لهم هذا المكان وجعله مشهدًا للناس.

١٨ ـ **جوسق ابن الفراش**: ذكر أبو شامة في الروضتين أن ابن الفراش كان له جوسق بالشرف الأعلى في بستانه، وأن صلاح الدين يوسف كان يزور القاضي الفاضل ليستضيء برأيه فيما يريد فعله في هذا الجوسق.

ولم يكن صلاح الدين من الراغبين في عمارة الدور والقصور، حتى إن الصفي بن القابض لما تولى خزانة دمشق لصلاح الدين بنى له دارًا مطلة على الشرف بالقلعة، وأنفق عليها أموالًا كثيرة وبالغ في تزيينها وتحسينها وظن أنها تقع من السلطان بمكان، فما أعارها طَرْفًا ولا استحسنها، وكانت من جملة ذنوبه عند السلطان التي أوجبت عزله عن الديوان وقال:

ما يصنع بالدار من يتوقع الموت، وما خلقنا إلا للعبادة، والسعي للسعادة وما جئنا لنقيم، وما نروم إلا نريم.

١٩ ـ **قصر كريم الدين**: ذكر المحبي أن يوسف بن كريم الدين رئيس الكتاب بمحكمة الباب بدمشق المتوفى سنة **١٠٣٢** عمر القصر بالصالحية، وكان من أحسن المتنزهات وفيه يقول الأمير منجك:

قصور الشام محكمة المباني ولا قصر كقصر بني الكريمي

٢٠ ـ **قصر اللباد**: قال القدماء إنه دير مسكون آهل بين دمشق وبيت أبيات. وقد حقق دهمان موقعه فقال: إنه في طريق بساتين الصالحية التي

يُذهب إليها من حيّ القزازين على نحو ألف خطوة. وهو بستان كبير متصل بطاحون الأشنان، وما زال يُعرف إلى الآن بقصر اللبان.

٢١ ـ قصر المأمون والمتوكل: كان القصر الذي بني للمتوكل العباسي في طريق داريا. اختار البانون هذا المكان لبعده عن ضباب الغوطة ورطوبتها. قال المسعودي: إن المتوكل لما نزل دمشق أبى أن ينزل المدينة لتكاثف هواء الغوطة عليها، وما يرتفع من بخار مياهها، فنزل قصر المأمون وذلك بين داريا ودمشق على مسافة من المدينة في أعالي الأرض، وهذا الموضع يشرف على المدينة وأكثر الغوطة. وكان يعرف بقصر المأمون إلى سنة **٣٣٢**.

وفي عيون التواريخ أن المتوكل أقام بدمشق سنة **٢٤٤** وبنى بها القصور وهي التي بطريق داريا. ثم إنه استوخمها ورأى أن هواءها بارد رديء وماءها ثقيل بالنسبة إلى هواء العراق ومائه. ورأى أن الهواء يتحرك بعد الزوال في زمن الصيف فلا يزال في اشتداد يثير الغبار إلى قريب من ثلث الليل. ورأى كثرة البراغيث بها، ودخل عليه فصل الشتاء فرأى من كثرة الأمطار والثلوج أمرًا عجيبًا، وغلت الأسعار وانقطعت الأجلاب فضجر وعاد إلى بغداد.

٢٢ ـ قصور المرجة الخضراء: ذكرها صاحب جهان نما وكانت عامرة آهلة في عصره. وكان في المرجة الدور المنيفة والقصور الفخمة، وكل ذلك زال بعد القرن التاسع.

٢٣ ـ قصر الملوك أو مصطبة السلطان: قال البدري: القابون قابونان فوقاني وتحتاني، وبهما أرض مصطبة السلطان وهي مصطبة في قدر فدان يصعد إليها بنيف وعشرين درجة من جهاتها الأربع، وفيها قصر حسن البناء ينزل به الملوك والسلاطين عند توجههم إلى الأسفار. وقد بنى الناصر داود بن الملك المعظم عيسى بن الملك العادل قصرًا في قرية القابون لم ير الراؤون مثله.

٢٤ ـ قصر الأمير منجك: في كتاب ولاة دمشق في العهد العثماني أن الأمير منجك بنى قصرًا هائلًا في المرجة وكان عام عمارته سنة **١٠١٢**هـ.

٢٥ ـ **قصر هرقل**: بالشرف الأعلى الشمالي ويعرف في زمن ابن فضل الله العمري بقصر شمس الملوك. قال ولم يزل منزلًا للملوك ومتنزهًا لأهل البلد لإشرافه على نهر بردى والوادي، ونزله السلطان صلاح الدين، ووصف البركة التي فيه ابن صغير القيسراني لما دخل على تاج الملوك بوري بن طغتكين بقوله:

أو ما ترى طرب النسـ ـيم إلى الغدير إذا تحرك
وإذا الصبا هبت عليـ ـه أتاك في ثوب مفرك
بل لو رأيت الماء يلـ ـعب في جوانبه لسرك

٢٦ ـ **قصر يزيد**: من إقليم بيت الآبار وكان يسكنه عبد العزيز بن عبد الرحمن بن الوليد بن عبد الملك.

هذه أسماء بعض القصور التي قامت في الغوطة، وكان فيها كثير غيرها. ولم يبق من أثر لأنقاض قصور الأغنياء ولا الفقراء ولا لقصر المأمون والمتوكل ولا لقصور الربوة والشرفين. وقد بقيت قصور الأغنياء في الربوة إلى القرن العاشر، ثم خربت، كل أولئك بما لاقته البلاد في القرنين الحادي عشر والثاني عشر من تعدّي عسكر الانكشارية، وسوء إدارة القائمين بالأمر من العثمانيين. وقد كان دخول العثمانيين إلى دمشق سنة **٩٢٢** بدء خراب هذه القصور.

وفي أوائل هذا القرن صحّت نية أغنياء دمشق ممن يملك حدائق في ضاحيتها وقراها على إقامة القصور والدور الجميلة فيها. وخربت هذه القصور والدور في الثورة السورية (١٩٢٥ ـ ١٩٢٦) وأهم ما أصابه الحريق والتدمير بيوت برزة والقابون والعنابة وجرمانا والمنيحة والحديثة وزبدين وجسرين وحمورية وافتريس وجوبر والمزة. ومن القرى ما دثر برمته مثل جسرين والمنيحة وبرزة ثم عادت فبُنيت. كما خربت في دمشق نفسها أجمل دورها وقصورها الأثرية.

الفَصْلُ الحَادِي وَالعِشْرُون

الدُّيُورة(*) الداثرة

الدَّيْرُ خان النصارى، وهو غير الكنيسة وقد حفظت لنا الكتب أسماء دِيَرةٍ كثيرة كانت في الغوطة. ويغلب على الظن أن القرى التي يبدأ أولها بدير، كانت أولًا دَيْرًا فقط، ثم توفرت بجانبه الأرض المغروسة والمزروعة وكثر القائمون على حراثتها وزرعها فأصبح الدير على توالي الأيام قرية برأسها، كما كان الحال في كثير من المدن والقرى في بلاد الغرب خلال القرون الوسطى: استحال الدير بلدًا مع مرور الأيام فمما وقع لنا من أسماء الدِّيَرَةِ الداثرة:

١ ـ **دير ابن أبي أوفى**: كان خارج باب الجابية.

٢ ـ **دير بحدل**: لم يبق من القرى التي تبدأ باسم دير في الغوطة سوى دير بحدل. وهو منسوب إلى سعيد بن مالك بن بحدل. وكان وَلِيَ إمرة قنسرين والجزيرة في أيام يزيد بن معاوية فأقطعه إياها. وهو اليوم زرائب للبهائم وحواصل للغلات وبيوت للفلاحين.

٣ ـ **دير بشر**: كان شرقي سبينة الشرقية. واسم قناته مشهور وتمر من حوش بلاس، ينسب إلى بشر بن مروان. وبين حجيرا وسبينة مزرعة يقال لها

(*) انظر حاشية بداية الفصل العشرين (ص٢٠٦). (المراجع).

مزرعة بشر. وقد حدد موقعه في كتاب وقف سيف الدين الرجيحي. ويؤخذ من كتاب التمهيد أن دير بشر كان في القرن السابع عامرًا.

٤ و٥ ـ دير بولس، ودير بطرس: كانا ظاهر دمشق في نواحي بني حنيفة، لا يبعد أحدهما عن الآخر كثيرًا. وإياهما عنى جرير بقوله:

لما تذكرت (بالديرين) أرقني صوت الدجاج وقرع بالنواقيس
فقلتُ للركب إذ جَدّ الرحيل بنا يا بعد يبرين من باب الفراديس(١)

وقال ابن قتيبة في الشعر والشعراء أنه أراد بالديرين دير خالد بن الوليد فَثَنَّى وهو دير مشهور.

٦ ـ ديرتاودورس: كان في أرض النيرب.

٧ ـ دير حرملة: يقول ابن عساكر إنه كان عند دير البقر بدمشق ديران أحدهما لخالد بن الوليد أقطعه إياه أبو عبيدة والآخر لأخيه حرملة بين الوليد مع قرية بالغوطة تعرف بدير حرملة، بعد أن كاتب أبو عبيدة فيها عمُر فأذن له. وربما كان هذا الدير في أرض جوبر عند مزار يقال له سيدي حرملة.

٨ ـ دير الحكيم: (راجع مقرى في فصل القرى الداثرة).

٩ ـ دير الحميري: كان بين حمورية وعربيل، لم يبق إلا اسمه.

١٠ ـ دير الحنابلة: بسفح قاسيون غربي المدرسة العمرية. وكان للحنابلة الذين أنشؤوا الصالحية في القرن السادس.

وسكنوا أيضًا في دير الحوراني ودير الرهبان. كما ذكر ابن كنان في المروج السندسية.

---

(١) يبرين موضع في الإحساء من جزيرة العرب. والفراديس محلة العمارة كان فيها قصور الأعيان وقد خربت في فتنة القرامطة سنة ٣٦٣.
ويقول ابن القلانسي إنه كان فيها من البنيان الرفيع في الحُسن والبهاء ما لم يُر مثله وهو أحسن مكان بظاهر دمشق.

١١ ـ **دير حنينا**: من دِيَرَة الغوطة ورد ذكره في قصيدة لابن العجمي الحلبي المتوفى سنة ٦٥٦ ذكرها ابن شاكر الكتبي في قوله:

واعبر بدير حنينا وانتهز فرص الـ ... لذات ما بين قسيس ومطران

١٢ ـ **دير خالد**: نزل فيه خالد بن الوليد عند حصاره دمشق فسمي باسمه. وكان مقابل باب الفراديس ويسمى أيضًا دير صليبا ودير السائمة. وهو في موضع نزه كثير البساتين، وبناؤه حسن عجيب. وإلى جانبه دير للنساء فيه رواهب ورهبان. وذكروا أن أبيات جرير: إذا تذكرت بالديرين . . . هي فيه. وقد مرت هذه الأبيات في (دير بولس). وفيه يقول أبو الفتح المعروف بأبي القباء من أبيات:

جئته للمقام يومًا، فظَلْنا ... فيه شهرًا، وكان أمرًا عجيبًا
شجر محدق به ومياهٌ ... جاريات والروض يبدو ضروبا
من بديع الألوان يُضْحي به ... الشاكل مما يرى لديه طروبا
وشربنا به الحياة مدامًا ... تطلع الشمس في الكؤوس غروبا
فكأن الظلام فيها نهار ... لِسَناها تسرّ منا القلوبا
لست أنسى ما مرّ فيه ولا أجـ ... ـعل مدحي إلا لدير صليبا

وقال الثعالبي: يلي باب الفراديس دير صليبا وفيه يقول الشاعر:

يا دير باب الفراديس المهيِّج لي ... بلابلًا بقلاليه وأشجاره
ومفلسًا لي من مالي ومن نشبي ... بما أُباكِرُهُ من خمر خَمَّاره
لو عشت تسعين عامًا فيك مصطحبًا ... لما قضى منك قلبي بعض أوطاره

ومنذ القرن الثامن ما كان لهذا الدير عين ولا أثر. ويذكر ابن فضل الله العمري أنه صار دورًا وأبنية ومساجد ومدافن.

١٣ ـ **دير خليل**: في إقليم بيت الآبار قرب المنيحة، لا أثر له.

١٤ ـ **دير داريا**: ذكروا أنه كان من البناء الأزلي، وكان فيه أحجار

ضخمة، قطعوا منها وعمروا بعض أماكن من الجامع الأموي بدمشق لما احترق في أوائل هذا القرن. وعزا الصفدي في الوافي لأبي الفضل المقدسي أبياتًا قالها في هذا الدير وهي:

دعِ التصرف والزهد الذي اشتغلت — به جوارح أقوام من الناس
وعُجْ على دير داريا فإن به الـ — ـرهبان ما بين قسيس وشماس
واشرب معتقة من كف كافرة — تسقيك خمرين من لحظ ومن كاس
ثم استمع رنّة الأوتار من رشإٍ — مهفهف طَرْفُهُ أمضى من الماس
غَنَّى بشعر امرئ في الناس مشتهر — مدون عندهم في صدر قرطاس
لولا نسيم بذكراكم يروحني — لكنت محترقًا من حر أنفاسي

١٥ ـ **دير سابر**: من إقليم حرلان كان يسكنه عتبة بن معاوية.

١٦ ـ **دير سمعان**: يقول القرماني: إنه من قرى الغوطة، وإنه كان خرابًا في القرن الحادي عشر. وارتأى دهمان أنه شمال التربة المعظميّة شرق دير مرّان بالصالحية.

١٧ ـ **دير ابن عصرون**: ورد ذكره في ثبت أملاك تنكز المنشور في فوات الوفيات. وقال ابن طولون إن الدوير يقال له دير ابن عصرون وهي قرية صغيرة في لحف الجبل. وفي الدارس دير عصرون، مما دل أنه كان عامرًا إلى القرن الثامن والتاسع.

١٨ ـ **دير قيس**: في إقليم خولان سكنه خالد بن سعيد بن أبي محمد الأموي وفي بعض المصادر دير القس ولعله هو الأولى.

١٩ ـ **دير اللباد (في رواية اللبان)**: دير قديم مسكون، كان بين دمشق وبيت أبيات.

٢٠ ـ **دير مار الياس**: ذكر عبد الرحمن بن خطيب داريا هذا الدير من قصيدة مطلعها:

هات اسقني الصهباءَ يا مؤنسي على بساط الورد والنرجس
فالوقت قد رقَّ وراق الهوى وجاد بالوصل الزمان المسي

إلى أن يقول:

هذا هو العيش ومن لي به في دير مار الياس أو بطرس
رهبان دير طيب أخلاقهم أصفى من الراح لمستأنس
أكثر ألفاظهم اشربْ فلا تسمع قول اقرأ ولا درّس

٢١ ـ **دير الماطرون**: في ابن عساكر الميطرون قرب بيت لهيا بينها وبين عين ثرما.

وذكر ياقوت دير الماطرون وأورد أبياتًا قديمة قرأها حمزة بن القاسم على حائط بستان الماطرون.

٢٢ ـ **دير محمد**: كان محمد من أحاسن بني أمية. وكان عمر بن عبد العزيز يراه أهلًا للخلافة. وإليه تنسب المحمديات فوق أرزة. ودير محمد عند المنيحة من إقليم بيت الآبار في أرض جرمانا.

٢٣ ـ **دير مرَّان**: يقول البكري إن عَقَبة مرّان مشرفة على غوطة دمشق تنبت شجرًا باسقًا، تتخذ منه القنا والرماح وهو المران.

ولعل الدير سمي باسم هذه الشجرة. وهو في سفح جبل قاسيون المطل على دمشق من الغرب.

كان يُشرف على مزارع الزعفران من أرض الربوة. وبقي هذا الدير عامرًا إلى القرن السابع. وكان مقصد الخلفاء والأمراء والشعراء.

وقيلت فيه القصائد والمقطوعات ولكشاجم فيه قصيدة مطلعها: محاسن الدير تسبيحي وتصباحي.

وفيها يقول:

أقمتُ فيه إلى أن صار هيكله بيتي ومفتاحه للأنس مفتاحي

منادمًا في قلاليه رهابنة صارت خلائقهم أصفى من الراح

وذكروا أن بناء هذا الدير كان بالجص الأبيض، وأكثر فرشه بالبلاط الملون، وكان في هيكله صورة عجيبة دقيقة المعاني، وكانت قلاليه دائرة به، وأشجاره متراكبة، وماؤه متدفقًا.

ولما وافى المأمون دمشق سنة خمس عشرة ومئتين نزل بدير مران ومكانه معروف قرب النيرب في السفح، فعمر هذا الدير وبنى القبة التي فوق الجبل، ولما أرسل الواثق العباسي رجاء لتأديب العصاة من أهل الغوطة، نزل أيضًا دير مران. ونزل به كثيرون من الأمراء.

قال الصنوبري فيه:

أمرُّ بدير مران فأحيا وأجعل بيت لهوي بيت لهيا
صفت دنيا دمشق لمصطفيها فليس يريد غير دمشق دنيا

ولأبي الفرج عبد الواحد الببغا من شعراء اليتيمة قصيدة في دير مرّان، يقول فيها:

ويومٍ كأن الدهر سامحني به فصار اسمه ما بيننا هبة الدهر
جرت فيه أفراس الصبا بارتياضنا إلى دير مران المعظم والمعمر
بحيث هواء الغوطتين معطر الـ ـنسيم بأنفاس الرياحين والزهر
فمن روضة بالحسن ترفد روضة ومن نهر بالفيض يجري إلى نهر
وفي الهيكل المعمور منه انتزعتها وصحبي حلالًا بعد توفية المهر
ونزهتُ عن غير الدنانير قدرها فما زلتُ منها أشرب التبر بالتبر

ومكان الدير معروف يُشرف على الربوة. وفيه بقايا آثار تدل عليه.

٢٤ ـ دير متى: هذا الدير ودير حنينا ودير مرّان من الأديار التي قال فيها عون الدين الحلبي من أهل القرن السابع:

إن جزت بالشام شِمْ(*) تلك البروق ولا   تعدل، بلغت المنى، عن دير مرّان

إلى أن يقول:

وعُجْ على دير متى ثم حيّ به الر   بان بالطرس فالربان رباني

ثم قال:

واعبر بدير حنينا وانتهز فرص الـ   ـلذات ما بين قسيس ومطران

٢٥ - **دير النواطير**: قيل إنه قرب بيت رانس (ارانس) وهو داثر.

٢٦ - **دير هند**: من إقليم بيت الآبار.

٢٧ - **دير ينَّة**: على مقربة من سبينة الغربية. ورد ذكره في كتاب وقف سيف الدين الرجيحي.

٢٨ - **دير يونا (يوحنا)**: قالوا إنه كان بجانب الغوطة، ليس بكبير، ولا رهبانه بكثير وهو من أقدم دِيَرَةِ النصارى بُني بعد المسيح بقليل.

اجتاز به الوليد بن يزيد فأقام به أيامًا وقال فيه:

حبَّذا ليلتي بدير يونا   حيث نسقى شرابه ونغنّى

كيف ما دارت الزجاجة درنا   يحسب الجاهلون أنّا جُننا

ومررنا بنسوة عَطِرات   وغناء وقهوة فنزلنا

وجعلنا خليفة الله فطرو   س مجونًا والمستشار يُحنا

فأخذنا قربانهم ثم كَفَّر   نا لصلبان ديرهم فكفرنا

واستهنّا بالناس فيما يقولو   ن إذا خُبروا بما قد فعلنا

قال ابن فضل الله: ولا أثر لهذا الدير اليوم.

(*) من شامَ يَشِيْمُ (المراجع).

الفصل الثاني والعشرون
وحي الغوطة

أتى لي في الغوطة سبعون سنة، تسلِّمني الطفولة إلى الشباب، والشباب إلى الكهولة، والكهولة إلى الشيخوخة، ولاقيت ربيعَها وصيفَها وخريفَها وشتاءها وما لقيت إلّا نضرةً وسرورًا.

أنعشني هواؤها، وأدهشتني أرضها وسماؤها، وما فتئت منذ وعيت أقرأ في صفحة وجهها الفتان آيات الإبداع والإعجاز.

وفي ربوعها شهدت الطبيعة تقسو وتلين، وتغضب وترضى، وتشح وتسمح، فراعني جمالها وجلالها، وشاقني تزيدها واتزانها.

نشقت أنفاس رَيَّاها وهي ترفل في زهرها ووردها، واستهوتني مجردة من ورقها وثمرها ونباتها، فأُخِذت بها كاسية عارية، وطابت لي مُطَيَّبة وتَفِلة.

تربة تقبل وتمحل، وأدواح تعقم وتثمر، وجداول تفور وتغور، وآبار تفيض وتغيض، وجو يغيم ويصحو، ودوّ يعبس ويضحك. وهناك هناء، وهناك يسر، وهناك شقاء، وهناك عسر.

أتى الجراد غير مرة على زرعها وثمرها، وسَطَتِ الحشرات على خُضُرِها وشجرها، وأحرق الصقيع حبوبها وفاكهتها، وعدا المَوَتَان على دواجنها وماشيتها، وطغى الماء على أدنى بقاعها فأودى بما أنبتت وبسقت، وعادت

هذه الأم الرؤوم تدرُّ على أبنائها لبنًا طيبًا، وتفيض عليهم من عطفها وحنانها كل جميل.

عهدي بها ودمن عشرات المزارع الخربة بما توالى عليها من نكبات الزلازل والسيول والأوبئة والمجاعات، إلى جانب ألوف الأفدنة تصبح بالدؤوب حدائق غُلبًا، وكانت بالأمس بين مستنقع وبيل، ومرج أفيح. في الغوطة قرى كبيرة تداعت، وقرى كبيرة لم يعف رسمها، وفيها أشجار لا تعيش غير بضع سنين، وأخرى مباركة يحسب عمرها بالقرون.

همت بسِحرها في سَحَرها، وبشمسها تأفل وراء شجرها، وراقني وابلها وطَلُّها، ونَداها وضبابها، وجليدها وجَمَدها، وثلجها وبَرَدها، ودَمقها وزمهريرها، ونسيمها وأعاصيرها.

غنتني طيورها بأطيب الأنغام، ترددها من وُكناتها في جنّاتها، وما تَبرَّمت الأذن بنعيق البوم، ونعيق الغربان، وعُواء بنات آوى، ونباح الكلاب، ونقيق الضفادع في المظلم والمُقْمِرِ من لياليها، واهتزت للديكة تصيح، والغنم تثأج، والمعيز تثغو، والبقر يخور، والخيل تصهل، والحمير تنهق.

أقبلت مرة أقلب حديقة لنا أنقي أدغالها، وأعزل صخورها وأحجارها، فنبشت على ذراعين من سطحها مقبرة فيها قليل من عظام نخرة، وكثير من خواتم وأقراط وأساور ودمالج، كانت فضتها وذهبها ونحاسها وحديدها وزجاجها تتفتت لساعتها بأيدينا.

وما فرّقنا بين الرجل والمرأة من نزلاء مدينة الموتى، وما بان معنا الشاب من الفتاة، ولا الشيوخ من العجائز، ولا إذا كان من لحدوا فيها مجوسًا أو صابئة أو نصارى أو مسلمين، ولا إن كانوا من العرب أو السريان أو اليهود أو الروم، وغاية ما نمَّ عليه ذاك العظم الرميم أنه بقايا أشلاء بشرية كان أربابها يهيجون ويسكنون، ويلؤمون ويبرون، ويشقون ويسعدون.

وأبصرت على خطى قليلة من المدفن أثر حوض بديع شيد بالآجر

والحجر النحيت يظهر من ترخيمه أنه بناء بانٍ صَناع اليد، وانتهيت إلى ديماس عميق فيه جرار عظيمة، وأدوات نشأت من مدنية كانت نَبْتَ هذه التربة الزكية، نَعِم بها أهلها ما قُدّر لهم أن ينعموا، فلما ناداهم حادي الرحيل تَخَلَّوا عن مصانعهم ومرافقهم، وغادروا ديارهم كأن لم يَغنوا فيها.

أدركت أجيالًا ثلاثة من الناس، وقبلي رأى الراؤون ألوف ألوف الألوف، وكلهم كان شأنهم شأننا خلقوا على صورتنا، وركبت فيهم أحاسيسنا وغرائزنا، واستحكمت فيهم الشهوات والمطامع، وكانت لهم آمال وأحلام، نزح صالحهم وطالحهم، وراح لطيفهم وكثيفهم، وما عرفوا لِمَ جاؤوا ولا إلى أين ذهبوا، ولم جَدّوا وجهدوا، ولم انصرفوا على ألا يرجعوا، أما أجسامهم فقد نخرت وتبخرت، وتبعثرت ذراتها في الفضاء، وأما أرواحهم فانتقلت إلى عالم لم ندركه بالحس، ولا قدّر معنا بحساب، وما علمنا عنه إلا ما أشار إليه الكتاب.

ذهب من درجوا على هذا الصعيد الطيب، تاركين ما كدحوا وجمعوا، ناسين من أحبوا وأبغضوا، وما حال دون قفولهم عطف الأمهات والزوجات، ولا بكاء الأولاد والأخوات. هلك الفقير والغني، والصحيح والمريض والحبيب والبغيض، وناح النساء على الأعزة الذاهبين يندبن ويولولن، ثم لحق النائحات والنوادب بالصحاب والصواحب.

حقًا أن الغوطة كانت على الأيام ساحة تحوّل، تحولت فيها حتى أزياء الجنسين من سكانها، فغيّر الرجال في هذه الحقبة لباس رؤوسهم ثلاث مرات، وكذلك كان دأب النساء بمِلاءاتهن.

شاطَرْتُ القومَ أفراحهم وأتراحهم، وكاثرتهم في مواسمهم وأعيادهم، ورأيتهم يلبسون الخَلَق البالي، ورأيتهم يلبسون الزُّواق الحرير، شاهدتهم يَطْعَمون أطيب الطعام وأمرأه، وشاهدتهم لا يشبعون خبز الذرة والشعير،

راقبتهم في سكونهم وهوشاتهم، وفي تلاتلهم ومشاكلهم، وفي سعتهم وضيقهم، وعاشرتهم وسامرتهم، على نقص محسوس في تربيتهم.

أدركتهم يستعيضون عن اللّبن والطين والقصب والكلس في بنيانهم بالقرميد والآجر والحجر والإسمنت، وعهدتهم يمتطون الفُرْه من الخيل والبغال والحمير، ويحملون أثقالهم على الجمال ويجرونها بالثيران، ثم اتخذوا المركبات والعجلات وركبوا الدراجات والسيّارات.

أدركتهم تبيض الأُمِيَّةُ وتفرخ في رؤوسهم، ويعم الجهل كبيرهم وصغيرهم وذكورهم وإناثهم، وما كانت عقول الأذكياء منهم تصل إلى أبعد من القرى المجاورة، واغتبطت أن صار بضعة في الألف من شُبّانهم وكهولهم يتلون الصحف والكتب، ويستطلعون طلع الأخبار، ويعنيهم النظر في المصالح العامة، ويظهرون في مظهر من يحاول مجاراة الزمن في حضارته، يستبدلون الأدوات الحديثة في الحرث والتذرية والعصر والاستخراج بأدواتهم القديمة، التي جمدت على حالة واحدة لم تبدل من عهد عاد وثمود، وكل ذلك ببطء وتثاقل، ليناسب اقتباسها قانون الزروع والغراس عندهم، تنمو بحرارة معتدلة وإذا سُقيت سقيت بمقدار.

إقليم تتصادم عناصر الطبيعة فيه بلا انقطاع، الفناء رابض أبدًا إلى جانب البقاء، والتبدل والتلون على قِيد غَلوة من الاستقرار. عاينت كل هذا فرجعت بمناظر متشاكلة لا تزال تتكرر على مَرِّ الجديدين لم أهتد سبيلًا إلى تعليلها. ولا أدركتُ ولا أَدرَكَ أرباب المدارك هذا السر الدفين في صدر الليل والنهار.

هنا يبدو للعين كفاح الغوطي في كسبه ورزقه، وصراعه في سبيل شهواته وأثرته، هنا تلمح جور القوي على الضعيف، وأن الإنسان في هذه الأرجاء كان على نحو ما هو في كل مكان، ظالمًا ومظلومًا، وقاتلًا ومقتولًا، عزيزًا وذليلًا.

لحظت ابن الغوطة موسعًا عليه، ولاحظته مقترًا عليه. عهدته مرهقًا بضروب الجبايات، وألفيته يؤدي الجبايةَ طيبةً بها نفسه. وأدركت الفقير ينوء

يحمل كل عبء، والغني يكاد يعفي نفسه من أداء الحق.

وجدت الفلاح لا يَنْسِل القدر اللازم من الأولاد يستعين بهم على استخراج خيرات حقوله، ولقيته وقد زاد السكان ستة أضعاف في ستة عقود، وإذا بأرباب الضياع تضيق بهم رباعهم، فلا يجزئهم ريْعُ ما يملكون، وعادوا يقتنون الأرض بالثمن الغالي ويغلون في الغرام بها، وهم الذين كانوا يحاذرون امتلاك شبر من ترابها فرارًا من المغارم والعوارض.

★ ★ ★

حزنت على الغوطي عبدًا، وفرحت له حُرًّا، آلمني عبوسه وتشاؤمه، وسرني ضحكه واستبشاره. كان يرمضني كلما وقعت عيني عليه يسخَّر كالبهائم، ويُقَنَّع بالسياط، ويلطم ويلكم، وهو صابر خانع. ثم ابتهجت به يوم نفس خناقه، وعومل معاملة الإنسان، أما هو فلم ينشب أن نسي ما كان يحل به، وعاد يتمرد ويطغى.

نظرت إليه يتهافت على تجويد زراعته، ونظرته يهمل إثارة تربته، ويزهد في رِعية ماشيته، طالعته يحيي الليالي لا يبالي أذى البرد إذا كان في سقي زرعه وجمع حبه وثمره، وطالعته في حمارّة القيظ يكِدُّ وسط حقله في حرّ يزهق الأنفاس، وهو جدّ طروب كأنه في مجلس أنس يلذه ما يسمع ويرى.

وسجلت أن ضواري الغوطة لا تستشرى، والشرّ في أرجائها محكوم عليه بالزوال، ثبت لي هذا بعد أن رأيت ثعالبها وضباعها توشك أن تبيد، وبعد أن أيقنت أن كواسرها وجوارحها أقل من عصافيرها وحمامها. وقيدت من أخبار الغوطة أنها مُنْعِمَة محسنة على وجه الدهر، وأن بَنِيْها أصحاب مضاء يُعِدّون لكل يوم قسطه من العمل، ويقسمون جهودهم أقسامًا بحسب المواسم، على ما قسمت الفطرة سنتهم إلى فصول، استوفى فيها كل فصل حكمه، وأن في أرضهم المحبوبة كمعظم بلاد العرب قوى منظمة مستثمرة، إلى جنب قوى ضائعة منتشرة.

خاتمة

هذا ما تيسر تدوينه في غوطة دمشق ورجائي ألا يخليني العارفون من ملاحظاتهم لأضيفها إلى ما كتبت. وأشكر لصديقي الأستاذ المحقق صلاح الدين المنجد تَفَضُّلَه بمعاونتي على قراءة تجارب الطبع وتَكَرُّمه ببعض ما حوته تقاييده من المواد. وعلى وضعه فهارس الكتاب ليقرِّب منال الانتفاع به على القارئ.

وتولى في هذه الطبعة الثانية تصحيح تجاربها والعناية بوضع فهرسها صديق عزيز لم يشأ ذكر اسمه فللأول والثاني شكري العظيم.

الفهارس

١ ـ فهرس الأعلام ٢٢٩

٢ ـ الأمم والقبائل والبطون ٢٥١

٣ ـ الأديان والمذاهب ٢٥٤

٤ ـ الكتب ٢٥٥

٥ ـ البلدان والقرى والأماكن والجبال والأودية والأنهار والعيون ٢٥٩

٦ ـ منتوجات الغوطة من نبات وأزهار وغير ذلك ٣٠٤

٧ ـ فهرس مصادر الكتاب ٣١٤

فهرس الأعلام

أ

أبان بن مروان ١٨٢
مجاهد الدين إبراهيم ١٤٧
عز الدين إبراهيم بن خطيب كفر بطنا ١٣٧
إبراهيم بن غنائم المهندس ٢٠٧
إبراهيم الكجاجاني ١٤٧
إبراهيم بن مبارك شاه الأسعردي ١٤٢
إبراهيم باشا المصري ١١١، ١٧٩
إبراهيم بن الوليد ٢١٠
أحمد حمدي الخياط ١٠٥
أحمد بن سليمان بن محمد البكري الصابوني ١٤١
أحمد بن شمخ خطيب داريا ١٣٨
أحمد بن عماد الدين المقدسي ١٤٨
أحمد بن هارون خال ابن حيوس
قاضي الغوطة ١٢٦
أخشا خاتون (عزيزة الدين) ١٤٤
الأخطل ٧٨
إدريس الخولاني ١٣٣
الأزهري ١٩
إسرائيل بن عبد العزيز خطيب بيت الآبار ١٣٨
أسعد أفندي المحامي ١١١

الصالح إسماعيل	١١٧
الأسود بن اضرم المحاربي	١٣٣
الأسود بن بلال المحاربي	١٣٣
الأعور الكلبي الشاعر	١٠٧
آغسطس	١٨٦
الملك الأفضل	١٧٦
الأكرمي	١١٧
ألوغ بك التتري	١٥٠
الملك الأمجد	٢٩
أمة اللطيف بنت الناصح الحنبلي	١٤٥
أيدمر الظاهري (عز الدين)	١٤٧
الأينالي الحاجب	١٤٣
السلطان الصالح أيوب	١٤٤
الأوزاعي	١٨٣

ابن

ابن أبي العجائز	١١
ابن إياس	٢٤
ابن ببهس الكلابي	١٧١
ابن تغري بردي	٢٠٧، ٢١٠
ابن جبير	١٨٦، ١٩٦
ابن الجوزي	١٣١
ابن حبيب	٢١٠
ابن خارجة الجرشي	١٧١
ابن خلكان	١١، ١٨٣
ابن الخياط	٧١، ٢٠٠
ابن حيوس	٦٤، ٢٠٤

ابن دقاق ١٤٧
ابن الدهان الموصلي ٨٣
ابن الراعي ٧٠
ابن الساعاتي ١٦، ٦٤، ٢٠٤
ابن الشيخ سليمان المحاسني الشاعر ١٧٤
ابن شاكر الكتبي ٢٠٠، ٢٠٦، ٢١٦
ابن شداد ٢٤، ٢٥، ٢٠٣
ابن شكر(الوزير) ٢٠٨
ابن الصائغ العروضي ٨٦
ابن صغير القيسراني ٢١٣
ابن الصمصامة ١٨٦
ابن طولون الصالحي ١٨، ٢٥، ٣٧، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ١٣٥، ١٨٢، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٧، ١٩٢، ١٩٤، ١٩٩، ٢٠٧، ٢٠٩، ٢١٧
ابن عابدين ١٢٠
ابن عامر القاضي المالكي ١٢٦
ابن عبد الرزاق ٢١١
ابن عبد الكافي ٢٧
ابن عبد الهادي ١٠١، ١٥٢، ١٨٥، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ٢٠٠
ابن العجمي الحلبي ٢١٦
ابن العديم ٨٣
ابن عروة الحنبلي ١٦٢
ابن عساكر ١١، ١٧، ٣٤، ٧٧، ١٠٢، ١١٣، ١٢٤، ١٣٨، ١٦٦، ١٦٩، ١٧١، ١٨٣، ١٨٥، ١٩٠، ١٩١، ١٩٣،

١٩٦، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٢، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٤، ٢١٨
ابن عطاء القاضي الحنفي ١٢٧
ابن العماد ١١، ١٣٦، ١٨٣
ابن عنين ١٥، ٧١، ٧٨، ١٩٤، ١٩٢، ٢٠٣
ابن الفراش ٢٠٢، ٢١٠
ابن فضل الله العمري ١١، ٧٨، ٢٠٧، ٢١٣، ٢١٦، ٢٢٠
ابن قاضي شهبة الأسدي ١١٩، ١٤٢، ١٦٦، ٢٠٩
ابن قتيبة ٢١٥
ابن القلانسي ٦، ١٩٧، ٢١٥
ابن قيس الرقيات ٣٣
ابن القيسراني ١٩٨
ابن كثير ٣٤
ابن كنان ٢١٥
ابن لؤلؤ الذهبي ٢٠٣
ابن مارية ١٧
ابن مرة الداراني ١٣٣
ابن معيوف أمير دمشق ١٦٩
ابن المنجا (القاضي) ٢٦، ١٩٤، ١٨٧
ابن منقذ الكناني ٧٦
ابن منير الطرابلسي ١٦، ٧٤
ابن المهنا الداراني = عبد الجبار الخولاني
ابن يغمور الباروقي ١٤٤

أبناء

أبناء شبيب ٦، ١٨
أبناء صلاح الدين ١٧٦

أولاد جفنة ١٧

أبو

أبو إدريس الخولاني ١٣٢، ١٣٣
أبو الأشبال البهنسي وزير الملك الأشرف ١٤٣
أبو البقاء الصفوري ٢٠٩
أبو بكر الخوارزمي
أبو بكر الدينوري ١٤٨
أبو بكر بن قوام البالسي ١٤٨
أبو ثعلبة الخشني ١٣٢
أبو جعفر المنصور ١٣٠
أبو الحسن بن أبي الفوارس القيمري ١٥٣
أبو حيان التوحيدي ١٣٢
أبو الدرداء ١٢٩
أبو راشد الخولاني ١٣٣
أبو سفيان ١٨٨
أبو سليمان الداراني عبد الرحمن بن
أحمد بن عطية العنسي ١٣٢، ١٣٣
أبو شامة ١١، ٢١١
أبو طاهر الوهراني الجزائري ١٣٧
أبو عزرة الخشني ١٧١
أبو عبيدة بن الجراح ١٠٦، ١١٥، ٢١٥
أبو عمر بن أحمد بن قدامة ١٤٥
أبو العميطر السفياني ١٧٠
أبو علي السنبسي العرضي ثم الداراني
والمنيحي خطيب المزة ١٣٨
أبو الفتح المعروف بأبي البقا ٢١٦

أبو القاسم العذري الجسريني قاضي الغوطة ١٢٦
أبو قلابة الجرمي ١٣٣
أبو كثير المحاربي ١٣٣
أبو مسلم الخولاني ١٩١
أبو المحاسن الشواء الحلبي ٦٧، ١٨٦
أبو المعالي شيخ الفيرزآبادي ٢٧
أبو المغيث الرافقي ١٧١، ١٧٢
أبو نواس (الحسن بن هانئ) ١٥
أبو الهيذام (عامر بن عمارة) ١٣٠، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٩، ١٩٩
أبو الورد بن الكوثر ١٦٨، ١٦٩

أم

أم حسام الدين عمر بن لاجين ١٤٦
أم كلثوم ٧٥
أم مسلم الخولانية ١٣٣

ب

البحتري ٦٣، ٧٣
بدر العطار القائد ١٢٦
البدري ٦٢، ٦٥، ٦٧، ٧٠، ٩٩، ١٥١، ١٩٢، ٢٠١، ٢٠٣، ٢١٢
برهان الدين المقدسي الآباري خطيب أرزونا ١٣٨
بشير بن مروان ٣٠، ٢١٥
بكر بن زرعة الخزلاني ١٣٣
بكران خطيب زملكا ١٣٨
البكري ١٩، ١٤١
البلاذري ١٧

بلال بن أبي الدرداء ١٣٢
بلال بن حمامة الحبشي ١٣٢
تاج الملوك بوري بن طغتكين ٢١٣
الظاهر بيبرس البندقداري ١١٠، ١١٦، ١١٧، ١٢٧، ١٤٨، ٢٠٧
البيري من فقهاء العثمايين ١٣٦

ت

تاج الدين السبكي ١١٨، ٢٠٩
تاج الدين بن شقير ٢٠٦
تاج الدين الصرخدي ٨٨
التاج الكندي ٢١١
التقي اليلداني ١٣٧
تميم بن عطية العنسي ١٣٣
تنكز ١٠٠، ٢١٧
تيمورلنك ٩٩، ١٧٧، ٢٠٧
توفيق النحوي ٦٣
توما (قائد رومي) ١٨٨

ث

ثابت بن سعيد المحاربي ١٣٢
الثعالبي ٢١٦

ج

جاني بك الحلبي ١٨٣
السيفي جاني بك ١٨٣
جرجة بن قعرا ١٢٤
جرير الشاعر ١٨٧، ٢١٥، ٢١٦
جمال الدين عبد الصمد الأنصاري ١٣٦، ١٣٧

جهجاء الحرفوش ١٧٨
جيش ١٧٢

ح

الحارث بن عبد الرحمن الجرشي ١٣٠
حافظ إبراهيم ١٢٨
حجاج بن عبد الملك بن مروان ٢٠٨
الحجاج بن يوسف الثقفي ٢٠٨
حسان بن ثابت ١٧، ١٩، ٢٩، ٧٢
حسان بن نمير المعروف بعرقلة الدمشقي ٨٠، ١٨٨
الحسن بن عبد الله بن أبي حصينة ٧١
الحسن بن علي بن الحسن بن شواش المقري ٦٧
الحسن بن علي بن الحسن أبو القاسم
المري المطيري ٢٠٢
الحسن بن هانيء = أبو نواس
الحسن بن يعقوب الطرميسي ١٩٦
الشيخ حرملة ١٩٦
حسين صاري بك ٢٠٩
الحسين بن عمار ١٢٤
حفص بن عمر بن سعيد الأزدي ١٠٧
الحكم بن عبد الله بن روح بن الوليد ١٩٩
حكمة شيخ الأرض ١١١
حمدون السلمي ١٦٩
حمزة بن أسعد القلانسي أبو يعلى ١٤٢
حمزة بن القاسم ٢١٨
حمزة محمد نقيب الشام ١٤٥
حيدرة الكتامي ١٧٢

خ

خاتون بنت معين الدين زوجة نور الدين ١٤٦
خالد بن سعيد بن أبي محمد الأموي ٢١٧
خالد بن يزيد ١٩٥
خالد بن الوليد ١٧، ١٨، ٣٦، ١٠٧، ١٥١، ٢١٦
خديجة خاتون بنت الملك المعظم ١٤٤
خضر بن صلاح الدين ٢٠٨
خطلجة بنت إبراهيم خطليجي خاتون
والدة عز الدين فرخشاه ٢٦، ١٤٤
خلف بن محمد العبسي الداراني قاضي داريا ١٢٦
خليفة بن قاسم ١٨٤
خليل مردم بك ٩١
خمرويه (أبو الجيش) ٦٣، ٢١٠
الخياري (الرحالة) ٦٧
الخواجكي الزيني ١٨٣

د

دوسو ١٩، ٣٨

ذ

الذهبي ١١، ٢٧، ١٣٧

ر

رشيد بن النابلسي ١٥

ز

زرعة بن أيوب قاضي دمشق ١٣٤
زمرد خاتون ١٤٣، ١٩٦

الزملكاني (الحافظ) ١٣٧
الأتابك عماد الدين زنكي ١١٠، ١٧٥، ١٧٦
زياد بن عنبسة الأموي ١٩٧
زين الأمناء بن عباد ١٩٦
زين الدين بن المؤيد خطيب عقربا ١٣٨
زين الدين بن دلامة ١٤١
زوجة الملك الأشرف ١٤٢

س

سالم بن عبد الله المحاربي قاضي دمشق ١٣٢
سالم بن عبد الله بن عصمة المحاربي ١٣٣
سبرة بن فاتك الصحابي ١١٣
سبط بن الجوزي ١٢٥، ١٣٥، ١٣٦
ست الشام ١٤٥
سعيد بن عبد الملك ١٩٢
سعيد بن عكرمة الخولاني ١٣٣
سعيد بن مالك بن بحدل ٢١٤
سعيد بت تميم والد بلال بن سعد الصحابي ١٨٥
سعيد بن أبي سفيان بن حرب بن خالد بن يزيد ١٩٥
السفياني = أبو العميطر
سَلم بن عيسى بن عبد الحميد
أبو سعيد الطائي الحجراوي ١٨٩
السلطان سليم الأول ١١٩، ١٤٧
سليم باشا والي دمشق ١٢٠
سليمان بن أبي سليمان ١٣٣
سليمان بن حبيب الداراني قاضي دمشق ١٣٣
سليمان بن داود الخولاني ١٣٣

سليمان بن عبد الملك بن مروان ١٢٤، ٢١٠
سليمان بن عتبة الغساني ١٣٣
سليمان القانوني ١٤٨
السمعاني ١٣٢
السميساطي ١٥
سنان بن عليان ١٧٣
علم الدين سنجر المعظمي ١٤٤
سيف الدولة بن حمدان ١٠٩
سيف الدين منجك ١٤٤

ش

الشابشتي ٧٧
شاهنشاه ١٤٤
شدقم الكلبي ١٧٠
شرف الدين التنوخي خطيب حرستا ١٣٨
شرف الدين بن عثمان الرملي ١٤٧
الأمير الشرقي يونس ١٤٧
الشفالية دارفيو ٣٨
شمس الدين العرضي خطيب المزة ١٣٨
شمس الدين بن المقدم ١٠٨
الشمس بن المزلق ١٤٢
شهاب الدين التلمساني ١٢٦
الشهاب التلعفري ٨٣
المؤيد شيخ ١١٨
شيخ الربوة (محمد بن أبي طالب الأنصاري) ١١، ١٨، ٢٤، ٣٢، ٨٨، ١٣٧
أسد الدين شيركوه ١٤٢
شوقي أمير الشعراء ٩٠

ص

الصاحبة ١٤٥
الصفي بن قابض ٢١١
الصلاح الصفدي ١١، ١٩٦٩، ٢٠٦، ٢١٧
الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي ٢٦، ٨٠، ٨٩، ١٠٨، ١١٠، ١١٦، ١٣٥، ١٤٥، ١٧٥، ٢١١، ٢١٣
صلاح الدين المنجد ١٨٢، ١٨٩، ١٩٧، ٢٢٦
الصنبوري ٧٣، ١١٩

ض

الضحاك بن رمل السكسكي ١٩٣
الضحاك بن يزيد السكسكي ١٩٣
ضياء الدين محاسن ١٤٥
ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي ١٤٥

ط

طرادين علي السلمي الدمشقي ٨١
طغتكين ١١٦، ١٧٥

ظ

ظالم بن موهوب ١٧٢
الظاهري ١١، ٢٥، ٦٦

ع

عائذ الله بن عبد الله ويقال عيذ الله = أبو أدريس الخولاني
عاتكة بنت يزيد ٢١٠
الملك العادل ١١٠، ١٣٥، ١٣٦، ١٧٦، ٢٠٨، ٢١٠
عارف النكدي ١٣

عامر بن عمارة = أبو الهيذام
عبد الباسط بن خليل ١٤٦
عبد الباقي المبارك ١٧٤
عبد الرحمن بن أبي بكر بن داود (زين الدين) ١٤٨
عبد الرحمن بن أبي سرح ١٨٨
عبد الرحمن بن أبي سفيان ١٩٤
عبد الرحمن بن أبي كبيرة ١٣٣
عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي = أبو سليمان الداراني
عبد الرحمن بن الحصين بن المبارك الهمذاني ١٢٤
عبد الرحمن بن خطيب داريا ٦٣، ٢١٧
عبد الرحمن بن دراج مولى معاوية ١٩١
عبد الرحمن بن سليمان بن أبي الجون العنسي ١٣٣
عبد الرحيم بن صالح ١٣٣
عبد الرحمن بن يزيد الازدي الداراني ١٣٢
عبد الرحمن بن يزيد بن جابر (أبو عتيبة) ١٣٣
عبد الرحيم بن عمر الجوبري ١٣٧
عبد الرحيم بن المحسن الصوري التنوخي ٨٢
القاضي عبد الصمد الحرستاني ١٧٣
عبد الصمد خطيب سقبا ١٣٨
عبد العزيز بن عبد الرحمن ١٢٤
عبد العزيز بن عبد الرحمن الأموي ٢٠٢
عبد العزيز بن عبد الرحمن بن الوليد ابن
عبد الملك ٢١٣
عبد العزيز بن مروان ١٠٨
عبد العزيز بن عبد الملك ١٩٧
عبد العزيز بن هاشم قاضي جوبر ١٢٦
عبد الغني النابلسي ١٣٩

عبد القادر قويدر ١٣، ١٤٠
عبد الكافي الأنصاري خطيب زملكا ١٣٨
عبد الكريم بن خلف الأنصاري ١٣٧
عبد الكريم بن عبد الصمد الحرستاني ١٣٧
عبد الله بن الحر العنسي ١٨٥
عبد الله الأذرعي قاضي القضاة الحنفية ١١٠
عبد الله بن دراج = عبد الرحمن بن دراج
عبد الله بن زيد البصري ١٣٢
عبد الله بن سلمة البرجي (أبو محمد) ١٨٤
عبد الله بن عبد الرحمن الأزدي ١٣٣
عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الملك ١٢٤
عبد الله بن علي العباسي ١٣٠، ١٦٩
عبد الله بن المقدسي ١٤٢
عبد الله المنجد ١٤٠
عبد الله بن يونس الأرموي ١٤٧
عبد الملك بن مروان ١٠٧، ١٣٢، ١٥٠، ١٦٨، ١٨٢، ٢٠٨، ٢١٠
عبد المنعم الجلياني الأندلسي ٨٩
عبد الواحد الببغا (أبو الفرج) ٢١٩
عبد الواحد بن محمد الهمذاني
قاضي عين ثرماء ١٢٦
عبد الوهاب بن سحنون الخطيب ١٣٨
عتبة بن معاوية ٢١٧
عثمان بن عبد الأعلى الأزدي ١٣٣
عثمان القريري ١٣٧
عرقلة الدمشقي الشاعر = حسان بن نمير

عز الدين استادار الملك المعظم
وصاحب صرخد ١٤٣
عز الدين بن عبد السلام ١١٧
عزيزة الدين = اخشا خاتون
عطاء صاحب المسجد ١٨٩
عطية بن سعيد المحاربي ١٣٢
العقاب (راية خالد بن الوليد) ١٥١
علي الحريري ١٤٨
علي بن داود بن عبد الله المقري ١٣٣، ١٣٤
علي بن عبد الرحمن بن عبد الوهاب الإسكاف ١٤٦
علي الفرنثي ١٤٨
علي بن محمد الحماني العلوي ٧٧
العماد الكاتب ٧٥
العمادي ١٣٢، ١٣٣
عمر بن الخطاب ٣٣، ٣٤، ١٠٦، ١٢٧، ١٢٩، ١٨٥،
٢١٥
عمر بن طويع ١٣٣
عمر بن عبد العزيز ١١٣، ١٣٢، ١٣٣، ١٩٨، ٢١٨
عمر بن عبد الملك الدينوري ١٤٨
عمر بن عبد الله بن خطيب بيت الآبار ١٣٨
عمر بن عبد الله الخولاني ١٣٣
عمير بن هانئ العنسي الداراني المحدث ١٣٢، ١٣٣
عمرو بن الأسود العنسي (أبو فياض) ١٣٣
عمرو بن جز الخولاني ١٣٣
عمرو بن سعيد الأشدق ١٦٨
عمرو بن شراحيل (أبو المغيرة) ١٣٣
عمرو بن عبد الخولاني ١٣٣

عمرو بن مخلاة الكلبي ١٩٣

العنسي ١٣٣

عون الله الحلبي ٢١٩

الملك المعظم شرف الدين عيسى بن العادل ٢٥، ١٤٤

عيسى بن مهنا ٣٧

عين بصل الحراني ٨٤

غ

غازان ١٧٧

الظاهر عاري صاحب حلب ١٤٣

غيلان الدمشقي ١٣٤

ف

فؤاد الخطيب ٩٣

فاطمة بنت أحمد شيخ رباط المزة ١٤٧

فاطمة خاتون بنت السلار ١٤٤

فتيان الشاغوري ٦٤، ٦٥، ٦٧، ٧٩، ٢٠٨

فروخ شاه بن شاه شاه بن أيوب ٢٦

الفريري ١٣٧

فطروس ٢٢٠

القاضي الفاضل ٢٦، ١١٦، ٢١١

ق

القاسم بن زياد ١٥٠

القاسم بن هزان الخولاني ١٣٣

قاضي القضاة الحنفية ٦١

قبيصة بن ذؤيب ١٠٨

القرماني ١١، ٦٢، ٢٠٢، ٢١٧

القريري = عثمان القريري
القرمطي ١٧٣
القزويني ١٨
قسام الحرثي ١٧٣
قسطيطينوس ١٨٦
القطب العربيني ١٣٧
الأشرف قلاوون ١٧٧
القلقشندي ٣٧
قنصل انكلترا في دمشق ١٢٠، ١٧٩
القيراطي ٧٠
قيس الهلالي ١٧٠

ك

كاتب چلبي ٢٤
كافور الحسامي شبل الدولة
طواشي حسام الدين بن لاجين ١٤٣
الملك الكامل ١٧٦
كشاجم ٢١٨
كشملين = كمشتكين
كعب بن حامد العنسي ١٣٣
كلثوم بن زياد المحاربي ١٣٣
كمال الدين بن خلكان ١٣٧
كمال الدين بن عبد الواحد بن خلف ١٣٧
كمشتكين ٢٠٠
كناز الغنوي الصحابي ١٨٥

ل

بدر الدين المعروف بلالا بن الداية ١٤٣

الأب لامنس ٣٣

لسترانج ١٩٩

م

المأمون العباسي ٣٤، ١٥٠، ١٩٥، ٢١٩

المتوكل العباسي ٧٣، ٢١٢

مجد الدين الأربلي ٨٤

محاسن = ضياء الدين محاسن

مجير الدين بن تميم ٦٥

المحاسني ١٧٤

المحبي ١٦، ٢١١

محمد ﷺ ٢٠٦

محمد بن أبي بكر بن يوسف ١٣٨

محمد بن أبي الزهر الغسولي (أبو عبد الله) ١٤٨

محمد بن أبي طالب الأنصاري = شيخ الربوة

محمد بن أبي يعلى الهاشمي ١٧٢

محمد أحمد دهمان ١٣، ٢٥، ١٠٣، ١٤٠

محمد بهجة البيطار ١٤٠

محمد بن الحجاج بن أبي قتلة المحاربي ١٣٣

محمد بن خالد الحضرمي البتلهي
قاضي بيت لهيا ١٢٦

محمد زكريا الداراني المؤرخ ١٣٧

محمد بن شاهنشاه ابن الملك
الأمجد بن بهرام شاه ٢٧

محمد بن عائذ صاحب المغازي والفتوح ١٢٦

محمد بن عبد الرحيم بن الفضل بن العباس
الهاشمي ١٢٤

محمد بن عبد.الواحد المقدسي = ضياء الدين
محمد عبده العربيلي ١٤٠
محمود العطار ١٤٠
محمد بن عمر الدينوري ١٣٨
محمد بن عمر بن عبد الملك خطيب كفر بطنا ١٣٧
محمد بن علي بن سويد التكريتي ١٤٧
الملك الناصر محمد بن قلاوون ١٤٤
محمد علي باشا الكبير ١٢٠
محمد بن مروان ١٠٨
محمد كرد علي ١٢
محمد بن يزيد ١٥٠
محمد بن يوسف الثقفي ٢٠٨
مدحت باشا والي دمشق ١٢٠
مدرك بن زياد الفزاري ١٩٢
مراد المرادي ١٤٥
مرتين ١٩
مروان بن الحكم ١٦٨، ١٩٣، ٢١٠
مروان بن محمد ١٦٨
الحافظ المزي ١٣٧
المستنصر الفاطمي ١١٧، ١٧٢
المسعودي ١٣٤، ٢١٢
المسلم بن هبة الله الكاتب (أبو الفتح) ٧٧
مسلمة العدل ١٣٣
المسيح عليه السلام ٣٦، ٢٢٠
مضر بن العلاء ١٩٧
مصطفى الشهابي ١٣، ٢١

معاوية بن أبي سفيان ٣٢، ١٠٧، ١٢٤، ١٦٩، ١٨٥، ٢٠٣، ٢١٠

معاوية بن طويع ١٣٣

معاوية بن يزيد ٢١٠

معبد المغني ٧٨

معيوف ١٦٩

معيوف بن يحيى ١٨٩

المقدسي ١٨

المقريزي ١٤٦

مكسيميانوس ١٨٥

منارة ١٢٤

المنجد = صلاح الدين المنجد

المنصور العباسي ١١٥

الأمير منجك ٦٧، ٢١١، ٢١٢

الأمير المنجكي ٢١٠

ملك شاه السلجوقي ١١٠

ركن الدين منكورس ١٤٣

موسى عليه السلام ٨٩

الملك الأشرف موسى بن الملك العادل ١٤٢، ٢٠٨، ٢٠٩

موفق الدين بن عبد السلام ٨٤

ن

النابغة ٣٢

نابغة بني شيبان ١٨

الملك الناصر (داود) ٧٦

الملك الناصر ٢٠٦

الملك الناصر بن الملك العزيز ١٤٢

نجم الدين بن عيسى بن شاه أرمن
الرومي السيوفي ١٤٨
النعيمي صاحب الدارس ١٣٦، ١٨٤
نمران بن يزيد بن عبيد المذجحي ٢٠٣
النواجي ١٥١
نور الدين الشهيد (محمود بن زنكي) ١١٦، ١٣٥، ١٤٣، ١٤٦، ١٤٩، ١٧٥، ١٩٣، ٢١٠، ٢١١
النووي ١١٧

هـ

هارون الرشيد ١٢٤، ١٦٩
هرقل ١٠٧
هشام بن عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي ٩٦، ١٣٢، ١٥٠، ٢١٠
هيذام ١٧٠

و

الواساني الشاعر ٧٤
الواثق العباسي ١٧١، ٢١٩
الوداعي ٦٦
ولد الملك الأمجد بهرام شاه ١٤٢
ولد معيوف ١٨٩
الوليد بن أبان الأموي ١٩٩
الوليد بن عبد الملك بن مروان ١٣٤، ٢١٠
الوليد بن يزيد ١٣٤، ٢١٠، ٢٢٠

ي

ياقوت

١١، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٦، ٧٤،
٧٥، ٨٠، ١٧١، ١٨٦، ١٨٩، ١٩٠،
١٩٥، ١٩٦، ١٩٩، ٢١٠، ٢١٨
يحنا ٢٢٠
يحيى بن أحمد بن يزيد بن الحكم ٢٠٣
يحيى بن حمزة الحضرمي البتلهي قاضي دمشق ١٣٦
يحيى بن معيوف ١٨٩
نجم الدين يحيى بن اللبودي ١٤٦
يزبد بن أبي سفيان ١٢٩، ١٥٠، ١٨٨
يزيد بن أسلم بن عبد الله القرشي ١٢٤
يزيد بن خالد القسري ١٦٨
يزيد بن عبد الملك ١٣٢، ٢١٠
يزيد بن معاوية ٧٥، ١٢٤، ١٣٢، ١٥٠، ٢١٠، ٢١٤
يزيد بن الوليد ١٣٤، ٢١٠
يزيد بن يزيد بن جابر الأزدي ١٣٣
اليعقوبي ٣٧
الحافظ اليلداني ١٣٧
جمال الدين يوسف ١٤٣
يوسف بن أيوب = صلاح الدين الأيوبي
يوسف الفقاعي ١٤٨
يوسف بن كريم الدين ٢١١
صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز ١٤٧
يوسف بن يوسف القني ١٤٨

الأمم والقبائل والبطون

الأتراك	٢٠٦
الأسباط	٨٩
الأنكشارية	٢٢٠
آل رحال	٣٧
آل الصواف	١٨٦
آل علي	٣٧
آل فضل	٣٧
آل مر	٣٧
الأمويون، بنو أمية	٣٢، ٣٣، ١٠٧، ١٢٩، ١٣٢، ١٣٤، ١٦٨، ١٩٠، ١٩٣، ٢٠٦، ٢٠٩، ٢١٨
الإيرانيون	١٤٩
الأيوبيون، بنو أيوب	١٤٢، ١٧٦، ٢٠٦
بنو ابن رباب المعقلي	٣٦، ٣٧
بنو الحكم	٣٣
بنو حنيفة	٢١٥
بنو ذبيان	١٧٠
بنو زبيد	٣٧
بنو عامر بن الحصين بن عليم	٣٦
بنو عنس، عنس	١٣٣
بنو غسان	= الغساسنة
بنو فوقا	١٢٤
بنو قحطان	١٧٠

بنو المؤيد ١٤٤
بنو مشجعة بن التيم بن النمر بن وبرة
من قضاعة ١٧
التتر، التتار ١٧٦، ١٧٧
التركمان ١٩٨
تغلب ١٩٠
تميم ٢٧
الجند الدالاتية ١٧٩
جند العثمانية ١٧٩
حمير، الحميريون ١٧١، ١٩٠
الحوارنة ١٩٨
الحريث ٣٧
الخزرج ١٩١
خولان ١٣٣، ١٩١، ٢٠١
ربيعة ٣٦
الروم ٨٤، ١٠٧، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥
زبيد آل علي ٣٧
السكاسك ١٨٦، ١٩٠
السكون ١٨٦، ١٩٠
السلجوقيون ١٧٥
الصليبيون ١٣٥، ١٧٦، ١٩٤، ١٩٨
الصهيونية ١٦٠
العباسيون، بنو العباس ٣٤، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٢
العثمانيون، بنو عثمان ١٠٨، ١٣٥، ١٤٩، ١٧٨، ١٧٩،
٢٠٧، ٢١٣
العرب ١٠٦، ١٠٧
العشران ١٦٦

عنس = بنو عنس
الغجر (النور) ١٦٠
الغساسنة، غسان، بنو غسان ١٧، ٣٦، ٣٧، ١٥١، ١٩١
الفاطميون، العبيدون ١٦٩، ١٧٢، ١٧٣، ١٩٢، ٢٠٠، ٢٠٦
فزارة ١٩٢
القحطانية ٣٧
قيس، القيسية، القيسيون ٣٥، ٣٦، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٧، ١٩٠، ١٩٣
كلب ٣٦، ١٧٠
الكلدانيون ٣٦
المضرية ١٦٩، ١٧٠
المماليك ١٣٥، ٢٠٢، ٢١٣
المماليك البحرية ١٢٦
المماليك البرجية ١٢٦
النور = الغجر
همدان ١٨٩
اليمانية، اليمانيون، يمن ٣٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٧، ١٨٤، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٥، ٢٠٩

الأديان والمذاهب

الاشتراكية ١٥٤
أهل السنة ٣٧
التيامنة = الدروز
الحنابلة ١٤٩، ٢١٥
الحنفية ١٤٩
الدروز، التيامنة ٣٧
الدين المسيحي ٣٧
الشافعية ١٤٩
الشيعة الإسماعيلية ٣٧
الشيوعية ١٥٤
الطرق الصوفية ٣٧
القدرية ١٣٤
القرامطة ١٧٣، ٢١٥
المالكية ١٤٩
مذهب الشافعي ٣٨
المعتزلة ١٣٤
النصارى ٣٧
اليهود ٣٧
يهود دمشق ١١٠، ١١١

الكتب

أحاديث صنعاء الشام لابن عساكر ١٣٨

أحاديث كفر سوسية لابن عساكر ١٣٨

أسماء قرى دمشق لابن طولون ١١

الاشتقاق ١٧١

الأكليل للهمداني ١٨٩

البداية والنهاية ٢٠٨

التاج (تاج العروس) ١٩، ٢٩، ١٩٨

تاريخ الإسلام الذهبي ١٣٧

تاريخ ابن عساكر، تاريخ دمشق ١١، ١٠٣، ١٧٠، ١٨٥، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٦، ١٩٩

تاريخ داريا لعبد الجبار الخولاني ١١، ١٣٣

تاريخ الصالحية ١٤٥

التذكرة الكمالية ١٧٨

تسمية من كان بدمشق وغوطتها لابن أبي العجائز ١١

التعريف ٣٨

تفسير الجلالين ١٣٩

التمهيد ٢٦، ٣٠، ١٨٥، ٢١٥

جزء في الأحاديث التي رويت عند ضريح أبي مسلم الخولاني ١٣٣

جزء فيه حديث من حديث أهل حردان ١٨٩

جزء قرئ في قرية يعقوبا ١٣٩

جهان نما ٢١٢
الحماسة ١٩٣
حديث أهل زبدين وجسرين وأهل بيت سوا
ودوما ومسرابا والقصير لابن عساكر ١٣٩
حديث أهل فذايا وبيت رانس وبيت قوفا
لابن عساكر ١٣٩
حديث أهل قرية البلاط ١٣٩
حديث جماعة من أهل بيت لهيا وبرزة ١٣٩
حديث جماعة من أهل حرستا وأهل كفر بطنا
ودقانية وحجيرة وعين ثرماء وجديا وطرميس
لابن عساكر ١٣٩
حديث الحميرين وقينية لابن عساكر ١٣٩
الحريدة ٨٢
خطط الشام لمحمد كرد علي ١٥٣
الدارس للنعيمي ٢٨، ١٠٢، ١٢٦، ١٣٦، ١٤٤، ١٩٥،
١٩٨، ٢٠٩
الديارات للشابشتي ٧٧
الديرة للسيساطي ١١
ذيل تاريخ دمشق ١٩٩
رحلة ابن جبير ١٩٦
رسائل ابن عبد الهادي في خطط دمشق ١١
رسالة في تفضيل دمشق على غيرها من
البلاد لأبي الفتح ٧٧
الروضتين ٢١١
الروضة الريا للعمادي ١٣٢
روايات ساكني داريا لابن عساكر ١٣٨
زغل المناصب لابن طولون ١٣٥

شذرات الذهب ١٤٦، ١٧٥، ٢٠٩
الشعر والشعراء لابن قبيبة ٢١٥
صك وقف ابن المنجا ١٨٧
صك وقف قجماس الأسحاقي ١٨٣
صك وقفية المستشفى القيمري ١٥٣
صيد الخاطر لابن الجوزي ١٣١
صورة عقدين ١٧٤
طوبوغرافية سوريا في القرون الوسطى لدوسو ٦٨
العبر ١٧١
عجائب البر والبحر لشيخ الربوة ١١
عيون التواريخ ٢١٢
الفرج بعد الشدة ١٢٤
فتوح البلدان للبلاذري ١٧
فضل الربوة والنيرب ومن حدث بهما
لابن عساكر ١٣٨
فوات الوفيات ٢١٧
القاموس ٢٧، ٢٨، ٤٢، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٩،
١٠٤، ١١٥، ١٩٩
كتاب في التنجيم وعمل الرمل للجوبري ١٣٧
كتاب مساجد دمشق ١٨٩، ٢٠٠
كتاب وقف سيف الدين الرجيحي ٢١٥، ٢٢٠
كناش المحاسني ١٣٧
الكواكب الدراري لابن عروة المحاسني ١٣٨
مجلة المجمع العلمي العربي ٥٧
محضر ماء ثورى ٢٠٠
المختار في كشف الأسرار للجوبري ١٣٧
مخطط دهمان ٢٠٠

مخطط الغوطة	١٠٢
مراصد الاطلاع	١٦
المروج السندسية	٢١٥
مسالك الأبصار	٣٧، ٧٨
المشتبه الذهبي	١٣٧
معجم البلدان لياقوت	١١، ٢٧، ٧٤، ١٨٤
معجم الشعراء	١٩٣
من نزل المزة لابن عساكر	١٣٨
مؤلف مفرد في أسماء المحدثين بداريا	١٣٣
نزهة المشتاق	٢٩، ٦٣، ٢٠٠
الوافي	٢١٧
وقفية سعد الدين باشا العظم	١٠٣
ولاة دمشق في العهد السلجوقي	٢١٢
ولاة دمشق في العهد العثماني	٧٤، ٢١٩

البلدان والقرى والأماكن والجبال والأودية والأنهار والعيون

الأبرشية	٢٦، ٦٨
الأبرق	٨٦
آبل السوق	٧٤
الإحساء	٧٤، ٢١٥
إدارة الكهرباء والترامواي	١٤٧
أديرة الغوطة	٢١٦
أذنة	٧٥
الأردن	٣٣
الأرجام	١٨٢
أرزة، الأرز	٢٩، ٦٨، ١٨٢، ١٨٣، ١٩١، ٢١٨
أرزونا	١٣٨، ١٦٩، ١٨٢، ١٩١، ٢٠٣
الأرصاد	٨٩
أرض أبان	١٨٢
أرض باب السريجة	١٠١
أرض التل	١٨٢
أرض التلول	١٨٣
أرض التلة	١٨٣
أرض جوبر	١٥٢
أرض الخامس	١٨٨
أرض الخرامة	١٨٣
أرض الدير	١٩٠
أرض الروم	٧٥

أرض الشاغور ٣١
أرض شور الزهر ٦١
أرض الطاقة ١٨٣
أرض عاتكة ٢١٠
أرض عتيق ١٨٣
أرض القابون ١٠١
أرض المزرعة ١٨٣
أرم ذات العماد ١٥٣
الأشرفية ٢٠، ٢١، ٢٦، ٣٠، ٣٧، ١٠٣
اشفانية ٦٩، ١٨٣
أعمال دمشق ١١٦
افتريس، الافتريس، فتريس ٢٦، ٣٠، ٩٧، ١٠١، ١٠٢، ١١١، ١٨٩، ١٩٤، ١٩٧، ٢١٣
الأفغان ٣٨
إقليم باناس ١٠٢، ١٢٥، ١٨٤، ١٩٣، ٢٠٥
إقليم برزة ١٢٥
إقليم البلان ١٢٥
إقليم بيت الآبار ١٠٢، ١٢٥، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٧، ٢١٣، ٢١٦
إقليم بيت لهيا ١٠٢، ١٢٥، ١٩٤
إقليم التفاح ١٢٥
إقليم الجبهة ١٢٥
إقليم حردان ١٢٥، ١٩٥، ٢٠٢، ٢١٧
إقليم خولان ١٢٥، ١٩١، ١٩٤، ٢١٧
إقليم الخروب ١٢٥
إقليم داريا ١٠٢، ١٨٥

إقليم داعية ١٠٢، ١٢٥، ١٩٠، ١٩١، ١٩٧
إقليم الزنار ١٢٥
إقليم المزة ١٢٥
الأكواخ ١٨٣
انا كاس ١٨٣
الأهرام ٨٩
اوتايا ٢٠
أوروبا ١٣٥
الأوزاع ١٧١، ١٨٣
الأوصاب ١٧١
إيوان كسرى ٢٠٦، ٢٠٨
باب البريد ٦٧، ٧١، ٨٩
باب توما ١٧٦، ١٨٨، ١٩١، ١٩٥
باب الجابية ١٤١، ١٧٦، ١٩٨، ٢٠٨، ٢١٠، ٢١٤
باب الجامع الأموي الشرقي ٧٤
باب الحديد ٢٠٠
باب دار السعادة ١٤٦
باب دمشق ١٨٤
باب دمشق الغربي ٦٣
باب السريجة ٢٩، ١٤٦، ١٥٤، ١٩٩، ٢٠٠
باب شرقي، الباب الشرقي ١٤٦، ١٥٤، ١٨٩
باب الصغير، الباب الصغير ١٣٢، ١٩٩
باب الفراديس ٦٣، ١٨٣، ٢١٥، ٢١٦
باب النصر ١٤٦
باقطايا ١٨٤
بالا ٢١، ٢٢، ٢٤، ٢٦، ٦٨، ٩٧، ١٠٠، ١٠١، ١١١، ١٦١

بالا الحديثة ٢٦
بالا القديمة ٢٦
ببيلا ٢٦، ٣١، ٦٢، ٦٩، ٩٦، ٩٧، ١٠٢، ١٢٥، ١٥٢، ١٦٥، ١٩٩
بج حوران ١٨٤
البحدلية ٢٢، ٢٦، ٢٧
البحر الأسود ٩٩
البحرين ٧٤، ٧٥
بحيرة العتيبة ٢١
بحيرة المرج ١٩
بحيرة الهيجانة، مناقع الهيجانة ١٩، ٢١
بخعة ٣٦
برتايا ١٢٥، ١٨٢، ١٨٤، ١٩٠
البرج ١٨٤
برج الدراجية ١٩١
برزة ١٦، ٢١، ٢٩، ٣٠، ٦٨، ٨٨، ٩٦، ١٠٣، ١٦٤، ١٩٣، ١٩٧، ٢٠٤، ٢١٣
البريص ١٧
بساتين باب السريجة ٢٠٠
بساتين دمشق ٢٤، ٢٠٩
بساتين الربوة ١١٠
بساتين الصالحية ١٠١، ٢١١
بساتين الشاغور ١٠١
بساتين العنابة ١٥٢
بساتين المزة
بساتين الميدان ١٠١

بستان ابن جماعة ٢٠٩
بستان ابن النشو ٢٠٩
بستان [في] أرض جرمانا ١٨٦
بستان البودي = بستان اللبودي
بستان الجرن ١٨٤
بستان الحاجب ٦٥
بستان الخامس ١٨٨
بستان الشموليات ١٤٦
بستان اللبودي، بستان البودي ١٤٦، ٢٠٠
بستان الماطرون ٢١٨
بستان الميطور ١٤٣
بستان الناعمة ١٨٤
بستان النيطور ٢٠٣
بسطرا ١٨٤
البصيع ١٩
البضيع ١٩
بغداد ١١٧، ٢٠٩، ٢١٢
بلاس، حوش بلاس ٢٦، ٢٩، ٣٠، ١٠٢، ١٠٣، ١٢٥، ١٥٤، ١٧٠، ٢١٤
البلاط، البلاطة، بيت البلاط، بيت البلاطة ٢٦، ٣٠، ٩٧، ١٠٢، ١٧١، ١٨٣، ١٨٥
البلينة ١٩
البهنسية ١٤٣، ٢٠٣
البويضة، البويضاء ٢١، ٢٦، ٢٩، ١٠٢، ١٠٣
بيت الآبار ١٢٦، ١٣٨، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ٢١٨، ٢٢٠

بيت أبيات ٢٦، ٦٨، ٨٦، ١٦٩، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٨، ٢٠٢، ٢١١، ٢١٧
بيت ارانس، بيت رانس ٢٦، ٣٠، ٦٩، ١٣٩، ١٨٥، ١٨٦، ٢٢٠
بيت الإمارة ١٩٢
بيت أناكاس ١٨٣
بيت البلاط، بيت البلاطة = البلاط
بيت الحرام، البيت العتيق ٨٢، ٢١٠
بيت سابا، أو سابر ١٨٥
بيت سحم ٢٧، ٩٧، ١٠١، ١٠٢، ١٨٦
بيت سوا ٢١، ٢٧، ٢٩، ٩٧، ١٠١، ١٠٢، ١٧١، ١٨٦، ١٩٤، ٢٠٥
البيت العتيق = البيت الحرام
بيت قوفا ٢٧، ٦٩، ١٤٩، ١٨٦
بيت لهيا ١٦، ٦٨، ٧٣، ٨٧، ١٣٦، ١٧٦، ١٧٨، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٦، ١٩١، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٧، ٢٠٢، ٢٠٩، ٢١٨، ٢١٩
بيت ماراس ١٨٣، ١٨٦
بيت نايم ٢٠، ٢٥
بيت والي ١٨٦
بيت وانة ١٨٦
بيروت ١٨٣
البيطارية ٢١
بين النهرين ٦٦

ت

تحت الطارمة ٦٦
تحسين ٧٦
تخوت الربوة ٦٥
التخوت ٦٦
تدمر ١٨
تربة الوزير تقي الدين التكريتي ١٤٢
تربة الحميريين ١٤٦
التربة المعظمية ٢١٧
تسيل ١٩
التعديل ٢٠١
التل ١٨٧
التل الأحمر ١٨٧
تل أم الأبر ١٨٥
تل الثعالب ١٩٥
تل الحفارة ١٨٧
تل الذهب ٢٦
تل سوجق ١٨٧
تلفياثا ٦٩، ١٨٦، ١٨٧
تلفيتا ١٧٣
تل الشعير ٢٦
تل القرود ١٨٧
تل كردي ٢٥
تل هجون ١٨٧
تلة الباب الشرقي ١٨٧
تلة البيرة ١٨٧

تكية البخاريين ١٤٥
تكية السلطان سليمان ١٤٨
التكية السليمانية ١٥٢، ٢٠٨
توماء ١٨٧، ١٨٨
التومة السفلى ١٠٢
التومة العليا ١٠٢
تونس ٣٨

ث

الثغور ١٨٨
الثكنة الحميدية ١٤٤، ١٥١
الثمودية ١٨٨
ثنية العقاب ٦٣، ١٥٠، ١٥١

ج

جامع أرزونا ٨٢
جامع الأزهر ١٣٩
جامع الأفرم ١٤٢، ١٤٥
الجامع الأموي، جامع بني أمية، جامع دمشق ١٨، ٧١، ٧٤، ٨٦، ٨٩، ١٣٢، ١٣٤، ١٧٤، ١٨٩، ٢١٧
جامع بني أمية = الجامع الأموي
جامع بيت الآبار ١٣٤
جامع جسرين ١٤٩
جامع حرستا ١٤٩
جامع الحنابلة = الجامع المظفري
جامع خراسان ١١٠
جامع داريا ١٧٧
جامع راوية ١٤٩

جامع القصب	١٩٤
جامع محيي الدين بن عربي	١٥٣
جامع المزة	١٤٩
الجامع المظفري، جامع الحنابلة	١٤٥
الجبل الأسود	٢٠
جبل برزة	١٥١
جبل البصيع	١٩
جبل الحلو	٢٠
جبل الثلج	= جبل الشيخ
جبل دمشق	= جبل قاسيون
جبل دوما	٦٨
جبل سنير	٢٠، ٢٥، ٣٦، ٣٨، ٧٩، ١٢٦
جبل الشيخ، جبل الثلج	٢٠، ٣٧، ١٥٠، ١٥١، ١٨٦
جبل الصالحية	= جبل قاسيون
جبل قاسيون، جبل الصالحية، جبل دمشق (راجع أيضًا سفح قاسيون)	٢٠، ٧١، ٩٩، ١٤٤، ١٤٦، ١٥١، ٢٠٤، ٢١٨
جبل قلمون	٢٠
جبل المانع	١٩، ٢٠، ١٥١
جبل المزة	١٥٤
جبل المصيع بالصاد المهملة	١٩
جبل المضيع بالضاد والياء	١٩
جبل لبنان الشرقي	٢٠
جادة الخطيب	١٩٤
جادة عاصم	١٩٤
جاسم	٨٠
الجامعة السورية	١٤٤، ١٤٨، ١٥١

جبعدين ٣٦

الجبهة ٦٦

الجديدة ٢٥

جديا ٦٨، ٨٩، ١٢٥، ١٣٩، ١٧٦، ١٨١، ١٨٨

الجربا ٢٦

جرش (قراها) ١٧١

جرمانا، جرمانس ٢٦، ٢٧، ٣٠، ٣١، ٣٧، ٦٢، ٦٨، ٧٤، ٨٨، ٩٧، ١٢٥، ١٥٢، ١٦٥، ١٨٥، ١٨٧، ٢١٣، ٢١٨

الجزائر ٣٨

جزيرة العرب ٧٢، ٢١٥

جسر ابن شواش ٦٧، ٢٠٣

الجسر الأبيض ١٤١، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٦، ١٤٧

جسر ترميس ١٩٦

جسر ثورى ١٥٤، ١٨٦، ١٩٧

جسر جسرين، جسر الغيضة ٦٥، ٧٤، ١٩٥، ٢٠٣

جسر الغيضة = جسر جسرين

جسر كحيل ١٤٦

جسرين ١٢، ٢٦، ٢٧، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٦٥، ٦٨، ٧٦، ٨٦، ٨٨، ٩٧، ١٠١، ١٠٢، ١٠٨، ١٢٦، ١٣٧، ١٥٢، ١٦٥، ١٧١، ١٧٢، ١٩٩، ٢٠١، ٢١٣

الجسورة ١٨٨

جلق ١٧، ٦٤، ٧١، ٧٥، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٦، ١٧٧، ٢٠١

جمرايا ٧٤
الجمالية ١٤٣
جنائن الورد ١٩٧
الجنك ٦٦، ٦٧
الجوابي ١٩
جوبر ٢٧، ٣٠، ٣٧، ٣٨، ٦٢، ٦٤، ٦٨، ٨٧، ١٠١، ١٠٢، ١٢٥، ١٣٧، ١٥٣، ١٦٤، ١٧٦، ١٨١، ١٨٨، ١٩٣، ١٩٦، ١٩٩، ٢٠٠، ٢١٣، ٢١٥
جورة عطاء ١٨٨
الجورة البرانية ١٨٨
الجورة الجوانية ١٨٨
الجورتان ١٨٨
جرسق ابن الفراش ٢١١
جرسق الرئيس ٢٠٨
جرسق العادل ٢١٠
جيرون ٧٤، ٧٥، ٨٣، ١٩٣، ٢٠٥

ح

الحارثية ١٨٩
حارة التركمان ١٧٩
حارة الحلبوني ٢٠٠
حاكورة العداس ١٤٣
الحجاجية ٢٠٨
الحجاز ٦١
حجرا = حجيرا
حجور ١٨٩

حجيرة، حجيرا ٢١، ٢٧، ٢٩، ٣٠، ٦٩، ١٠٢، ١٠٣، ١٦٩، ١٨٩، ١٩٢، ٢١٤
حدائق جلق ١٠٤
الحديثة، حديثة الجرش ٢٤، ٢٦، ٢٧، ٣٠، ٦٥، ٦٨، ٩٧، ١٠٠، ١٠٢، ١١١، ١٥٢، ١٦١، ١٧١، ١٨٧، ٢١٣
حديقة الأمة ١٤٤، ١٥١
حران العواميد ١٨، ٢٦
حرتعلا = حور تعلا
حرجلة ١٨٩
الحرجية ١٧١، ١٨٩
حردان ١٨٩، ١٩٠
حرستا، حرستا البصل، حرستا الزيتون، حرستا القنطرة ٢١، ٢٢، ٢٥، ٢٧، ٢٩، ٣٠، ٣٧، ٦٢، ٦٨، ٩٦، ٩٧، ١٠١، ١٠٢، ١٣٦، ١٥٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٧٦، ١٨٢، ١٨٤، ١٨٨، ١٩٧
حرلان ١٩٠
الحريرية ١٤٨
حزرما ٢٦
حزة ٢٧، ٣٠، ١٠١، ١٠٢، ١٦٥، ١٨٣، ١٩٤، ٢٠٥
حصون خولان ١٨٤
حكر السماق ١٧٦
حكم ١٩٠
حلب ٩٧، ١٠٩، ١١٠

حلفبلتا	٦٩، ١٩٠، ١٩٧
الحلاج	١٩٠
حمام الربوة	٣٢
حمام القابون الفوقاني	٣٢
حمام النيرب	٣٢
حماما القابون التحتاني	٣٢
حماما المزة	٣٢
حمامات السهم	٣٢
حمامات الصالحية	٣٢
حمامات الغوطة	٣٢
حمتا	١٩٠
حمص	١٧٣
حمورية	١٦، ٢٦، ٢٧، ٣١، ٩٧، ١٠١، ١٠٢، ١٢٥، ١٥٢، ١٦٥، ١٦٩، ١٨٤، ١٨٩، ١٩١، ١٩٥، ٢٠٤، ٢١٣، ٢١٥
الحميريون	٣٠، ١٣٩، ١٧١، ١٩٠
حوارة	١٦٩، ١٨٢، ١٩٠
حواكير الصبار	١٠٤
حوران	١٩، ١١٨، ١٦٠
حور تعلا، حرتعلا	١٩١، ٢١٣
حوش الأشعري	٢٠، ١٠٠، ٢٠٤
حوش بلاس	= بلاس
حوش خرابو	٢٠، ٦٨، ١٨٧
حوش الخياط	٦٨، ١٨٧
حوش الدوير	٢٢، ١٩٢

حوش الريحانية ٢٠، ٢٧، ٩٦، ١٠٢، ١٠٣
حوش سلطان ٢٢
حوش الشعير ٢٢
حوش صهيا ٢٢، ١٠٢
حوش العصافير ٢٢
حوش مباركة ٢٠
حوش المنبن ٢٠
حومل ١٩
حي الأكراد ٢١، ١٤٣، ١٤٤، ١٥٣، ١٨٥
حي الشهداء ١٨٢
حي الشويكة ١٩٠
حي العقيبة ١٨٣
حي القزازين ٢١٢
حي المهاجرين ٢١

خ

الخامس ١٨٨
خان الباشا ٢٠١
خان البطيخ ٢٠١
خانقاه الطاحون ١٤٦
خانقاه الطواحين ٢٠١
خان القصير ٢٠٧
الخانقاه الاسكافية ١٤٦
الخانقاه الباسطية ٦٧، ١٤٦، ١٤٧
الخانقاه الحسامية الشبلية ١٤٦
الخانقاه الخاتونية ١٤٦، ٢٠٩
الخانقاه الطواويسية ١٤٧

الخانقاه العزبة ١٤٧
الخانقاه الكججانية ١٤٧
الخانقاه الناصرية ١٤٧
الخذقدونة، الغذقدونة ٧٥
خربة سبينة ١٩١
خربة الفنيدق = الفنيدق
خزانة دار الآثار بدمشق ١٨٣
خزانة كتب المدرسة العمرية ١٤٥
الخضراء ١٦٩
الخلخال ٦٦، ٧٠، ١٤٤
الخميسيات ٦٧
الخيارة، خيارة نوفل ٢١، ٢٦، ٢٧، ٣٠، ١٠١، ١٤٩، ١٦١
خولان ٣٠

د

دائرة الشرطة ٨٣
دار الآثار ١٥٢
دار التوليد ١٥١
دار الحديث الأشرفية ١٤٢، ١٤٤
دار الحديث الفاضلية ١٨٤
دار الحديث القلانسية ١٤٢
دار الحديث الناصرية ١٤٢، ١٤٨
دار الروم ٧٥
دار طب وهندسة ١٤٦
دار القرآن الدلامية ١٤١
دار القرآن الصابونية ١٤١

دار الكتب الظاهرية ١٤٥، ١٨٩، ٢٠٧
دار الأمير ابن منجك ٧٠
داريا ٢٠، ٢١، ٢٦، ٢٧، ٢٩، ٣٠، ٣٧، ٦٢، ٧٣، ٧٤، ٩٦، ٩٧، ١٠١، ١٠٢، ١٢٥، ١٢٦، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٩، ١٥٢، ١٥٤، ١٦١، ١٦٤، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٣، ١٧٥، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٣، ١٩٠، ١٩١، ١٩٦، ٢٠٠، ٢٠٨، ٢١٢
دارين ٧٥
الدارة ١٩١
داعية ١٦٩، ١٩١
الداودية ١٤٨، ١٨١، ١٨٢، ١٩١
الدراجية، برج الدراجية ١٩١
الدف ٦٦، ٦٧
دف الجحر ١٩١
دقانية ١٣٩، ١٦٩، ١٨٢، ١٩٠، ١٩١
الدكة ١٩٢
دمر ١٩، ٩٠
دمشق ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٣، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٧، ٨، ٣٩، ٥٨، ٦١، ٦٢، ٦٥، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٨٠، ٨٣، ٨٤، ٨٦، ٩٠، ٩٢، ٩٧، ٩٨، ٩٩،

١٠١، ١٠٢، ١٠٧، ١٠٨، ١١٣،
١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠،
١٢١، ١٢٤، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٩،
١٣٠، ١٣١، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٩،
١٤١، ١٤٢، ١٤٥، ١٥٠، ١٥١،
١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٦٣،
١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨،
١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣،
١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨،
١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٣، ١٨٤،
١٨٦، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٢، ١٩٥،
١٩٦، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١،
٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦،
٢٠٧، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢،
٢١٣، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩

الدهشة ١٥٢، ٢٠٩

الدو ١٩

الدواسة ١٩٢

دور الضيافة ١٩٨

دومة، دوما ٢١، ٢٢، ٢٦، ٢٧، ٢٩، ٣٨، ٦٢،
٦٦، ٩٦، ٩٧، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣،
١٤٩، ١٥٢، ١٥٣، ١٦٤، ١٧١،
١٨٦، ١٨٨، ١٩١، ١٩٢، ١٩٦،
١٩٧، ٢٠٧

الدوير ٢٦، ١٩٢

الدويلعة ١٩٢

الديار الشامية ١٢٨، ١٢٩، ١٧٤، ١٨٧، ٢٠٨
دير ابن أبي أوفى ٢١٤
دير ابن عصرون ٢١٧
دير البالسبي ٦٩
دير بحدل ١٠١، ١٠٢، ١٤٩، ١٦١
دير بشر ٢١٤، ٢١٥
دير بطرس ٢١٥
دير البقر ٢١٥
دير بولس ٢١٥، ٢١٦
دير تاودورس ٢١٥
دير الحجر ٢١
دير حرملة ٢١٥
دير الحكيم ٢٠٢، ٢١٥
دير الحميري ٢١٥
دير الحنابلة ١٤٥، ٢١٥
دير حنينا ٢١٦، ٢١٩، ٢٢٠
دير الحوراني ٢١٥
دير خالد بن الوليد ٢١٥، ٢١٦
دير خليل ١٨٥، ٢١٦
دير داريا ٢١٦، ٢١٧
دير الرهبان ٢١٥
دير السائمة ٢١٦
دير سابر ٢١٧
دير سمعان ٢١٧
دير صليبا ٢١٦
دير العصافير ٦٩
دير قانون ٧٤

دير القس ٢١٧
دير قيس ٢١٧
دير اللباد، دير اللبان ٢١٧
دير مار الياس ٢١٧
دير الماطرون ٢١٨
دير منى ٢١٩
دير محمد ٢١٨
دير مران ٦٣، ٦٨، ٧٣، ٧٥، ١٥٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٨، ٢١٠، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠
دير النواطير ٦٩، ٢٢٠
دير هند ١٨٥، ١٩٤، ٢٢٠
ديرينه ٢٢٠
ديريونا (بوحنا) ٢٢٠
الديران ٢١٦
الديران: دير بولس ودير بطرس ٢١٥
الديران: دير خالد ودير حرملة ٢١٥
الديليمات ٧٩، ١٩٢
الدبوانية ١٩٢

ذ

ذات الصنمين ١٩
ذات القرنفل = عربيل

ر

رامة ٨٦
الراهب ١٩٢

راوية (قبر الست) قرية الست ٢١، ٢٨، ٦٩، ١٠٢، ١٠٣، ١٤٩، ١٧٠، ١٨٧، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٩
رباط التكربتي ١٤٧
رباط الفقاعي ١٤٧
رباط السيخ محيي الدين بن عربي ١٤٧
رباط المزة ١٤٧
الرباط الناصري ١٤٥، ١٤٧
ربض دمشق ١٧٣
الربوة ٢٩، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٩، ٧٤، ٧٥، ٨٥، ٨٩، ٩٠، ١٣٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٧٦، ١٩٢، ٢٠٤، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٣، ٢١٩
الرحيليات ١٩٠
الرشيدية ١٩٠
الرقمتان ٨٦، ٨٧
الرقة ١٦٩
رمدان ٢١
الروم ٧٥
رومانيا ٩٩
الريحان ٢٠

ز

الزاربان ٢٠٤
الزاوية الارموية ١٤٧
الزاوية الارموية الشرقية ١٤٧
زاوية خضر العدوي ١٤٨
الزاوية الدينورية ١٤٨

الزاوية السيوفية ١٤٨
الزاوية العمادية المقدسية ١٤٨
الزاوية الفرنثية ١٤٨
الزاوية الفقاعية ١٤٨
الزاوية القوامية البالسية ١٤٨
الزاوية اليونسية ١٤٧، ١٤٨
زبدين ١٨، ٢١، ٢٦، ٨٩، ٩٧، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١١١، ١٥٢، ١٦١، ١٨٣، ١٩٣، ٢٠١، ٢١٣
زراعة الضحاك ١٩٣
الزعفرانية ١٩٣
الزعيزعية ١٩٣
زقاق الجن ٢٠٠
زقاق فذايا ١٩٧
زقاق النواعير ١٠٤
زلوبية ١٩٣
زملكا، زملكان ٢٦، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٩٧، ١٠١، ١٠٢، ١٠٨، ١٣٥، ١٥٢، ١٦٩، ١٧٦، ١٨٨، ١٩٣
زينون ١٨٢، ١٩٠، ١٩٤

س

ساجر، ساجد ١٧١، ١٩٤
ساحة القصرين ٨٩
سام ١٩٤
السبع قاعات ٢٠٢
السبع الوجوه ٨٩

السبعة ٦٦
سبعين ١٩٤
سبينات ٢٠، ٢٦، ٢٨، ١٠٣
سبينة ٢٠، ٢٦، ٢٨، ٣٠، ١٠٣، ٢١٤
سبينة الشرقية ١٠٣، ٢١٤
سبينة الغربية ١٠٣، ٢٢٠
سجستان ١٧١
السرير، مهد عيسى، الربوة ٧٤
السطح ١٩٤
سطرا، سطرا العرب ٢٩، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٨، ٨٦، ٨٩، ١٨٤، ١٩١، ١٩٤
سريتين ١٨١، ١٩٤
سفح قاسيون، قاسيون
(راجع أيضًا جبل قاسيون) ٧٠، ٨٩، ٩٢، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٠، ١٥٣، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢١٠، ٢١٥
السفليون ٣٠، ١٨٢، ١٩٥، ١٩٩
سقبا ٢٦، ٢٨، ٣٠، ٣١، ٦٨، ٩٧، ١٠٢، ١٢٥، ١٥٢، ١٧١، ١٧٢، ١٧٦، ١٨٧، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٥
سكاء، قصر سكا ٢٩، ٣٠
سلطايا ١٨٢، ١٩٠، ١٩٤
السموقية ١٩٥
السند ٦١
سهل المزة ١٠٤
السهم ٦٨، ٧٠، ٨٥، ٨٨، ١٤٩، ١٥١

السهمان ٧٠
سور دمشق ٢٤
سورية ٣٦
سوق التبن ٢٠١
السويدا ٢٦
سويقة صاروجا ١٤٥، ١٨٢، ٢٠١
سينما روكسي ١٤٧
السيلون ٦٨، ١٩٠، ١٩٥

ش

شارع بريطانيا ١٥٥
شارع بغداد ١٥٣، ١٥٥، ١٩٢، ١٩٤
شارع فؤاد ١٥٥
شارع فاروق ١٥٥
شارع المدرسة الجهاركسية ١٤١
شارع النصر ١٥٥
شاطئ اليرموك ٢٩
الشاغور ٢٩، ٩٧، ١٠٢، ١٧٦، ١٧٧، ١٨٤
الشام ١٨، ١٩، ٣٢، ٣٦، ٦٠، ٦٣، ٦٤، ٧٠، ٧٣، ٧٨، ٨١، ٨٢، ٨٩، ٩٩، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١١١، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٣، ١٢٥، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٤٤، ١٥١، ١٦٦، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٩، ١٨٥، ١٨٩، ٢١١، ٢٢٠
شبعا ٢٢

شعبان ١٨٣
شعب بوان ٧٢
الشبلية ١٤٣، ١٤٦، ١٥١
الشقيف ١١٧
شفونية ٢٠، ١٨٣
الشقراء ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٨٣، ٨٧
الشقيري ١٩٥
الشماسيات ١٩٥
الشماسية ١٩٥
شمس ١٩٥
الشرف ٨٣، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١
الشرف الأدنى = الشرف القبلي
الشرف الأعلى، الشرف الشمالي ٦٧، ٧٤، ٨٨، ٩٠، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٧، ١٤٨، ١٥١، ١٩٧، ٢١١، ٢١٣
الشرف القبلي، الشرف الأدنى ١٤٢، ١٤٣، ١٤٧، ١٤٨، ١٥١
الشرفان ٦٥، ٧٠، ٨٧، ١٥١

ص

الصالحية، صالحية دمشق ١٦، ٢٩، ٦٦، ٦٧، ٧٠، ٨٧، ٩٧، ٩٩، ١٠٤، ١٣١، ١٤١، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٣، ١٧٦، ١٨٥، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢١٠، ٢١١، ٢١٥، ٢١٧
صحراء دمشق ٧٣
صحنايا ٢٠، ٢١، ٢٦، ٣٧، ٦١، ١٠٣، ١٩٨
صخرة المزة ٨٩، ٢٠٤

صدر البازي ١٥٣
الصدف ١٨٤، ١٩٥
صرخد ١٤٣
صفد ١١٧
صغد سمرقند ٧٢
الصفة ٢٠٦
صفة بقراط ٢٠٩
الصفوانية ٢٦، ١٠٢، ١٨١، ١٩٠، ١٩٥، ٢٠٤
الصمان ٢٩
صنعاء، صنعاء دمشق ٢٦، ٣٠، ١٣٩، ١٧١، ١٩٥، ١٩٦
صهبا = حوش صهبا
الصوفانية = الصفوانية
الصويطي ١٩٦
الصين ٦١

ض

ضيعة من صوافي الروم ١٠٨

ط

طاحون الإحدى عشرية ١٩١
طاحون الأشنان، طاحون الشنان ٦٤، ١٥٢، ١٨٥، ٢٠٢، ٢١٢
طاحونة الشقراء ٦٤
طاحون الشنان = طاحون الاشنان
طاحون العبد ١٩١
طاحونة العثمانية ٢٠٠
طاحون مقرى ٢٠٢
طبرية ١١٠
طرسوس ٧٥

طرميس ١٣٩، ١٨١، ١٩٦، ١٩٩
طريق بغداد القديم ١٨٦
طريق الصالحية ١٨٢
طواحين دمشق ٨٩
الطواويسية = الخانقاه الطواويسية
الطيرة ١٩٦

ع

العاشق والمعشوق ٦٦
عالية وعويلة ١٩٦
العب ٢١، ١٩٦
العبادة، العبادية ٢٥، ١٩٦، ١٩٧
عدن ٧٦
عذرا ٢٦
العذول ٦٦
العراق ١٨، ٣٦، ٧٠، ١٥٠، ١٧٢، ٢١٢
عربيل، عربين، ذات القرنفل ٢٦، ٢٨، ٣٠، ٣٧، ٦٢، ٦٨، ٨٨، ٩٧، ١٠١، ١٠٢، ١٢٦، ١٣٨، ١٤٠، ١٤٩، ١٥٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٩، ١٨٢، ١٨٤، ١٩٠، ١٩٤، ٢١٥
العريش ١١٩
عزتا، حصن عزتا ٧٨، ٧٩
العصرونية ١٩٧
العطارة ١٩٧
العطنة ١٥١
عقبة جوزة الحدباء ١٨٢
عقبة مروان ٢١٨

عقربا	٢١، ٢٦، ٢٨، ٢٩، ٣١، ٦٢، ٦٩، ٩٧، ١٠١، ١٠٢، ١٥٢، ١٨٣، ١٨٥
العقيبة	٢٩، ١٧٦، ١٧٧
عقيق المدينة	٧٤
العقيق	٦٤
علية	١٩٧
العمادية	١٨١
العناية	٢٦، ٦٦، ٩٧، ١٥٤، ١٩٧، ٢١٤
عويلية	= عالية وعويلة
عين ثرما، عين ترما	٢٨، ٢٩، ٣٠، ٦٨، ٩٧، ١٠١، ١٠٢، ١١٢، ١٨٢، ١٨٩، ٢٠٥، ٢١٨
عين حاروش، عين حروش	١٠١، ١٤٥
عين دارة	١٦٦
عين زربة	٧٥
عين السويسة	١٠٠
عين الفيجة، ماء الفيجة	٢٢، ٢٣، ٧٨، ١٠٥، ١٥٢، ١٦٣
عين القصارين، عوينة القصارين	١٩٧
عين الكرش	١٤٥
عين كمشتكين	٢٠٠
عين منين	١٥٠
عيون قاسريا	٦٨
عيون قلايا	١٠١
عوينة الحمى	١٩٧
العوينة	١٩٧

غ

الغسولية	١٤٨

الغوطتان ١٥، ١٦، ٨٠، ٨٢، ٨٣، ٨٦، ٩١، ١٠٥، ١٢٦، ١٣١، ٢١٩

الغوطة ١١، ١٢، ١٣، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٨، ٧٠، ٧٢، ٧٣، ٧٦، ٧٨، ٨٣، ٨٦، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٣، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٥، ١١٦، ١١٨، ١١٩، ١٢١، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٦، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨١، ١٨٢، ١٨٤، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢١٢، ٢١٣،

٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٨، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٥، ٢٢٦

الغوطة الجنوبية، الغوطة القبلية	١٧، ٢٦، ١٥٢
الغوطة الشرقية	١٧
الغوطة الشمالية	١٧، ٢٦، ١٥٢
الغوطة الغربية	١٦
الغوطة الوسطى	٩٧، ١٥٢، ١٨٧
الغيضتان	١٦، ٨٢
غيضة جسرين	= غيضة السلطان
غيضة السلطان	٦٥، ١٠٠

ف

فتريس	= الأفتريس
الفحص	١٧
فذايا	١٣٩، ١٨٥، ١٩٧، ٢٠٠، ٢٠٥
الفراديس	٣٣، ١٧٣، ١٨٣، ٢١٥
فروق (استانبول)	٢٠٢
الفضالية	٢٠
فطم التلة	١٩٨
الفلج	٧٤
فلسطين	١٦٠
فندق بني عبد المطلب	١٩٨
فندق الراهب (أو بني الراهب)	١٩٨
فندق الفارقي	١٩٨
الفنيدق (خربة الفنيدق)	١٩٨
الفيحاء	٩٠

ق

القابون ٢٦، ٣٠، ٩٦، ٩٧، ١٤٤، ١٥٣، ١٥٤، ١٦١، ١٦٤، ١٧٦، ٢٠٥، ٢١٢، ٢١٣

القابون التحتاني ٢٨، ١٠٢، ١٨٢، ١٩٨، ٢١٢

القابون الفوقاني ٢٨، ١٠٢، ١٩٨، ٢١٢

قاسيون = سفح قاسيون

القاهرة ٨٢، ١٥٣

قبر بلال ١٣٢

قبر الست = راوية

قبر عاتكة ٢١٠

قبر عكاشة ١٩٦

قبة السيار ١٥١

قبة سيدي أبي ٢٤

قبة المأمون ٢١٩

القبة المهدوية ١٧٦

قبة النصر أو النسر ١٥١

القبيبات ١٣٨، ١٧٩

القدم ٢٨، ٣٠، ٩٧، ١٠١، ١٠٢، ١٤٠، ١٥٢، ١٥٣، ١٨٧، ١٩١، ١٩٥، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠

قرحتا ١٩٨

قردى ١٩٩

القريتان ١٥١

قرية سيدي مدرك ١٩٩

القصاع ١٥٤، ١٨٦

القصر الأبلق ٦٥، ٦٨، ٧٤، ٨٣، ٨٧، ٢٠٧، ٢٠٨
القصر الأبلق بقلعة مصر ٢٠٧
قصر بني الكريمي ٢١١
قصر بني عمر ١٩٩
قصر بني يعفر ٢٠٨
قصر تنكز ٢٠٨
قصر حجاج ١٧٦، ١٧٧، ٢٠٨
قصر الحكومة ٨٣
قصر خمارويه ١٩٢، ٢١٠
قصر الملك الناصر داود ٢١٢
قصر الدهشة ٢٠٨، ٢٠٩
قصر سكا = سكاء
قصر الشرف الأعلى ٧٦
قصر شمس الملوك ٢١٢
قصر صاري بك ٢٠٩
قصر الصفوري ٢٠٩
قصر عاتكة ٢١٠
قصر الفقراء ٢١٠
قصر كريم الدين ٢١١
قصر اللباد، (اللبان) ١٥٢، ١٩١، ٢١١، ٢١٢
قصر المأمون والمتوكل ٢١٢، ٢١٣
قصر محافظة دمشق الممتازة ٨٣
قصر الملوك ٢١٢
قصر منجك ٦٧، ٢١٣
قصر هرقل ٢١٣
قصر يزيد ٢١٣
قصم ١٧

قصير دومة	١٥٣
القصور	٢٠٧
قصور الربوة	٢٠٩
قصور السكسكي	٢٠٩
قصور الشام	٢١١
القيسا	٢٦
قصور الشرفين	٢٠٩، ٢١٣
قصور محمد بن عمرو السكسكي	٢٠٩
قصور المرجة الخضراء	٢١٢
قصور معيوف أمير دمشق	١٨٢
القصير	١٩٩
قصير دومة، قصير القوافل	١٩٩
قصيبان	١٩٩
قضاء دمشق	٢٢
قضاء دوما	٢٢
القطائع	١١٢، ١٩٦
القطيعة	١٩٩
قلاع وحصون جبل المزة	١٥٤
قلايا	٢١
قلبين	٦٨، ٧٥، ٨٨، ١٨١، ١٩٩
قلعة دمشق	٢٠١، ٢١١
القلمون	١٢٦
قناة ألبين (قلبين)	١٩٩
قناة بيت ارانس	٣٠
قناة دير بشر	٣٠، ٢١٤
قناة الشوافة	١٠٣
قناة القنوات	= نهر القنوات

قناة المزة	١٠٠، ١٠١
قنسرين	٢١٤
القنوات	٢٩، ١٥٤، ٢٠٥
قينية	١٣٩، ١٩٦، ١٩٩
القوينصة	١٩٩

ك

كثار	٦٨، ٢٠٠
الكثيب الأحمر	١٨٧
كروم حوارة	١٩٠
كفر بطنا، كفر بطنه	٢٦، ٢٧، ٣٠، ٣١، ٦٨، ٩٧، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٢٥، ١٣٧، ١٥٢، ١٦٥، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٩٤، ١٩٥، ٢٠٠، ٢٠١
كفرسوسية	٢٦، ٢٨، ٣٠، ٣٨، ٦٢، ٦٩، ٩٦،. ٩٧، ١٠١، ١٠٢، ١٠٤، ١٥٢، ١٥٣، ١٦١، ١٦٤، ١٧١، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٥، ١٩٩، ٢٠٠
كفر طاب	٨٣
كفر مدير، كفر مديرة، كفر مديرى	٢٠٠
الكور الشامية	١٨١
الكسوة	١٨٧
كنيس اليهود	٣٧
كهف جبريل	١٤٨
كوكب، كوكبا	٢٠٠
كليفورنيا	٩٨
كيليكية	٩٩

كيوان ١١٠

ل

اللؤلؤة الصغرى ١٩٦، ٢٠٠
اللؤلؤة الكبرى ١٩٦، ٢٠٠
لبنان ١٨، ٩٠، ٩٧، ١٦٦
لبنان الشرقي ١٢٥
لبنان الغربي ١٢٥
اللوا ٦٤
اللوق ٨٩

م

مآذن الجامع الأموي ١٣٤
مأذنة (قرية خربة) ٢٠٠
مأذنة العروس ١٥١
المأمونية ١٨١، ٢٠٠
مأوى ابن مريم ٨٩
مأوى العجزة ١٥٣
مارستان الجبل ١٣٨
الماطرون ٧٤، ٧٥
متحف دمشق ١٨٦
مجرى بردى = نهر بردى
مجريد ٢٠٠
محافر حزة ١٨٤، ١٩٠
محطة السكة الحديدية الحجازية ١٥٤
محطة القدم ١٥٤
محكمة الباب ٢١١
محلة العمارة ٢١٥

المحمديات ٢٠٠، ٢١٨
المحمدية ٢١، ٢٦، ٢٨، ٣٠، ٩٧، ١٠٠، ١٠١، ١٠٨، ١١١، ١٦١، ١٨٧
مخاليف اليمن ١٧١، ١٩١
المدرسة الأتابكية ١٤٢
المدرسة الأسدية ١٤٢
المدرسة الأسعردية، مدرسة إبراهيم الأسعردي ١٤٢، ١٤٦، ١٤٧، ٢٠٩
المدرسة الأشرفية ٣٥
المدرسة الإقبالية ١٩٥
المدرسة الآمدية ١٤٣
المدرسة الأمجدية ١٤٢، ١٤٤
المدرسة البدرية ١٤٣
المدرسة التجهيز ١٤٢، ١٥١، ١٩٧
المدرسة الجاموسية ١٤٥
المدرسة الحاجبية ١٤٣
المدرسة الحافظية ١٤٥
المدرسة الخانوتية ٧٠، ١٤٣
المدرسة الرشائية ١٤١
المدرسة الركنية ١٤٣، ١٤٤
المدرسة الريحانية ١٨٨
المدرسة السليمانية ١٤٨، ١٥٢
المدرسة الشبلية البرانية ١٤٦
المدرسة الضيائية المحاسنية ١٤٥
المدرسة الضيائية المحمدية ١٤٥
المدرسة الظاهرية البرانية ١٤٣
المدرسة الظاهرية الجوانية ٢٠٧
المدرسة الظبيانية ٢٠٥

المدرسة العالمة ١٤٥، ١٤٨
المدرسة العمرية الشيخية ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ٢١٥
المدرسة العزيزية ١٤٤
المدرسة العزبة البرانية ١٤٣، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٩
المدرسة العلمانية ١٩٢
المدرسة العلمية ١٤٤
المدرسة الفاضلية ١٣٧
المدرسة الفرخشاهية ١٤٤
المدرسة اللبودية ١٤٦، ٢٠٠
المدرسة الماردانية ١٤١، ١٤٤، ١٤٧
المدرسة المجاهدية ١٤٧
المدرسة المرشدية ١٤٢، ١٤٤
المدرسة المعظمية ١٤٤
المدرسة المقدمية بحلب ١٠٨
المدرسة المقدمية البرانية ١٠٨، ١٤٤
المدرسة المقدمية الجوانية ١٠٨
المدرسة المنجكية ١٤٤
المدرسة الميطورية ١٤٤
المدرسة النقشبندية البرانية ١٤٥
المدرسة اليغمورية ١٤٤
المدن الشامية ١٣١
مديرة، مديرى ٣٠، ١٠٢
المرج، مرج دمشق، مرج راهط، مرج عذرا، مرج الغوطة ١٧، ١٨، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٣٧، ٣٨، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٤، ١٠٣، ١١١، ١١٩، ١٢٦، ١٥٠،

١٦٠، ١٦٨، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣،
١٧٦، ١٨٣، ١٨٧، ١٩٣، ١٩٦،
٢٠١، ٢٠٢
المرج الأخضر، المرجة ٦٤، ٦٥، ١٤٧، ١٤٨، ١٩٥، ٢١٢
مرج الأشعريين ٢٠١
مرج داريا ٢٠١
مرج الشيخ رسلان ٢٠١
مرج المروج ١٧٦
مرصد ألوغ بك التتري ١٥٠
مرصد فلكي بالشماسية ١٩٥
مرصد المأمون بجبل قاسيون ١٥٠
مزارع دومة السبع ٢٢
مزرعة آل مردم بك ٢٠٠
مزرعة بشر ٢١٥
مزرعة بيت حمادة ٢٠١
مزرعة حاروش ٢٠١
مزرعة سيدى حرملة ٢١٤
مزرعة العمادية ١٩٤
مزرعة المرشدية ١٥٣
المزرعة ٢١
المزرعة الصغرى ١٨٣
المزرعة الكبرى ١٨٣
المزة، مزة كلب ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٦، ٢٨، ٣٣، ٦١،
٦٢، ٦٩، ٨٦، ٩٦، ١٠١، ١٠٢،
١٣٠، ١٣٤، ١٣٩، ١٤٧، ١٤٩،

١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٦٩، ١٧٦، ١٧٨، ١٧٩، ١٩٥
مساجد دمشق ١٤٩
مساجد الصالحية ١٤٩
مستشفى ابن سينا، مستشفى المجاذيب ١٥٣، ٢٠٧
المستشفى الإفرنسي ١٥٤
المستشفى الإنكليزي ١٥٤، ١٨٦
مستشفى الجذامى، المجذمين ١٥٣، ٢٠٧
مستشفى السل ١٥٣
المستشفى القيمري ١٥٣
مستشفى المجاذيب = مستشفى ابن سينا
مستشفى المواساة ١٥٣، ١٩٥
مستشفى نور الدين ١٩٣
المستشفى الوطني ١٥٢
مستشفى التوليد = مستشفى الجذامى
مسجد أبي صالح ١٤٥
مسجد أبي الفلوس ١٩٨
المسجد الأدنى ١٩٨
مسجد بيت أبيات ١٨٥
مسجد بيت رانس ١٨٥
مسجد بيت لهيا ١٨٦
المسجد الجامع بدمشق ١٣٤، ٢١٢
المسجد الجديد ١٩٥
مسجد زمرد خاتون ٨٨، ١٩٥، ١٩٦
مسجد خالد بن الوليد ١٠٢
مسجد القدم ١٣٨، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٨، ١٩٩

المسجد القديم ١٨٢
مسجد قرية الحميريين ١٩٠
مسرابا ٢١، ٢٢، ٢٨، ٣٠، ١٠١، ١٠٢، ١٦٥
مسنون ٢٠٢
المشتل الزراعي ١٥١
مصر ٦٤، ٧٠، ٨٠، ٨٨، ٩٨، ١٠٨، ١١٧، ١١٨، ١٢٦، ١٥١، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠
مصطبة السلطان ٢٠٢، ٢١٢
المصلى ٧٤
مصلى العيدين ١٩٢
المصيصة ٧٥، ١٨١، ٢٠٢
مطار المزة ١٥٤
مطيرة ٢٠٢
معامل السكة الحديدية الحجازية ١٥٤
معامل اللاسلكي ١٥٤
معامل ميكانيك الطيران ١٥٤
معربا ١٠٣
معرة النعمان ٨٣
المعشوق ٦٦
المعظمية ٢٢
معلولا ٣٦
معمل الأثمار والبقول (كونسروة) ١٥٤
معمل التبريد ١٥٤
معمل الثقاب (الكبريت) ١٥٤

معمل الجلد، معمل الجلود ١٥٤

معمل الجوخ ١٥٣، ١٥٤

معمل الخزف والزجاج ١٥٤

معمل رب السوس ١٥٤

معمل الزيوت والصابون ١٥٣

معمل شركة المغازل والمناسج ١٥٣

معمل صنع الأقفال والمفاتيح ١٥٣

معمل صنع الثياب ١٥٣

معمل الكحول ١٥٤

معمل الكهرباء ١٤٣، ١٥٤

معمل لفائف التدخين ١٥٤

مغارة الجوع ٦٧

مفترجات دمشق ٦٦

مفرق القابون ١٥٣

المقاسم ٦٦

مقبرة باب توما ١٠٢

مقبرة الباب الصغير ١٤١

مقبرة الحميريين ١٩٠

مقبرة الدحداح ١٨٣، ١٨٥، ١٩٥

مقبرة الصوفية ١٤٤

مقبرة قديمة بجسرين ٢٢٢

مقبرة النصارى ١٩٢

مقبرة اليهود ١٧٩

مقد ٣٣

مقرى	٢٩، ٣٠، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٨، ٧٤، ٧٦، ٧٨، ٨٣، ٨٦، ٨٩، ١٧١، ١٨٣، ٢٠٢، ٢١٥
المقس	٨٨
المقسلاط	١٦
مقنا	١٩٠
المقياس	٨٨
مكة	٧٤، ١٧١
الملعب البلدي	٨٣
المليحة، المنيحة	٢١، ٢٤، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣٠، ٦٢، ٦٨، ٩٧، ١٠١، ١٠٢، ١٢٥، ١٥٢، ١٦٥، ١٨٥، ١٨٧، ٢١٣، ٢١٦، ٢١٨
منازل بني رعين	٢٠٢
مناقع العتيبة	= بحيرة العتيبة
مناقع الهيجانة	= بحيرة الهيجانة
المنيبع	٧٠، ٨٨
منين	٨٢، ١٠٣، ١٥١، ٢٠٥
موضع النحاسين	١٦
الميادين	٨٣، ٨٨، ٢٠١
ميدان ابن أتابك	٨٣
الميدان، الميدان الأخضر، ميدان القصر، ميدان المرجة	٦٥، ٦٦، ٧٤، ٨٣، ٨٧، ١٤٢، ١٥٢، ١٧٧، ٢٠٧، ٢٠٩
ميدان الحصا	٢٩، ٨٣، ٩٧، ١٥٤، ١٧٥، ١٨٢، ١٩٥، ١٩٧، ١٩٨، ٢٠١
ميدان الشرف الأعلى	٨٣

ميدعا	٢٠٢
الميطرون	٢١٨
الميطور	٦٧، ٧٦، ٨٨، ١٥٢، ٢٠٣
الميطور الشرقي	٢٠٣

ن

نجد	٨٢
النحاسية	٢٠٣
النشابية	٢٠
نصيب	٦٥، ٧٠، ٢٠٣
النمرانية	٢٠٣
أنهار دمشق	٧٩، ١٥٠
نهر الأبلة	٧٢
نهر الأعوج	١٠٣
نهر باناس	٦٦، ٧٠، ٧١، ٧٩، ٨٣، ٨٨، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٤٣، ١٤٦، ١٩٥
نهر بردى	١٥، ١٧، ٢٠، ٢٢، ٦٦، ٧١، ٧٣، ٧٧، ٧٩، ٨١، ٨٦، ٩٠، ١٠٠، ١٠٣، ١٨٨، ١٩٠، ٢٠١، ٢٠٧، ٢١٣
نهر برزة	١٠٣
نهر بيت نايم	١٠٠، ١٠١
نهر البيلاني	١٠٠
نهر التومة السفلى	١٠٢
نهر التومة العليا	١٠٢
نهر ثورى	٦٦، ٧١، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٤٤، ١٤٦، ١٤٧، ١٨٢، ١٩٤، ٢٠٢، ٢٠٦، ٢٠٩

نهر جسرين	١٨٦
نهر جيحون	٨٩
نهر حردان	٣٠، ١٨٩
نهر الحرستاني	١٠٠، ١٠١
النهر الداراني	١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ٢٠، ٢٠٢
نهر داعية، نهر الداعياني	٩٧، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٩١، ١٩٤
نهر الزابون	١٠٠
نهر الزبديني	١٠٠
نهر الزلف	١٠١، ١٠٢
نهر السكون	١٩٠
نهر الشرك	١٠٢
نهر الشيلاني (الشيداني)	١٠٠، ١٠١
نهر الشوافة	١٠٣
نهر عقربا، نهر العقرباني، النهر المجدول	١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٨٥
نهر قليط، قلوط	١٠١، ١٠٢
نهر القنوات، قناة القنوات	٦٦، ٧٠، ٧١، ٩٧، ١٠٠، ١٠١، ١٤٣
نهر قينية	١٩٩
نهر المجدول	= نهر عقربا
نهر مجريد	٢٠٠
نهر الملك	١٠٠
نهر المليحي	٩٧، ١٠٠، ١٠١
نهر الميلقون	١٠٢
نهر النيل	٨٩، ١٥١

نهر يزيد، وانظر أيضًا (قناة) ٦٦، ٨٣، ٨٦، ٨٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٢٣، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٠، ١٩٢، ٢٠٣

نوى ١١٨

النيرب ١٦، ٦٧، ٧٤، ٧٦، ٨٠، ٨١، ٨٢، ١٣٨، ١٤٩، ١٥٢، ١٧٦، ٢٠٣، ٢٠٥، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٥، ٢١٩

النيربان ١٥، ١٦، ٢٢، ٧٩، ٢٠٣، ٢٠٤

هـ

الهامة ٧٤، ٩٠

هجر ٧٤

الهلالية ٢٠٥

الهند ٣٨، ٦١، ٧٥، ٧٨

و

واسط ٢٠٥

وادي الأراك ٧٤

وادي بردى ٧٨، ٨٢، ٢٠٤

وادي بردى الشرقي ٢٠٤

وادي بردى الغربي ٢٠٤

وادي البنفسج ٦٣

وادي التيم ٣٧

وادي دمشق ٦٩، ٧٧، ٨٨

وادي الربوة ٢٠، ٨٦، ٢٠٩

وادي الشام ١٥١

وادي الشرف ٢١٣

وادي معربا ٨٢، ٢٠٤

وادي العجم ٢١، ١٢٦

وادي مكرم ٢٠٤

وادي النيربين ٦٢، ٦٤، ٦٧، ٨٦

الوادي التحتاني ٦٦، ٢٠١

الوادي الفوقاني ٦٦

الواديان ٨٢، ٢٠٤، ٢٠٥

واسط ١٩٧، ٢٠٥

وراء الدور ١٠٧

الوراقة ١٤٨

الوراقة القديمة ٢٠٠

وزارة الصحة ١٥٣

ي

يبرين ٧٤، ٢١٥

يروى ٦٨، ٢٠٥

يعقوبا ١٣٩، ٢٠٥

اليلكي (بستان الألكي) ٦٥

يلدا، يلدان ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٦٢، ٦٩، ٩٦، ١٠٢، ١٢٥، ١٣٧، ١٥٢، ١٦٥، ١٩٧، ٢٠٥

اليمن ٣٠، ١٦٩، ١٧١

اليهودية ٢٠٥

منتوجات الغوطة من
نبات وفواكه وأزهار وغير ذلك

الأجلجق، قيز لجق	٩٩
الأحيمر	= الأجلجق
الأرز	١٧٤
الأزدرخت، الزنزلخت	٩٩
أزهار الصالحية وورودها	٩٧
الأسباناخ، السبانخ	٩٨
أعبئة الحرير	٦٢
أعبئة المرعز	٦٢
الأقاقيا	= السنط
ألبان الغوطة	٣٤
الأنجاص	= الكمثرى
أنكنار، حرفش، حرفوش	٩٨
الأينسون	٩٨
الأوكالبتوس	٩٩
الباذنجان	٩٧
البامة	٩٧
البراصية	٩٨
البرتقال	٩٦
بزر الخلة	٩٨

بزر الخيار ٩٨
بزر الفصة ٩٨
بزر الماش ٩٨
البزليا، البسلى ٩٨
البصل ٩٨، ١٧٥
البطاطا ٩٨
البطيخ الأخضر ٩٨
البطيخ الأصفر ٩٨
البقر البلدي ٦٠
البقدونس ٩٨
البقلة = الرجلة
البنادورى، الطماطم ٩٧
البنجر = الشوندر
البندق ٩٩
البيض ١٧٤
البيقية ٩٧، ١٧٤
بقول وخضراوات الصالحية ٩٧

ت

التفاح ٦٢، ٩٨
التنباك ٩٨
التوت الأبيض ٦٢
التوت الأسود ٦٢
التوت الشامي ٩٨
توت القز ٩٩

التوت العادي ٩٨

التين ٩٨، ١٧٥

ث

ثنوب كيليكية = الشوح

الثوم ٩٨، ١٧٥

ج

الجانرك ٩٨

الجبن ٣٥، ٥٨، ١٧٥

الجرجير، القرة، قرة العين ٩٨

الجزر ٩٨

الجلاب ٥٨

الجلبانة ١٧٤

الجلود ٥٩

الجوز ٥٩، ٩٨

ح

الحبال ٣٥، ٥٩

حب الآس ٩٨

حبة البركة، الشونيز ٩٨

الحبوب ٢٤، ٣٤، ٥٩، ١١٨

حرف الماء ٩٨

حرفش، حرفوش = أنكنار

الحشيش ٩٨

الحمص ١٧٤

الحطب ٥٩، ١١٨، ١٧٤

الحلبة ١٧٤

الحليب ١٧٤

الحنطة ١٧٣، ١٧٤

الحور الرومي ٩٩

الحور الفارسي ٩٩

خ

الخبازة، الخبيزة ٩٨

الخس ٩٧، ٩٨

الخشب ٥٩، ٩٧

الخلاف ٩٩

الخوخ ٦٢، ٩٨

خوخ الدب = القراصيا

الخيار ٢٤، ٩٧

الخيوط ٥٩

د

الدبس ٥٨، ١٧٤

الدخان، التتن ٩٨

الدخن ١٧٤

الدراق ٩٨

الدراق الزهري ٩٩

ذ

الذرة ١٧٤

ر

الرجلة، البقلة ٩٨
الرشاد ٩٨
الرمان ٩٨

ز

الزبدة ٥٩
الزعرور، الزعبوب ٩٨
الزعفران ٩٨، ٩٩
الزهر ٦١
زهر الزيزفون ٩٨
زهر السفرجل ٦٥
زهر النارنج ٦١
زهر النيلوفر ٦١
زهر الورد المزي ٦١
الزيت ٥٨، ١٧٤
الزيتون ٥٩، ٩٦، ٩٧

س

السبانخ = الأسباناخ
السختيان ٥٩
السعتر ٩٨
السفرجل ٩٨
السلق ٩٨
السماق ١٧٤
السنط (الأقاقيا) ٩٩

السمسم ٥٨، ٩٧
السمن ٥٨، ١٧٤
السرو ٩٩

ش

الشعير ١١٤، ١٧٤
الشقشقيق ٦١
الشمار (دره أوت) ٩٨
الشمع الدهني ١٧٤
الشيرج ٥٨، ١٧٤
الشوح ٩٩
الشوندر (البنجر) ٩٨
الشونيز = حبة البركة

ص

الصابون ٥٨
الصبار ٩٨
الصفصاف ٩٩
صناديق الفاكهة ٥٩
الصوف ٣٥، ٥٩

ط

الطرخون ٩٨
الطماطم = البنادورى
الطحينة ٥٨، ١٧٤
الطيور الداجنة ٦٠

ع

العدس ١٧٤
العسل ١٧٤
عطر الغوطة ٦١
العطور ٥٨
العنب ٥٨
العنب الأبيض ٦٢
العنب الأحمر ٦٢
العنب الأحمر الداراني ٩٦
العنب الأحمر الدوماني ٩٦
العنب الأسود ٦٢، ٩٦
العنب البلدي ٦٢، ٩٦
العنب البيتموني ٦٢
العنب الحلواني ٩٦
العنب الدربلي ٩٦
العنب الزيني ٦٢، ٩٦

غ

الغزل ٣٥

ف

الفاصولياء ٩٨
الفجل ٩٨
الفليفلة ٩٧
الفول ٩٨، ١٧٤

ق

القبار = الكبر
القثاء ٩٧
القراصيا، خوخ الدب ٩٩
القرع ٩٧
القشدة ٥٨، ٩٧
قشر القنب (ألياف القنب) ٣٥، ٥٩، ١٧٤
القصطل (الكستنة) ٩٩
القطن ٣٥، ٩٩، ١١٨، ١٧٤
القلقاس ٩٨
القماش العقرباني ٦٢
القمح ١١٨، ١٧٣، ١٧٤
قمر الدين ٥٨، ٩٨
القنب ٢٤، ٩٧
القنبيط ٩٨
قيزلجق = الأجلجق

ك

الكبر (القبار) ٩٨
الكرات ٩٨
الكراويا ٩٨
الكزبرة ٩٨
الكرز ٩٨
الكرفس ٩٨
الكرنب (أبو ركبة) ٩٨

الكرسنة ٩٧
الكستنة = القصطل
كمثرى ٦٢، ٩٧، ٩٨
الكمون ٩٨
الكوسى ٩٧

ل

اللبن ٥٨
اللوبياء ١٧٤
اللحم ١٧٤
اللخنة = الملفوف
لسان الثور ٦١
اللفت ٩٨
اللوز ٩٨
الليمون ٩٦

م

المردقوش ٩٨
المشمش ٥٨، ٦٢، ٩٨
المشمش البلدي ٩٨
المشمش الحموي ٩٨
المشمش الكلابي ٩٨
المشمش الهندي، يني دنيا ٩٩
المشمولة ٩٩
المعيز البلدي ٦٠
الملح ١٤٧

الملفوف، اللخنة	٩٨
الملوخية	٩٨
منجور الدور	٥٩
الميس	٩٩
المواشي	٦٠
الموز	٩٦

ن

النارنج	٦٥
النحل	٦٠
النخل، النخيل	٩٦، ٩٩
النشاء	٥٨
النعنع	٩٨
نعنع الماء	٩٨
النقوع	٥٨

هـ

الهليون	٩٨
الهندباء	٦١

مصادر الكتاب

المخطوطات

١ ـ تاريخ دمشق لابن عساكر المتوفى سنة (٥٧١).

٢ ـ عدد أجزاء من الوافي بالوفيات للصلاح الصفدي (٧٦٤).

٣ ـ أجزاء من تاريخ الإسلام للذهبي (٧٤٨).

٤ ـ الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة لابن حجر العسقلاني (٨٥٢).

٥ ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي (٩٠٤).

٦ ـ الكواكب السائرة في أعيان المئة العاشرة للنجم الغزي (١٠٦١) وذيله لطف السمر له.

٧ ـ ضرب الحوطة على الغوطة لابن طولون الصالحي (٩٥٣).

٨ ـ دخائر القصر في تراجم نبلاء العصر له.

٩ ـ الذيل على الروضتين لأبي شامة (٦٦٥).

١٠ ـ محاسن جلق لابن خداويردي (١١٩٥).

١١ ـ تاريخ الصالحية لمحمد بن كنان (١١٥٣).

١٢ ـ التيسير والاعتبار للأسدي (القرن التاسع).

١٣ ـ محاسن الشام للبوريني (١٠٢٤).

١٤ ـ الإشارات إلى معرفة الزبارات لعلي بن أبي بكر الهروي (٦١١).

١٥ ـ الدارس للنعيمي (٩٢٧).

١٦ ـ الإشارات إلى أماكن الزيارات لأحمد الصباغ، وذيله بتراجم بعض المشاهير من كتاب الزيارات لمحمود العدوي.

١٧ ـ الأعلام في فضائل الشام لأحمد المنيني (١١٧٢).

١٨ ـ كتاب الديارات للشابشتي (٣٨٨).
١٩ ـ عجائب الأمصار لابن إياس (٩٣٠).
٢٠ ـ غدق الأفكار في ذكر الأنهار ليوسف بن عبد الهادي (٩٠٩).
٢١ ـ ثمار المقاصد في ذكر المساجد له.
٢٢ ـ تاريخ الصالحية له.
٢٣ ـ الإعانات في معرفة الخانات له.
٢٤ ـ عدة الملمات في تعداد الحمامات له.
٢٥ ـ مذكرة يومية مجهول مؤلفها كتبت من سنة ٨٨٥ إلى ٩٠٨ يتلوها ١٥ ورقة بين سنة ٩١٠ و ٩١٤.
٢٦ ـ حوادث يومية من سنة ٩٨٥ إلى ١٠٠٦.
٢٧ ـ التذكرة الكمالية لكمال الدين الغزي (١٢١٤).
٢٨ ـ ديوان النصائح والأنوار اللوائح لمحمد الحافظ النجار (القرن الثاني عشر).
٢٩ ـ كناش المحاسني (١١٨٧).
٣٠ ـ التمهيد فيما يجب فيه التحديد لعلي بن عبد الكافي السبكي (٧٥٦).
٣١ ـ الأعلاق الخطيرة لابن شداد (٦٨٤).
٣٢ ـ الروضة الريا فيمن دفن بداريا لعبد الرحمن العمادي (١٠٥١).
٣٣ ـ المدبجات لعبد المنعم الجلياني (أوائل المئة السابعة).
٣٤ ـ ديوان ابن حيوس (٤٧٣).
٣٥ ـ ديوان فتيان الشاغوري (٦١٩).
٣٦ ـ ديوان ابن عنين (٦٣٠).
٣٧ ـ تعليقات في القرى المتاخمة دمشق أو التي اندمجت فيها لمحمد أحمد دهان.
٣٨ ـ عدا الوثائق والصكوك.

المطبوعات

٣٩ ـ معجم البلدان لياقوت الحموي (٦٢٦) (ليبسيك).
٤٠ ـ معجم الأدباء له (القاهرة).
٤١ ـ المشترك وضعًا والمختلف صقعًا له أيضًا (ليدن).
٤٢ ـ معجم ما استعجم للبكري (٤٨٣) (غوتا).
٤٣ ـ معجم الشعراء للمرزباني (القاهرة).
٤٤ ـ قاموس الكتاب المقدس لبوست (١٩٠٩) (بيروت).
٤٥ ـ نخبة الدهر لشيخ الربوة (٧٢٦) (بطرسبرج).
٤٦ ـ زبدة كشف الممالك لخليل بن شاهين الظاهري (٨٧٢) (باريز).
٤٧ ـ المسالك والممالك لابن حوقل (أواسط القرن الرابع) (ليدن).
٤٨ ـ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي البشاري (بعد سنة ٣٧٥) (ليدن).
٤٩ ـ مسالك الممالك لابن‌خرداذبة (في حدود سنة ٣٠٠) (ليدن).
٥٠ ـ كتاب البلدان لابن الفقيه (القرن الثالث) (ليدن).
٥١ ـ فتوح البلدان للبلاذري (٢٧٩) (ليدن).
٥٢ ـ أنساب الأشراف له (القدس).
٥٣ ـ النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (٨٧٤) (القاهرة).
٥٤ ـ أخبار الدول للقرماني (١٠١٩) (القاهرة).
٥٥ ـ مراصد الاطلاع لعبد المؤمن بن عبد الحق (٧٣٠) (ليدن).
٥٦ ـ كتاب الروضتين لأبي شامة (٦٦٥) (القاهرة).
٥٧ ـ الأنساب للسمعاني (٥٦٢) (لندن).
٥٨ ـ يتيمة الدهر للثعالبي (٤٢٩) (دمشق).
٥٩ ـ المشتبه في أسماء الرجال للذهبي (٧٤٨) (ليدن).
٦٠ ـ تاريخ دول الإسلام له .
٦١ ـ لب اللباب في تحرير الأنساب للسيوطي (٩١١) (ليدن).

٦٢ ـ تاريخ اليعقوبي (٢٧٨) (ليدن).

٦٣ ـ صفة جزيرة العرب للهمداني (٣٣٤) (ليدن).

٦٤ ـ نزهة المشتاق للإدريسي (٥٦٠) (رومية).

٦٥ ـ المنتظم لابن الجوزي (٥٩٧) (القاهرة).

٦٦ ـ صيد الخاطر له (القاهرة).

٦٧ ـ تاريخ الكامل لابن الأثير (٦٣٠) (القاهرة).

٦٨ ـ فتوح الشام للأزدي (١٧٨) (كلكته).

٦٩ ـ فتوح الشام للواقدي (٢٠٧) (القاهرة).

٧٠ ـ تاريخ داريا ومن نزلها من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين وأملى العلم على طبقاتهم وأزمانهم وذكر وفاتهم ومن أعقب بها للقاضي أبي علي عبد الجبار بن عبد الله الخولاني الداراني (دمشق).

٧١ ـ ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي (عشر التسعين والأربعمئة) (بيروت).

٧٢ ـ تاريخ بيروت لصالح بن يحيى (أواسط القرن التاسع) (بيروت).

٧٣ ـ وفيات الأعيان لابن خلكان (٦٦١) (القاهرة).

٧٤ ـ فوات الوفيات للصلاح الكتبي (٧٦٤) (القاهرة).

٧٥ ـ تهذيب الأسماء للنووي (٦٧٦) (غوتا).

٧٦ ـ أنساب العرب للقلقشندي (٨٢١) (بغداد).

٧٧ ـ صبح الأعشى له (القاهرة).

٧٨ ـ رحلة ابن جبير (٦١٤) (ليدن).

٧٩ ـ رحلة ابن بطوطة (٧٧٧) (القاهرة).

٨٠ ـ مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري (٧٤٩) (القاهرة).

٨١ ـ التعريف بالمصطلح الشريف له (القاهرة).

٨٢ ـ تمييز نوعي المثنيين للمُحبّي (١١١١) (دمشق).

٨٣ ـ سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر للمُحبّي (القاهرة).

٨٤ ـ رد العامي إلى الفصيح لأحمد رضا (صيدا).
٨٥ ـ الألفاظ الفارسية المعربة لادي شير (بيروت).
٨٦ ـ القاموس المحيط للفيروزأبادي (٨١٧) (القاهرة).
٨٧ ـ تاج العروس للزبيدي (١٢٠٥) (القاهرة).
٨٨ ـ سيرة صلاح الدين لابن شداد (ليدن).
٨٩ ـ معجم الألفاظ الزراعية لمصطفى الشهابي (دمشق).
٩٠ ـ ديوان حسان بن ثابت (٥٤) (ليدن).
٩١ ـ ديوان الأخطل (٩٠) (بيروت).
٩٢ ـ ديوان ابن قيس الرقيات (نحو سنة ٨٥) (فينا).
٩٣ ـ ديوان الوليد بن يزيد (١٢٦) (دمشق).
٩٤ ـ ديوان الحماسة لأبي تمام (٢٣١) (القاهرة).
٩٥ ـ الشعر والشعراء لابن قتيبة (٢٧٦) (القاهرة).
٩٦ ـ عيون الأخبار له (القاهرة).
٩٧ ـ ديوان البحتري (٢٨٤) (الأستانة).
٩٨ ـ ديوان كشاجم (٣٦٠) (بيروت).
٩٩ ـ الإكليل للهمداني (٣٣٤).
١٠٠ ـ ديوان ابن الخياط (٧١٧) (بيروت).
١٠١ ـ ديوان ابن الساعاتي (٦٠٤) (بيروت).
١٠٢ ـ ديوان التلعفري (٦٧٥) (بيروت).
١٠٣ ـ خطط الشام للمؤلف (دمشق).
١٠٤ ـ دمشق مدينة السحر والشعر له (القاهرة).
١٠٥ ـ كتاب وقف عثمان بن المنجا (٦٤١).
١٠٦ ـ خطط دمشق (لصلاح الدين المنجد).
١٠٧ ـ مجلة المشرق (بيروت).

١٠٨ ـ مجلة المقتبس (القاهرة ودمشق).

١٠٩ ـ مجلة المجمع العلمي العربي (دمشق).

١١٠ ـ جهانما لكاتب چلبي (من أهل القرن الحادي عشر) (بالتركية) (الآستانة).

١١١ ـ قاموس الأعلام لشمس الدين سامي (بالتركية) (الآستانة).

١١٢ ـ تاريخ جودت بالتركية (الآستانة).

١١٣ ـ طوبوغرافية تاريخية لسورية في الأعصر القديمة والقرون الوسطى لدوسو (بالفرنسية) (باريز).

Dussaud: Topographie historique de la Syrie antique et médiévale (Paris).

١١٤ ـ معلمة الإسلام (مادة غوطة ـ بردى ـ دير مران ـ قاسيون ـ دمشق ـ وغيرها (ليدن).

Encyclopédie de l'Islam (article: Ghuta, Barada, Deir Murran, Qassiun, Damas etc.).

بحمد الله تعالى